



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه

الإخلاص في القرآن الكريم

((دراسة موضوعية))

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

في قسم القرآن وعلومه

إعداد

حمد بن محمد بن إبراهيم الوهبي

إشراف

تركي بن سعد الهويمل

الأستاذ المشارك في قسم القرآن وعلومه

العام الجامعي

١٤٣٣ - ١٤٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] .

أما بعد : فإن خير ما صرفت فيه الأوقات وقضيت فيه الساعات ، التدبر لكتاب الله العزيز ، والنظر في معانيه ؛ فهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تشبع منه العلماء .

وقد أنزله الله تعالى للتدبر والعمل فقال : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] .

فلا شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته ؛ من تدبر القرآن وإطالة النظر والتأمل في معانيه ، فإنه يطلع المرء على معالم الهداية ومفاتيح السعادة ، ويهدي للتي هي أقوم في كل جانب من جوانب الحياة .

ولما كانت حياة المسلم قائمة على العبودية لله تعالى ، والقيام بدينه وشرعه ، وكان الإخلاص له تعالى قطب رحاها وأصلها وأساسها ؛ فقد دلَّ القرآن الكريم على هذا الأصل

الإخلاص في القرآن --- --- المقدمة

الأصيل ، والركن الركين دلالة ظاهرة تبين حقيقته وأهميته ، وتبرز أسبابه والوسائل المعينة على تحقيقه ، وتدعو إليه وتبين آثاره ، وتحذر من نواقضه ومبطلاته ، مع إبراز لكثير من مجالاته الواسعة ، وميادينه الفسيحة .

ولهذا أحببت أن أخوض غَمَار هذا الموضوع الفدّ ، وأسبر أغواره ، وأكشف عن شيء من دلالاته ، تدبراً وتأملاً ، ودراسة ونظراً .



سبب اختيار الموضوع

لقد كان اختياري لهذا الموضوع يعود إلى أسباب عدة أجمالها في الآتي :

- ١- الأهمية الكبرى للإخلاص في حياة المسلم خصوصاً وفي حياة المجتمع والأمة عموماً .
- ٢- كثرة الآيات الواردة في بيان الإخلاص والآمرة به والداعية إليه في القرآن الكريم .
- ٣- دخول الإخلاص في جميع الأحكام التكليفية .
- ٤- توقف قبول الأعمال على تحقيق الإخلاص .
- ٥- عدم وجود دراسة موضوعية مستقلة شاملة لجوانب الإخلاص ذات صبغة قرآنية .
- ٦- الآثار الحميدة المترتبة على تحقيق الإخلاص والثمار اليانعة في الدنيا والآخرة .
- ٧- الرغبة في تدبر القرآن الكريم وتحليل ألفاظ الإخلاص ومعانيه .



أهداف البحث

- ١- تهدف الدراسة في هذا البحث إلى الآتي :
- ٢- حصر الآيات الواردة في موضوع الإخلاص في القرآن الكريم .
- ٣- دراسة الآيات دراسة موضوعية .
- ٤- بيان حقيقة الإخلاص ومفهومه وإطلاقاته وألفاظه المتنوعة في القرآن .
- ٥- بيان أهمية الإخلاص وعظم منزلته .
- ٦- بيان طريقة القرآن في الدعوة إلى الإخلاص .
- ٧- ذكر أهم الوسائل المعينة على تحقيق الإخلاص .
- ٨- ذكر أساليب القرآن في النهي عما يضاد الإخلاص .
- ٩- بيان جمل من مجالات الإخلاص الواسعة ، والآثار المترتبة على تحقيقه .



حدود البحث

تتركز هذه الدراسة في الآتي :

- ١- لفظ الإخلاص في القرآن ومرادفاته اللفظية والمعنوية .
- ٢- استقراء معاني الآيات المتعلقة بالإخلاص من كتب التفسير المعتمدة .
- ٣- استخراج موضوعات الإخلاص من القرآن الكريم .



الدراسات السابقة

- من خلال البحث والمطالعة وسؤال بعض المهتمين والمختصين وقفت على بعض الكتب والرسائل العلمية التي طرقت بعض جوانب الإخلاص ومن تلكم المؤلفات الآتي :

١- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها وهي رسالة يسيرة في بيان معنى كلمة الإخلاص وفضلها ومقتضاها للحافظ أبي الفرج زين الدين ابن رجب الحنبلي .

٢- (الإخلاص - مفهومه - مجالاته - تطبيقاته) ت / جمعة أمين عبد العزيز .

٣- (الإخلاص) للدكتور عمر سليمان الأشقر ، وهو يتحدث عن الإخلاص من حيث أنه مقصد من مقاصد المكلفين ، وبيان أثره في حياة الفرد .

٤- (الإخلاص) لحسين العوايشة ، وذكر فيه أهمية الإخلاص ، وأثره في قبول العمل ، وشيئاً من ثماره .

- وأما الرسائل العلمية فقد وقفت على أبرز الرسائل المتعلقة بالإخلاص ، وهي على النحو الآتي :

١- (تحقيق الإخلاص في توحيد العبادة) بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية التربية للأقسام الأدبية بريدة ، للباحثة هدى الغفيص .

٢- (مفهوم الإخلاص في التربية الإسلامية) رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم التربية في جامعة أم القرى ، للباحث سعد بن سالم المالكي .

٣- (الإخلاص حقيقته ونواقضه) بحث عقدي مقدم لقسم العقيدة بجامعة أم القرى ، للباحث عبد الله الأحمدي .

الإخلاص في القرآن --- --- المقدمة

٤- (الإخلاص وأثره في الدعوة) بحث تكميلي بجامعة أم القرى ، للباحث عبد الله

العمودي .

٥- (الإخلاص وأثره في قبول الأعمال) مؤلف مختصر ، للدكتور عبد الله الطيار .

- والجديد في هذه الرسالة الآتي :

١- الصبغة القرآنية المبنية على الاستقراء لآي القرآن المتعلقة بالإخلاص لفظاً أو معنى .

٢- الدراسة الموضوعية للإخلاص في القرآن الكريم .

٣- الشمول لجوانب الإخلاص في القرآن الكريم .



خطة البحث

تتكون الخطة من مقدمة وسبعة فصول وخاتمة وفهارس وهي على النحو الآتي :

المقدمة :

وتتضمن ما يلي :

- ١- أهمية الموضوع وأسباب اختياره .
- ٢- حدود البحث وأهدافه .
- ٣- الدراسات السابقة .
- ٤- خطة البحث ومنهجه .

الفصل الأول : مفهوم الإخلاص في القرآن الكريم .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه .

المبحث الثاني : إطلاقات الإخلاص في القرآن .

المبحث الثالث : الألفاظ التي ورد التعبير بها عن الإخلاص .

الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم .

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : الإخلاص ميدان التفاضل .

المبحث الثاني : عزة الإخلاص وعظم موقعه .

المبحث الثالث : شموله لمناحي الحياة .

المبحث الرابع : أثره في العمل .

الإخلاص في القرآن =————— المقدمة

وفيه ستة مطالب :

- ١- أثره في قبول العمل .
 - ٢- أثره في إجابة الدعاء .
 - ٣- أثره في حصول الشفاعة .
 - ٤- أثره في مضاعفة الأجر .
 - ٥- أثره في قبول التوبة .
 - ٦- أثره في وقوع الأجر من غير عمل .
- المبحث الخامس : تسمية بعض سور القرآن باسم الإخلاص .

وفيه مطلبان :

- ١- سورة الإخلاص « قل هو الله أحد » .
- ٢- سورة الإخلاص « قل يأيها الكافرون » .

الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم .

وفيه سبعة مباحث :

- المبحث الأول : أمر الرسول ﷺ بالإخلاص .
- المبحث الثاني : أمر المؤمنين بالإخلاص .
- المبحث الثالث : أمر النَّاس بالإخلاص عموماً .
- المبحث الرابع : حصر الأمر في الإخلاص .
- المبحث الخامس : الثناء على المخلصين .
- المبحث السادس : بيان جزاء المخلصين .
- المبحث السابع : بيان فضل الإخلاص .

الإخلاص في القرآن =————= المقدمة

الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم .

وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : العلم بالله .

المبحث الثاني : معرفة حقيقة الإخلاص .

المبحث الثالث : مجاهدة النفس .

المبحث الرابع : تدبير أحوال المخلصين في القرآن .

المبحث الخامس : الاستعانة بالله تعالى .

المبحث السادس : المراقبة .

المبحث السابع : استحضار أجر المخلصين .

المبحث الثامن : الدعاء .

المبحث التاسع : التأمل والنظر في عاقبة المرآتين .

الفصل الخامس : أساليب القرآن الكريم في النهي عما يضاد الإخلاص .

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : النهي عن الشرك .

المبحث الثاني : بيان حال المشرك .

المبحث الثالث : التحذير من النفاق .

المبحث الرابع : تحريم الرياء .

المبحث الخامس : ضرب الأمثال .

المبحث السادس : الترهيب من إرادة الإنسان بعمله الدنيا .

الإخلاص في القرآن --- المقدمة

الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن الكريم .

وفيه ستة عشر مبحثا :

المبحث الأول : الإخلاص في توحيد العبادة .

المبحث الثاني : الإخلاص في العبادات .

وفيه مطلبان :

١- العبادات القلبية . ٢- العبادات العملية .

المبحث الثالث : الإخلاص في الدعوة .

المبحث الرابع : الإخلاص في الاستجابة .

المبحث الخامس : الإخلاص في الخشوع .

المبحث السادس : الإخلاص في الصبر .

المبحث السابع : الإخلاص في الإنفاق .

المبحث الثامن : الإخلاص في الصلاة والنحر .

المبحث التاسع : الإخلاص في الحج والعمرة .

المبحث العاشر : الإخلاص في الدُّعاء .

المبحث الحادي عشر : الإخلاص في الإطعام .

المبحث الثاني عشر : الإخلاص في الوسيلة .

المبحث الثالث عشر : الإخلاص في الجهاد .

المبحث الرابع عشر : الإخلاص في الصدقة وبذل المعروف والإصلاح بين الناس .

المبحث الخامس عشر : الإخلاص في تلاوة القرآن .

المبحث السادس عشر : الإخلاص في الحياة كلها .

الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم .

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : آثاره على الفرد .
- المبحث الثاني : آثاره على المجتمع .
- المبحث الثالث : آثاره في الآخرة .

الخاتمة :

وفيها أهم النتائج .

الفهارس العامة : وهي كما يلي :

- ١- فهرس الآيات .
- ٢- فهرس الأحاديث .
- ٣- فهرس الآثار .
- ٤- فهرس الأعلام المترجم لهم .
- ٥- فهرس المصادر والمراجع .
- ٦- فهرس الموضوعات .

وأخيراً أسأل الله جلَّ وعلا التوفيق والسداد ، والهداية إلى سبيل الرشاد ، وأن يجنبني الخطأ والزلل ، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل ، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم .



المنهج في كتابة البحث

سلكت - بعون الله - وتوفيقه في هذا البحث المنهج الاستقرائي الموضوعي لآيات الإخلاص في القرآن الكريم ، وما يرد من جوانب تحليلية فهو مما تقتضيه طبيعة الدراسة الموضوعية، ولا أزعم أنني استوعبت جميع الآيات الواردة في موضوع الإخلاص ؛ إذ هو مما يعسر استيفاؤه في مثل هذه الرسالة ، ولكن حسبي أن أوردت جملة من الآيات القرآنية المتعلقة بالإخلاص لفظاً أو معنى ، وكما قيل : يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق .

وقد سرت في هذا البحث على النحو الآتي :

- ١- جمع الآيات الواردة في الإخلاص لفظاً أو معنى والتي بلغت أكثر من مائة وستين آية.
- ٢- تنزيل الآيات على المباحث التفصيلية للرسالة .
- ٣- جمع المادة العلمية لكل مبحث من المباحث .
- ٤- دراسة أقوال المفسرين في الآيات ، وترجيح القول المختار معتمداً على قواعد الترجيح المعتبرة .
- ٥- خرجت الأحاديث والآثار الواردة من مصادرها الأصيلة ، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إلى المصدر ، وإن كان في غيرهما ذكرت رأي بعض العلماء المعتبرين في الحكم على الحديث من المتقدمين أو المتأخرين .
- ٦- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من السور .
- ٧- عرفت بالأعلام الواردة أسماؤهم في ثنايا البحث .
- ٨- عزوت الأبيات الشعرية إلى قائلها مع الإحالة إلى المصدر .
- ٩- ترك الاستدلال بالأحاديث الموضوعية أو المجمع على تضعيفها من قبل أهل الحديث .

الإخلاص في القرآن --- --- المقدمة

١٠- وضعت فهارس في آخر الرسالة للموضوعات والمراجع والآيات والأحاديث والآثار.

وبعد : فهذا جهد المقل وعمل المقصر ، للقارئ غنمه وعليّ غرمه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وإنّ موضوع الإخلاص لمن أوسع الموضوعات في القرآن وروداً ، وأكثرها تشعباً ، وأغزرها بحثاً ، لا يمكن لباحث مثلي أن يحيط بجوانبه كلها ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله .

فإنّ تجد عيباً فسد الخلل
جلّ من لا عيب فيه وعلاً

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، محققاً الزلفى لديه ، محققاً النفع والفائدة لكل من قرأه أو نظر فيه ، وأن يعفو عن تقصيري وخطئي ، ويجعلني من أهل القرآن الذين هم أهلهم وخاصته ؛ إنّه أكرم مسؤول ، وأعظم مأمول ، وهو حسبي ونعم الوكيل .



شكر وعرفان

وَمِنْ بَابِ تَحْقِيقِ الشُّكْرِ لِلَّهِ وَإِتْمَامِهِ ، وَالْعِرْفَانِ بِالْجَمِيلِ لِأَهْلِهِ ؛ أَتَقَدَّمُ بِالشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ ، وَالْحَمْدِ عَلَى فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ ، فَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ أَوْلًا وَآخِرًا وَسِرًّا وَجَهَارًا وَلِيَالًا وَنَهَارًا .

والشكرُ ثانياً لمن تئى اللهُ بهما في الشكرِ بقوله : ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ... ﴾ [لقمان : ١٤] .

فلوالديَّ جزيلُ الشكرِ والامتنانِ على حُسْنِ تَرْبِيَّتِهِمَا وَجَمِيلِ رِعَايَتِهِمَا ، ﴿ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٤] .

ثم أتقدمُ بالشكرِ الجزيلِ لهذا الصَّرحِ العلميِّ الشَّامخِ - جامعةِ الإمامِ محمدِ بنِ سعودِ الإسلاميةِ التي أخذتُ على عاتقِها خدمةَ العِلْمِ وطُلَّابِهِ ، مُمَثِّلَةً بقائِدِ مَسِيرَتِهَا وَبِأَنِي نَهْضَتِهَا مَعَالِي الشَّيْخِ الأَسْتَاذِ الدُّكْتُورِ / سُلَيْمَانَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ أبا الخَيْلِ حَفْظَهُ اللهُ ورِعَاةُ ، وَجِزَاةُ عَنِي وَعَنْ طُلَّابِ الجَامِعَةِ خَيْرَ الجِزَاءِ وَأَوْفَرَهُ وَأَجْزَلَهُ .

كما أتوجَّهُ بالشُّكْرِ لِجَمِيعِ مَنْسُوبِي كَلِيَّةِ أَصُولِ الدِّينِ عَمِيداً وَوَكِيلاً وَأَسَاتِذَةً ، وَأَخْصُ بِالشُّكْرِ قِسْمَ القُرْآنِ وَعِلْمِهِ عَلَى إِعَانَتِي فِي إِعْدَادِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ .

ولشَيْخِي الكَرِيمِ وَمُوجِهي الفاضلِ فضيلةِ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ / تَرَكي بنِ سَعْدِ الهُوَيْمِلِ الأَسْتَاذِ المُشَارِكِ بِقِسْمِ القُرْآنِ وَعِلْمِهِ بِكَلِيَّةِ أَصُولِ الدِّينِ مِنَ الشُّكْرِ أَجْزَلَهُ ، وَمِنَ الثَّنَاءِ أَعْطَرَهُ ، وَمِنَ الدُّعَاءِ أَحْلَصَهُ عَلَى مَا حَبَّانِي بِهِ مِنْ وَافِرِ عِلْمِهِ ، وَمَا خَصَّنِي بِهِ مِنْ سَدِيدِ

الإخلاص في القرآن ————— المقدمة

رأيه ، وما أسداني من كريم خُلِقِه ، ونبيل أدبه ؛ مما كان له الأثر الكبير في ظهور الرسالة بهذا المظهر .

كما أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذين الكريمين والشيخين الجليلين :

- فضيلة الشيخ الدكتور : إبراهيم بن علي الحسن .

- وفضيلة الشيخ الدكتور : ناصر بن محمد الماجد .

الأستاذين المساعدين في قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين على قبولهما مناقشة

الرسالة وإبداء ملحوظاتهما عليها تقوياً لما اعوجج منها ، وتتميماً لنقصها ، وسدّاً لحللها .

ولا أنسى بالشكر كلاً من ساعدني في إنجاز هذا البحث برأي أو مشورة أو فكرة ،

فجزاهم الله عني خيراً .

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم .



الفصل الأول

بيان معنى الإخلاص ومفهومه

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه .

المبحث الثاني : إطلاقات الإخلاص في القرآن .

المبحث الثالث : الألفاظ التي ورد التعبير بها عن الإخلاص .

المبحث الأول

﴿ بيان معنى الإخلاص ومفهومه ﴾

الإخلاص لغةً : مصدر أخلص يخلص مأخوذ من مادة (خ ل ص) التي تدل على تنقية الشيء وتهذيبه .^(١)

خَلَصَ الشَّيْءُ خُلُوصاً ، إِذَا كَانَ قَدْ نَشِبَ ، ثُمَّ نَجَا وَسَلَمَ ، وَخَلَصَ فَلَانٌ إِلَى فَلَانٍ ، أَي : وَصَلَ إِلَيْهِ ، وَخَلَصَ الشَّيْءُ خَلَاصاً ، وَالخُلَاصُ يَكُونُ مَصْدَرًا لِلشَّيْءِ الخَالِصِ .
وَيُقَالُ : فَلَانٌ خَالِصَتِي وَخُلِصَانِي : إِذَا خَلَصْتَ مَوَدَّتَهُمَا .
وَيُقَالُ : هُوَ لَاءٌ خُلِصَانِي وَخُلِصَائِي .

وَتَقُولُ : هَذَا الشَّيْءُ خَالِصَةٌ لَكَ أَي : خَالِصٌ لَكَ خَاصَّةً .^(٢)

قال ابن فارس^(٣) : " الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد ، وهو تنقية الشيء وتهذيبه ، يقولون : خلصته من كذا ، وخلص هو ، وخالصة السمن : ما ألقى فيه من تمر وسويق ليخلص به " .^(٤)

وأخلص لله : ترك الرياء .^(٥)

(١) المفردات في غريب القرآن ٢٠٥/١ .

(٢) ينظر تهذيب اللغة [٦٥/٧] .

(٣) هو : أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ، يُكْنَى أبا الحسين ، أحد الأعلام الكبار في الفقه الشافعي وفي اللغة والتفسير ، وله كتب كثيرة من أشهرها : جامع التأويل في تفسير القرآن ، والمجمل في اللغة ، ومعجم مقاييس اللغة ، وغيرها ، توفي سنة ٣٩٥ هـ . انظر طبقات المفسرين للسيوطي [٢٦/١-٢٧] .

(٤) معجم مقاييس اللغة [٣٠٨/] .

(٥) القاموس المحيط [٨٣٩/١] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

فمدار الإخلاص في كتب اللغة على الصفاء والتميز عن الأوشاب التي تخالط الشيء ، يقال : هذا الشيء خالص لك ، أي : لا يشاركك فيه غيرك وتطلق العرب (الإخلاص) على الزُّبد إذا خلص من اللبن والثفل والخالص في لغة العرب : ما أخلصته النار من الذهب والفضة والخالص من الألوان عندهم ما صفا ونصع .^(١)

الإخلاص اصطلاحاً : قال الكفوي^(٢) : " الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يُعبد المعبود بها وحده ، وقيل : تصفية السر والقول والعمل " .^(٣)

وقال المناوي^(٤) : " الإخلاص : تخلص القلب من كل شوب يكدر صفاءه ، وكل ما يتصور أن يشوب غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص منه سُمِّي خالصاً .

وقيل : الإخلاص عمل يعين على الخلاص .

وقيل : الخلاص عن رؤية الأشخاص .

وقيل : تصفية العمل من التهمة والخلل " .^(٥)

وقال الجرجاني^(٦) : " الإخلاص ألا تطلب لعملك شاهداً غير الله تعالى .

(١) ينظر لسان العرب [٢٦/٧] .

(٢) هو : أيوب بن موسى الحسيني الكفوي يكنى بأبي البقاء كان من قضاة الأحناف من أشهر كتبه الكليات وله كتب باللغة التركية ، وتوفي عام ١٠٩٤ هـ في مدينة استانبول . ينظر الأعلام للزركلي [٣٨/٢] .

(٣) الكليات للكفوي [ص ٤١٤] .

(٤) هو : محمد بن عبد الرؤوف المناوي ولد سنة ٩٥٢ هـ بالقاهرة ، وهو من كبار العلماء والمصنفين ، وقد تفرغ للتأليف ، وقد بلغت مؤلفاته نحو ثمانين مصنفاً في مختلف الفنون والعلوم ، توفي سنة ١٠٣١ هـ . ينظر الأعلام للزركلي [٢٠٤/٦] .

(٥) التوقيف في مهمات التعاريف للمناوي [ص/٤٢] .

(٦) هو : علي بن محمد بن علي الحسيني ، من أكابر علماء اللغة والفلسفة ، له مصنفات عديدة تربو على الخمسين في مختلف العلوم والفنون ، وتوفي سنة ٨١٦ هـ في مدينة شيراز . ينظر الأعلام للزركلي [٧/٥] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

وقيل : هو تخلص القلب عن شائبة الشوب المُكَدَّر لصفائه الفطري وتحقيقه أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره ، فإذا صفا عن شوبه وخُلص عنه يسمى خالصاً ، قال تعالى :

﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَّأْنَا خَالِصًا ... ﴾ [النحل: ٦٦] .

فإنما خلوص اللبن ألا يكون فيه شوب من الفرث والدم ، ومن كل ما يمتزج به "هـ^(١) وعرفه العز بن عبد السلام^(٢) فقال : " الإخلاص أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده لا يريد بها تعظيماً من الناس ولا توقيراً، ولا جلب نفع ديني ولا دفع ضرر دنيوي "هـ^(٣) وقال سهل بن عبد الله^(٤) : " الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خالصة "هـ^(٥) .

قال الغزالي^(٦) بعد ذكره لهذا التعريف : " وهذه كلمة جامعة محيططة بالعرض "هـ^(٧)

(١) التعريفات للجرجاني [ص/٢٨] .

(٢) هو : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمى المغربي أصلاً ، الدمشقي مولداً، ثم المصري داراً ووفاة والشافعي مذهباً ، يكنى بأبي محمد ، ولقب بعدة ألقاب ، بعز الدين ، وشاع بين الناس الإمام العز، ولقب بسلطان العلماء لقبه به تلميذه ابن دقيق العيد ، كما لقب بشيخ الإسلام ، واتفق أنه ولد في دمشق ، واختلف في تحديد سنة ولادته، فقبل بدمشق سنة ٥٧٧ هـ . الأعلام للزركلي [٢١/٤] .

(٣) قواعد الأحكام [٩٩/١] .

(٤) هو : سهل بن عبد الله التستري ، أبو محمد التستري ، لقي ذا النون المصري ، وكان من الزهاد ، ولد سنة ٢٠٠ وتوفي سنة ٢٨٣ هـ . ينظر : حلية الأولياء [١٨٩/١٠] ، وفيات الأعيان [٢١٨/١] ، الأعلام للزركلي [٢١٠/٣] .

(٥) إحياء علوم الدين [ص/١٤٠٨] .

(٦) هو : محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الغزالي الشافعي ، برع في الفقه ، والكلام والجدل ، ولد بطوس سنة ٤٥٠ هـ ، وتوفي سنة ٥٠٥ هـ . ينظر : وفيات الأعيان [٢١٦/٤-٢١٩] ، سير أعلام النبلاء [١٩/٣٢٢-

٣٤٦] ، شذرات الذهب [١٣-١٠/٤] .

(٧) قواعد الأحكام [٩٩/١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

وبالنظر إلى التعريفين الأخيرين للإخلاص يظهر لزوم الدور عليهما إذ عرف الإخلاص بالإخلاص .

وقد تعددت تعاريف الإخلاص وتنوعت ، وحاصلها يمكن اختصاره في تعريف مختار هو: أن يجرد العبد أقواله وأفعاله من كل شائبة من شوائب الشرك ويفرد الله وحده بالقصد والعبادة دون ما سواه .

ووجه اختياري لهذا التعريف : أنه جمع بين التخلية وهي : تصفية القلب من شوائب الشرك، وبين التحلية وهي : إفراد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له ؛ فكان جامعاً مانعاً . ومن هنا يتبين التناسب والترابط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي ؛ إذ الإخلاص يهدف إلى تخليص القصد لله تعالى عن كل ما سواه ، وتصفية النيّة من شوائب الشرك والتوجه لله وحده بالعبادة .



المبحث الثاني

﴿ إطلاقات الإخلاص في القرآن ﴾

وردت كلمة الإخلاص في القرآن الكريم على أربعة أوجه حسب الاستقراء والتتبع لأي القرآن الكريم ، وإن كان الذين عنوا بالوجوه والأشباه والنظائر لم يذكروا تلك الإطلاقات ، إلا أنّ ابن الجوزي^(١) ذكرها في مواضع متفرقة من (زاد المسير) حسب ورودها في القرآن وهي على النحو الآتي :

الأول : أن تطلق ويراد بها الاصطفاء والاختيار .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ [ص: ٤٦] ، أي :

اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين فأفردناهم بمفردة من خصال الخير .^(٢)

وقال الأصمعي^(٣) : " الصفايا ما يصطفيه الرئيس لنفسه دون أصحابه مثل الفرس " .^(٤)

ومنه قوله تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مرم: ٥١] ، بفتح اللام على قراءة الكوفيين^(٥) أي مصطفى مختاراً .

(١) هو : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله البكري من ولد الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي الحنبلي الواعظ ، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم ، ولد سنة ٥١٠ هـ . ينظر طبقات المفسرين [ص/٦١] .

(٢) ينظر زاد المسير [٧ / ١٤٦] .

(٣) هو : عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي ، أبو سعيد الأصمعي ، راوية العُرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان ، كان كثير التطواف في البوادي ، ولد بالبصرة سنة ١٢٢ وتوفي بها سنة ٢١٦ هـ ، وكان يقول : احفظ عشرة آلاف أرجوزة ، وله تصانيف كثيرة ، وفيات الأغنيان [٣ / ١٤٤] .

(٤) المصباح المنير [ص/٢٨٢] .

(٥) الكوفيون هم : عاصم وحمزة والكسائي .

الإخلاص في القرآن = الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

وقوله تعالى عن يوسف عليه السلام : ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤] ،

بفتح اللام على قراءة الكوفيين ، أي : من الذين اختارهم الله واصطفاهم بالنبوة .

وأما قوله عز وجل : « خَلَصُوا بِحَيَاتِهِ » فمعناه تميزوا عن الناس يتناجون فيما أهمهم .^(١)

فالاصطفاء والتميز معنيان متلازمان فكل من اصطفى واختير على غيره فقد ميّز بهذا

الاصطفاء .

الثاني : الإخلاص بمعنى الخلوص من الشوائب .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ

فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦] .

قال ابن الجوزي : " والمعنى أَنَّ اللبن كان طعاماً ، فخلص من ذلك الطعام دم ، وبقي

منه فرث في الكرش ، وخلص من ذلك الدم « لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ » .

وروى أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « إذا استقر العلف في الكرش

طحنه فصار أسفله فرثاً ، وأعلاه دماً وأوسطه لبناً ، والكبد مسلّطة على هذه الأصناف الثلاثة

فيجري الدم في العروق ، واللبن في الضرع ، ويبقى الفرث في الكرش » .^(٢)

والمعنى : « لَبَنًا خَالِصًا » ، أي : صافياً من حمرة الدم ، وقذارة الفرث .

ومن الإطلاق القرآني بهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ... ﴾ [الزمر: ٣] .

أي : الصافي من شوائب الشرك والبدع والمعاصي ممّا يدل على الترابط بين المعنيين

اللغوي والاصطلاحي .

(١) تهذيب اللغة [٧/ ٦٥] .

(٢) زاد المسير [٤/ ٤٦٤] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

الثالث : الإخلاص بمعنى الاختصاص أو الخصوصية .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِن أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الأحزاب : ٥٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ... ﴾ [يوسف : ٥٤] .

قال النحاس^(١) : " أي أجعله خالصاً لي لا يشركني فيه أحد " .^(٢)

وقال النيسابوري^(٣) : " والاستخلاص طلب خلوص الشيء من شوائب الاشتراك " .^(٤)

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ

دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ٩٤] .

أي : خاصة بكم دون غيركم .

قال في البحر المحيط : ومعنى خالصة : أي مختصة بكم ، لا حظ في نعيمها لغيركم .^(٥)

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحْرَمٌ

عَلَىٰ أَرْوَاجِنَا ... ﴾ [الأنعام : ١٣٩] .

أي : خاص بالذكور دون الإناث .

(١) هو : أبو جعفر أحمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس النحوي المصري ، ولد في مصر ، وتوفي بها سنة ٣٣٨ هـ .

وفيات الأعيان [١١٧/١] .

(٢) معاني القرآن [٤٣٨/٣] .

(٣) هو : أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي صاحب التفسير المشهور ، وكان أوحد زمانه في علم

القرآن ، عالماً بارعاً في العربية ، حافظاً موثقاً ، مات في المحرم سنة ٤٢٧ هـ . طبقات المفسرين للسيوطي [ص/٢٨] .

(٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان [١٠٠/٤] .

(٥) البحر المحيط [٤٩٧/١] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۗ

قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... ﴾ [الأعراف: ٣٢] .

أي : خاصة بالمؤمنين يوم القيامة دون غيرهم .

الرابع : الإخلاص بمعنى التوحيد وبمعنى التطهير على بعض القراءات ، والإخلاص بمعنى

التوحيد هو الغالب على آيات الإخلاص في القرآن .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ

أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٩] .

أي : موحدون مفردوا العبادة لله تعالى خالصة من الشرك .

قال ابن جرير^(١) : " فأما قوله : « وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ » فإنه يعني : ونحن لله مخلصو

العبادة والطاعة لا نشرك به شيئاً ولا نعبد غيره أحداً كما عبد أهل الأوثان معه الأوثان

وأصحاب العجل معه العجل " .^(٢)

وقال الو احدي^(٣) : " « وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ » موحدون " .هـ^(٤)

(١) هو : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ، صاحب التفسير الكبير ، والتاريخ الشهير ، ولد

سنة ٢٢٤ هـ بآمل طبرستان ، وتوفي سنة ٣١٠ هـ ببغداد ، ينظر : تاريخ بغداد [٦٢١/٢] ، والتاج المكلل

[ص/١٠٠] ، وطبقات المفسرين للسيوطي [ص/٩٥] .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن [٥٧٢/١] .

(٣) هو : علي بن أحمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري ، كان واحد عصره في التفسير لازم أبا إسحاق الثعلبي ،

صنف التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز وغيرها ، وتصدر للإفادة وللتدريس مدة ، وله شعر حسن ، مات في

جمادى الآخرة سنة ٤٦٨ هـ . ينظر طبقات المفسرين للسيوطي [ص/٧٨] .

(٤) الوجيز [١٣٤/١] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

ومنه قوله تعالى في شأن المنافقين : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ

وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ [النساء: ١٤٦] .

فقوله : « وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ » يعني : بتوحيدهم لله بالإخلاص .^(١)

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ

وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٩] .

قال الماوردي^(٢) : « وَاذْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني أقروا له بالوحدانية وإخلاص الطاعة .

والثاني : ارغبوا إليه في الدعاء بعد إخلاصكم له الدين .^(٣)

ومنه قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ

وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

وظَنُّوا أَنَّهُمُ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ

مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [يونس : ٢٢] ، ومثله قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوُا اللَّهَ

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٥] .

(١) البحر المحيط [٤٧٨/١] .

(٢) هو : علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي ، كان حافظا للمذهب ، عظيم القدر ، مقاما عند السلطان ، له المصنفات الكثيرة في كل فن ، واتهم بالاعتزال ، ونفاها السبكي ، ولكنه يقول بالقدر ، وهي البلية التي غلبت على أهل البصرة مات سنة ٤٥٠ هـ عن ٨٦ سنة . ينظر طبقات السيوطي [ص/٨٣-٨٤] .

(٣) النكت والعيون [٢١٧/٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

وقوله : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ... ﴾ [لقمان: ٣٢].

وقوله تعالى : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ١٤].

وقوله أيضاً : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥] .

وقوله : ﴿ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ... ﴾ [البينة: ٥] .

وكل هذه الإطلاقات الأربع تصب في معنى الإخلاص لله تعالى باختياره سبحانه رباً ومعبوداً حقاً ، وتخليص الأعمال وتطهيرها من شوائب الشرك والبدع والمعاصي ، وجعلها خاصة لله تعالى في القصد والتوجه ، وبهذا يتبين سعة لفظ الإخلاص ، وتعدد مدلولاته في القرآن ؛ نظراً لاختلاف السياق القرآني ، والذي له أثر كبير في بيان معاني الألفاظ ودلالاتها .



المبحث الثالث

﴿ الألفاظ التي ورد التعبير بها عن بالإخلاص ﴾

وردت ألفاظ مترادفة في الدلالة على معنى الإخلاص في مواضع متعددة من القرآن الكريم وهي على النحو الآتي :

الأول : لفظ الابتغاء نحو قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ... ﴾ [البقرة: ٢٧٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[النساء: ١١٤] . وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ [الليل: ٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ

فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾ [الحشر: ٨] .

وقوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ

تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ... ﴾ [محمد: ٣٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ... ﴾ [الرعد: ٢٢] .

فهذه الآيات وغيرها في كتاب الله جاءت بالدلالة على معنى الإخلاص لله تعالى بلفظ

الابتغاء الدال على القصد والطلب لمرضات الله ورضوانه وفضله ؛ ولهذا تتابعت أقوال أهل

التفسير في تقرير هذا المعنى الجليل .

الإخلاص في القرآن = الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

فقال إمام المفسرين أبو جعفر الطبري في تفسير قوله تعالى : " « وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ » : ويعني بقوله : « ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ » : طلب تعظيم الله وتنزيهاً له أن يخالف في أمره أو يأتي أمراً كره إتيانه فيعصيه به " .^(١)

وقال ابن عطية^(٢) في الآية : " الصبر لوجه الله يدخل في الرزايا والأسقام والعبادات ، وعن الشهوات ونحو ذلك . وابتغاء نصب على المصدر أو على المفعول لأجله والوجه في هذه الآية ظاهره الجهة التي تقصد عند الله تعالى بالحسنات لتقع عليها المثوبة ، وهذا كما تقول: خرج الجيش لوجه كذا وهذا أظهر ما فيه مع احتمال غيره " .^(٣)

والسر- والله أعلم - في تقييد الصبر بالإخلاص لله : أن الإنسان قد يصبر لأسباب وأغراض مادية دنيوية يرجو حصولها ويقصد تحقيقها .

قال الخازن^(٤) : " وإنما قيد الصبر بقوله : « ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ » ؛ لأنَّ الصبر ينقسم إلى

نوعين :

الأول : الصبر المذموم وهو أن الإنسان قد يصبر ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته على ما تحمل من النوازل وقد يصبر لثلاث يعاب على الجزع ، وقد يصبر لثلاث تشمت به الأعداء ،

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن [١٤١/١٣] .

(٢) هو : الإمام القاضي ، والفقير الحافظ ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية ، الإمام الكبير ، قدوة المفسرين أبو محمد الغرناطي القاضي ، له التفسير المشهور (المحرر الوجيز) ، ولد سنة ٤٨٠ هـ ومات في رمضان سنة ٥٤١ هـ ، ينظر طبقات المفسرين للسيوطي [ص/٦٠] ، وطبقات المفسرين للدودي [٢٦٠/١] .

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز [١٦١/٨] .

(٤) هو : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشافعي ، المعروف بالخازن ، عالم بالتفسير والحديث ، ولد ببغداد ، وسكن دمشق مدة ، وصار فيها خازن الكتب بالمدرسة السمساطية ، توفي بحلب سنة ٧٤١ هـ . ينظر معجم المؤلفين [١٧٧/٧] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

وكل هذه الأمور وإن كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخلاً تحت قوله : « ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ » ؛ لأنه لغير الله تعالى .

النوع الثاني : الصبر المحمود وهو أن يكون الإنسان صابراً لله تعالى راضياً بما نزل به من الله طالباً في ذلك الصبر ثواب الله محتسباً أجره على الله ، فهذا هو الصبر الداخِل تحت قوله : « ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ » ، يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيماً لله وطلب رضوانه " .^(١)

وقال أبو السعود العمادي^(٢) في تفسيره : " والذين صبروا على كل ما تكرهه النفس من الأفعال والتروك ، ابتغاء وجه ربهم طلباً لرضاه خاصة من غير أن ينظر إلى جانب الخلق رياء وسمعة ، ولا إلى جانب النفس زينة وعجباً ، وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الأمر في كل ما ذكر من الصلوات السابقة واللاحقة أورد على صيغة الماضي اعتناء بشأنه ودلالة على وجوب تحققه فإن ذلك مما لا بُدَّ منه " .^(٣)

وأكد الشوكاني^(٤) هذا المعنى فقال : " ومعنى كون ذلك الصبر لابتغاء وجه الله أن يكون خالصاً له لا شائبة فيه لغيره " .^(٥)

والمقصود من هذا الدلالة على الإخلاص بلفظ الابتغاء الوارد في الآية ، فتبين بهذا ورود الإخلاص بلفظ الابتغاء الدال على طلب رضوان الله والرغبة فيما عنده .

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل [٤٤٦/٣] .

(٢) هو : محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، له عدة مؤلفات أشهرها تفسيره الذي سماه (إرشاد العقل السليم) ، توفي سنة ٩٨٢ هـ . ينظر : طبقات المفسرين لأحمد الأدنوي [ص/٣٩٨-٣٩٩] ، كشف الظنون [١/٦٥-٢٤٧] .

(٣) تفسير أبي السعود [١٧/٥] .

(٤) هو : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني ، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء ، ولد بهجرة شوكان باليمن سنة ١١٧٣ هـ ، وتوفي سنة ١٢٥٠ هـ . ينظر التاج المكلل [ص/٤٥٢] .

(٥) فتح القدير [٧٨/٣] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

وقد ساق ابن رجب ^(١) هذه المواضع الواردة في القرآن عند شرحه لحديث النية فقال :

" وقد يعبر عنها - أي النية - في القرآن بلفظ الابتغاء ، كما في قوله : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ [الليل : ٢٠] .

وقوله : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ... ﴾ [البقرة: ٢٦٥] .

وقوله : ﴿ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ... ﴾ [البقرة : ٢٧٢] .

وقوله : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ^ع وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٤] " . ^(٢)

الثاني : التعبير عن الإخلاص بلفظ الإرادة نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ

وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء : ١٩] .

وقوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ^ط ... ﴾ [الشورى : ٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا .. ﴾ [هود : ١٥] .

(١) هو : زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين ، أبي العباس أحمد بن حسن بن رجب ، توفي سنة ٥٧١ هـ .

ينظر : التاج المكلل [ص/٣٣٣] ، وذيل طبقات الحنابلة [ص/٣٦] .

(٢) جامع العلوم والحكم [١/٦٦] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

وحول هذا اللفظ الدال على الإخلاص يقول ابن رجب : ولذلك يعبر عنها - أي النية - بلفظ الإرادة في القرآن كثيراً ، كما في قوله تعالى : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ... ﴾ [آل عمران: ١٥٢] . وقوله تعالى : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧] .

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ... ﴾ [هود: ١٥] .

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ ... ﴾ [الشورى: ٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ... ﴾

[الإسراء: ١٨] .

وقوله : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ... ﴾

[الأنعام: ٥٢] .

وقوله : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا ... ﴾ [الكهف: ٢٨] .

وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[الروم: ٣٨] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لَيْرَبُوا فِيْ أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا

آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩] .

فظهر بهذا دلالة لفظ الإرادة على الإخلاص لله تعالى إذا أراد العبد بنيته وجه الله والدار

الآخرة كما يظهر من سياق الآيات .

الإخلاص في القرآن = الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

الثالث : لفظ الرجاء ، نحو قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ... ﴾

[الكهف: ١١١] . وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ... ﴾ [البقرة: ٢١٨] .

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ... ﴾ [العنكبوت: ٥] ،

وقوله تعالى : ﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ... ﴾ [العنكبوت: ٣٦] . وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾ [يونس: ٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ... ﴾ [الإسراء: ٥٧] . وغيرها

من الآيات .

قال ابن الجوزي : " وذكر أهل التفسير بأنَّ الرجاء في القرآن على وجهين :

أحدهما : الأمل ، ومنه قوله تعالى في البقرة : ﴿ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ... ﴾

[البقرة: ٢١٨] .

وفي بني إسرائيل : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ... ﴾ [الإسراء: ٥٧] ، وهو الأعم بالقرآن .

والثاني : الخوف ، ومنه قوله تعالى في سورة يونس : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

لِقَاءَنَا ... ﴾ [يونس: ٧] .

وفي سورة الكهف : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ... ﴾ [الكهف: ١١١] .

وفي سورة الفرقان : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ... ﴾ [الفرقان: ٢١] .

وفي سورة العنكبوت : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ ... ﴾ [العنكبوت: ٥] ، وفيها أيضاً :

﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ... ﴾ [العنكبوت: ٣٦] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

وفي سورة نوح : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣] .

وفي سورة عم يتساءلون : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ [النبأ: ٢٧] .^(١)

وقد يكون هذا منه على سبيل الإجمال ، وإلا فقد وردت كلمة الرجاء في القرآن على عدّة أوجه ، حسب الاستقراء والتبّع لسياق الآيات وأقوال المفسرين في دلالة كل موضع ، وهي : الخشية ، والخوف ، العلم ، الطمع ، عدم المبالاة بالشيء ، ترقّب حصول الخير والثواب ، الترك والتأخير ، ناحية الشيء .

ولستُ بصدد بيان هذه الأوجه ومواضعها من القرآن ، وإنما أكتفي ببيان ماله صلة بمعنى الإخلاص وهي ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : الخشية والخوف ، ومنه قوله تعالى : « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ » .

فقد أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير^(٢) في قوله : « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ » ، قال : " من كان يخشى البعث في الآخرة " .

وهو اختيار مقاتل بن سليمان^(٣) .^(٤)

وقال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ... ﴾ [العنكبوت: ٥] ،

عن سعيد بن جبير في قوله : « مَنْ كَانَ يَرْجُوا » قال : " من كان يخشى " .^(٥)

(١) نزهة الأعين النواظر [ص/١٣١] .

(٢) هو : سعيد بن جبير بن هشام ، الأسدي بالولاء ، مولى بني والبة بن الحارث بطن من بني أسد بن خزيمية ؛ كوفي ، أحد الأعلام التابعين مات سنة ٩٤ هـ بواسط . ينظر وفيات الأعيان [٣١١/٢] .

(٣) هو : مقاتل بن سليمان الأزدي الخرساني ، كنيته أبو الحسن ، وكان مشهوراً بالتفسير ، قال عنه الشافعي : الناس عيال على مقاتل في التفسير ، وتوفي سنة : ١٥٠ هـ . ينظر : طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي [ص/٢٠] .

(٤) تفسير مقاتل [٣٠٤/٢] .

(٥) تفسير القرآن لابن أبي حاتم [٣٠٣٤/٩] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

وهو اختيار ابن أبي زمنين^(١)،^(٢) ومقاتل^(٣) ونسبه البغوي^(٤) إلى ابن عباس^(٥).^(٦)

وقال تعالى : ﴿ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ... ﴾ [العنكبوت: ٣٦] .

قال أبو عبيدة^(٧) : " واخشوا اليوم الآخر " .^(٨) وبه قال جمع من المفسرين .

فكان الحامل له على الإخلاص لله تعالى خشيته جلّ وعلا والخوف منه ، فعبر عنه

بلازمه ، فصار لفظ الرجاء دالاً على معنى الإخلاص .

الوجه الثاني : الطمع ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا

وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ... ﴾ [البقرة: ٢١٨] .

قال ابن زمنين : " أي يطمعون في رحمته يعني الجنة " .^(٩)

(١) هو : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى الأندلسي ، شيخ قرطبة ، من أهل الزهد والصلاح ، ولد سنة ٣٢٤ هـ ، وعاصر عددا من العلماء بالأندلس . توفي سنة ٣٩٩ هـ . ينظر سير أعلام النبلاء [١٨٨/١٧-١٨٩] .

(٢) تفسير القرآن العزيز [٣/٣٤٠] .

(٣) ينظر تفسير مقاتل [٥١١/٢] .

(٤) هو : الحسين بن مسعود بن محمد ، أبو محمد المعروف بالفراء البغوي ، الشافعي ، الفقيه ، المحدث ، المفسر ، كان من العلماء الريانيين ، وكان ذا تعبد ونسك ، وقناعة باليسير ، مات سنة ٥١٦ هـ . ينظر: سير أعلام النبلاء [٤٣٩-٤٤٣/١٩] ، تذكرة الحفاظ [١٢٥٧/٤-١٢٥٩] ، وفيات الأعيان [١٣٦/٢] .

(٥) هو : عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، أبو العباس ، ابن عم رسول الله ﷺ ، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية ، ولد قبل الهجرة بثلاث ، وقيل بخمس ، والأول أثبت ، مات بالطائف سنة ٦٨ هـ على الصحيح . ينظر الإصابة [٦/٢٢٨] .

(٦) ينظر معالم التنزيل للبغوي [٣/٤٦١] .

(٧) هو : معمر بن المنثى التيمي ، بصري لغوي حافظ ، وثقه أهل العلم ، وكان يتهم برأي الخوارج ، وكان عالما بالشعر والغريب والأنساب والأخبار ، توفي سنة ٢٢٠ هـ ، وقيل : سنة ٢٠٩ هـ . انظر تذكرة الحفاظ [١/٢٧١-٢٧٢] .

(٨) مجاز القرآن [١/٩٥] .

(٩) تفسير القرآن العزيز لابن زمنين [١/٢١٨] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

وقال ابن عطية : " قوله « يَرْجُونَ » معناه : يطمعون ويستقربون ، وقد قيل : إِنَّ الرجاء في الآية على بابيه ، أي لا يرجون الثواب في لقائنا " . (١)

وقال الخازن : " أي يطمعون في نَيْلِ رحمة الله ، أخبر أنهم على رجاء الرحمة " . (٢)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ... ﴾ [يونس : ٧] ، أي لا

يطمعون في ثوابنا كما قال سوار بن المضرب (٣) :

أترجو بني مروان سَمعي وطَاعتي * * * وقومي تميمُ والفلاةُ ورائيا .

ومن المواضع الدالة على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ

عَذَابَهُ ... ﴾ [الإسراء : ٥٧] ، فقد فسرها مقاتل بن سليمان ، والدامغاني (٤) بالطمع .

وهذا ظاهر في الدلالة على معنى الإخلاص من حيث طمع العامل فيما عند الله من

الثواب القاطع للنية عن قصد غير الله تعالى .

الوجه الثالث : ترُقُب حصول الخير والثواب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَتَرَجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا

لَا يَرْجُونَ ... ﴾ [النساء : ١٠٤] .

أي : تترقبون نصره جلَّ وعزَّ وإعلاء كلمته وحصول الأجر والثواب على جهادكم .

(١) المحرر الوجيز [٢٢٦/٢] .

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل [٢٦٩/١] .

(٣) هو : سوار بن مضرب السعدي أحد بني ربيعة بن كعب بن زيد مناة ، من قبيلة بني تميم ، وهو من شعراء الإسلام المشهورين في القرن الثاني من الهجرة . ينظر المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء للآمدي [٨٣/١] .

(٤) هو : حسين بن محمد بن إبراهيم ، يكنى بأبي عبد الله الدامغاني ، وينسب إلى دامغان بلدة بين الري ونيسابور ، وله مؤلفات عديدة في علوم القرآن، توفي سنة ٤٧٨ هـ . ينظر : شذرات الذهب [١١٤/٧] ، والأعلام للزركلي [٢٥٤/٢] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

قال الواحدي في قوله : « وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ » : " أي : من نصر الله إياكم وإظهار دينكم في الدنيا وثوابه في العقبى " .^(١)

والمتمم لهذه الأوجه الثلاثة يظهر له ارتباطها الوثيق ودلالاتها على الإخلاص لزوماً ؛ إذ إنَّ من خشى الله طمع فيما عنده وترقَّب حصول ثوابه مما يلزم إفراده جلَّ وعزَّ بالتوجه والقصد.

الرابع : لفظ إسلام الوجه ، نحو قوله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ... ﴾ [البقرة: ١١٢] ، وأسلم بمعنى : أخلص .

وفي ورود الوجه في القرآن عدَّة إطلاقات ذكرها أهل التفسير ، أذكر منها ماله تعلق بالدلالة على الإخلاص ، وهي كما يلي :

الأول : أن يُراد به الدين ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ... ﴾ [النساء: ١٢٥] ، أي : أخلص دينه لله .

وكذا قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ... ﴾ [لقمان: ٢٢] .^(٢)

وقد ذكر محمد بن نصر المروزي^(٣) أن عبد الملك بن مروان كتب إلى سعيد بن جبير فأجابته : " سألت عن الإسلام ، فالإسلام : الإخلاص قال تبارك وتعالى لإبراهيم : « أَسْلِمَ » يقول : أخلص ، « مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ » يقول : من أخلص دينه لله ، وتساءل عن

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي [٢٨٧ / ١] .

(٢) ينظر نزهة الأعين النواظر [ص/٣٠٠] .

(٣) هو : محمد بن نصر بن الحجاج المروزي ، ولد ببغداد سنة ٢٠٢ هـ ، ونشأ بنيسابور ، وسكن بسمرقند ، وتوفي في شهر المحرم سنة ٢٩٤ هـ بسمرقند . ينظر سير أعلام النبلاء [٣٣/١٤] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

الإخلاص؟ فالإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله ، فلا يرئى بعمله أحداً ، ويكون ذلك في سبيل الحق كله ، فذلك الإخلاص " . (١)

وتأويل الكلام : بلى من أخلص طاعته لله وعبادته له محسناً في فعله ذلك .

وقال القرطبي^(٢) : " ومعنى « أَسْلَمَ » : استسلم وخضع ، وقيل : أخلص عمله ، وخصَّ الوجه بالذكر لكونه أشرف ما يُرى من الإنسان، ولأنَّه موضع الحواس، وفيه يظهر العزَّ والذلَّ، والعرب تخبر بالوجه عن جملة الشيء، ويصح أن يكون الوجه في هذه الآية المقصد" . (٣)
قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤) : " وقد فسَّرَ إسلام الوجه لله بما يتضمن إخلاص قصد

العبد لله بالعبادة له وحده وهو محسن بالعمل الصالح المشروع المأمور به " . هـ (٥)

الخامس : لفظ في سبيل الله ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ

فِي الْأَرْضِ مَرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ... ﴾ [النساء : ١٠٠] .

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ [البقرة : ٢٦٢] .

(١) تعظيم قدر الصلاة [٥٦٦/٢] .

(٢) هو : محمد بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي ، مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان ، والتذكرة في أحوال الموت وأمور الآخرة ، سمع من ابن رواج ومن الجميزي وعدة ، وروى عنه بالإجازة ولده شهاب الدين أحمد ، قال الذهبي : إمام متفنن متبحر في العلم ، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته ، وكثرة إطلاعه ووفور فضله ، مات بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى سنة ٦٧١ هـ . ينظر : طبقات المفسرين للسيوطي [ص/٩٢] ، طبقات المفسرين للداودي [٦٥/٢] .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [٣١٩/٢] .

(٤) هو : أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني نزيل دمشق ، وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها ، ولد بجران يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ ، وتوفي سنة ٧٢٨ بالقلعة مسجوناً . ينظر العقود الدرية لابن عبد الهادي [ص/٣] .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم [٤٥١/١] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه

قال ابن جرير الطبري : " وإنما شرط ذلك في المنفق في سبيل الله وأوجب الأجر لمن كان غير مانٍّ ولا مؤذ من أنفق عليه في سبيل الله ؛ لأنَّ النفقة التي هي في سبيل الله مما ابتغى به وجه الله وطلب به ما عنده، فإذا كان معنى النفقة في سبيل الله هو ما وصفنا ، فلا وجه لِمَنْ المنفق على من أنفق عليه ؛ لأنَّه لا يد له قِبَله ، ولا صنِعة يستحق بها عليه إن لم يكافئه عليها المَنِّ والأذى ، إذ كانت نفقته ما أنفق عليه احتساباً وابتغاءً ثواب الله ، وطلب مرضاته ، وعلى الله ثبوته دون من أنفق ذلك عليه ، ونحن المعنى الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل " . ه (١)

ولهذا قال فخر الدين الرازي (٢) في تفسير قول الله تعالى : « وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ » : وهذه الآية آية شريفة مشتملة على أسرار روحانية ، ونحن نشير هاهنا إلى واحد منها ، وهو أن من يعبد الله تعالى فريقان ، منهم من يعبد الله لا لغرض سوى الله ، ومنهم من يعبده لغرض آخر .

والمقام الأول : هو المقام الشريف العالي ، وإليه الإشارة بقوله : « وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ » ، أي : من سبيل عبوديته وطريق الإخلاص في معرفته " . ه (٣)

وبهذا تظهر الألفاظ التي وردت في القرآن بمعنى الإخلاص ؛ ليتبين القارئ للقرآن دلالاتها ومعانيها ، ويدرك سعة ألفاظ القرآن ، وأثر السياق القرآني في فهم معاني كلام الرحمن .



(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٤/٦٥٥) .

(٢) هو : محمد بن عمر بن الحسن بن علي البكري الطبرستاني ، فخر الدين الرازي ، من كبار المتكلمين ، وأحد أئمة

الأشاعرة المخالفين لطريقة السلف ، توفي سنة ٦٠٦ هـ . ينظر طبقات المفسرين للداوودي [١/٤٤٠] ، [٢/٢١٥] .

(٣) التفسير الكبير [١١/٣٥٠] .

الفصل الثاني

أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : الإخلاص ميدان التفاضل .

المبحث الثاني : عزة الإخلاص وعظم موقعه .

المبحث الثالث : شموله لمناحي الحياة .

المبحث الرابع : أثره في العمل .

وفيه ستة مطالب :

١- أثره في قبول العمل .

٢- أثره في إجابة الدعاء .

٣- أثره في حصول الشفاعة .

٤- أثره في مضاعفة الأجر .

٥- أثره في قبول التوبة .

٦- أثره في وقوع الأجر من غير عمل .

المبحث الخامس : تسمية بعض سور القرآن باسم الإخلاص .

وفيه مطلبان :

١- سورة الإخلاص : ((قل يا أيها الكافرون)) .

٢- سورة الإخلاص : ((قل هو الله أحد)) .

المبحث الأول

﴿ الإخلاص ميدان التفاضل ﴾

إنَّما يتفاضل الناس عند الله بتفاضل ما في قلوبهم من الإخلاص وحُسن القصد والخشية لله تعالى ، فهو الميزان عند الله تعالى ، فمن كان لله أتقى ولعبادته أخلص كان لله أقرب ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَدُّكُمْ ... ﴾ [الحجرات: ١٣] .

والتقوى والإخلاص محلها القلب ، لا يطلع عليهما أحد إلا الله ، ولهذا ختم الآية الكريمة باسمين كريمين دالِّين على علمه بالمتقين ، كما صرَّح بهذا في غير ما آية ، كما قال في سورة التوبة : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤٤] ، وهنا قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

وهذا التفاضل يعطي الإخلاص أهمية كبرى ومنزلة عظمى يتنافس ويتسابق إليها المشتمرون .

وقد حاز قصب السبق في هذا الميدان أنبياء الله ورسله عليهم الصلوة والسلام الذين أخلصوا دينهم لله ، فاستحقوا المنازل العالية ، والفضائل العظيمة ، وهم أيضاً متفاضلون فيما بينهم على قدر تقواهم لله وخشيتهم وإخلاصهم له ، كما قال سبحانه : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾

[الإسراء: ٥٥] ، وإثبات التفاضل بين الأنبياء والرسل لا يعني انتقاص المفضل أو الحط من

الإخلاص في القرآن = الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

قدره، فإنَّ هذا مما نهي عنه النَّبي ﷺ بقوله : « لا يقولنَّ أحدكم إني خير من يونس بن متى .. » (١).

كما أنَّه لا يقتضي حصر التفاضل فيما ذكرت فحسب بل في جوانب شتى من الخصائص والكتب والشرائع وكثرة الأتباع وغيرها ممَّا هو متقرر عند أهل العلم . (٢)

ولهذا أعقب سبحانه آية التفاضل في سورة الإسراء بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦] .

فقد أشار بقوله : « أولئك » إلى المدعوين من دونه تعالى من الأنبياء والمرسلين وغيرهم من الصالحين ، وبين حالهم في التنافس في القرب من الله تعالى ، وابتغاء مرضاته بقوله : « أيهم أقرب » ، وهذا القرب إمَّا يكون بحسب ما قام بالقلب من المحبة لله ورجاء رحمته وخوف عذابه والتي هي أركان العبادة الحقَّة .

قال ابن سعدي (٣) : " وهذه الأمور الثلاثة : الخوف ، والرجاء ، والمحبة ، التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده هي الأصل والمادة في كل خير ، فمن تمت له أموره ، وإذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور ، وعلامة المحبة ما ذكره الله أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله ، وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله ، والنصح

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : « وإنَّ يونس لمن المرسلين » ، برقم (٣٤١٢) ، ولفظه : « لا يقولنَّ أحدكم إني خير من يونس » ، زاد مُسَدَّد : « يونس بن متى » .

(٢) للاستزادة ينظر فتح الباري [٥٢٠/٦] .

(٣) هو : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن حمد آل سعدي ، وأسرة آل سعدي ينتهون في نسبهم إلى آل مقيد ، وهم فخذ من بني العنبر من بني عمرو من قبيلة بني تميم ، ولد في مدينة عنيزة بالقصيم ١٢ محرم سنة ١٣٠٧هـ ، وقد نشأ يتيمًا في بيت أخيه الأكبر حمد ، له مؤلفات كثيرة نافعة ، توفي سنة ١٣٧٦هـ بعنيزة . ينظر علماء نجد [٢١٨/٣] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

فيها ، وإيقاعها على أكمل الوجوه المقدور عليها ، فمن زعم أنه يحبُّ الله بغير ذلك فهو كاذب " . ه (١)

فالتفاضل إنما يكون بالإرادات والنيّات لا بالصّوم والصّلاة وسائر القربات فحسب .
قال بكر المُرَني (٢) في شأن الصديق الأكبر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « والله ما سبقهم أبو بكر بصلاة ولا صوم ، ولكن بشيء وَقَرَ في قلبه » . ه (٣)

فما الذي وَقَرَ في قلبه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؟ ! إِنَّهُ الصديق والإخلاص لله تعالى ، والإيمان به ، الذي نال به الفضل على هذه الأمة ، على أنه سابق لهم في كثرة الأعمال ، لكن المعول عليه ما في القلب من الإخلاص واليقين والإيمان بالله وشهود جلاله وعظمته وكبريائه ، واستحقاقه للعبودية ، وتفرد بالألوهية ، واستحضار ثوابه وحسن جزائه ، فهو ميدان فسيح ، وباب واسع لا يعلم قدره إلا الله ، ولا يحيط بتفاوته ومراتبه ودرجاته إلا العليم بذات الصدور ، فالأعمال تتفاضل بتفاضل قلوب العاملين .

قال ابن القيم (٤) : " فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها " . ه (٥)

(١) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن [ص/٥٣٦] .
(٢) هو : بكر بن عبد الله بن عمرو بن هلال المزني أبو عبد الله البصري ، تابعي ثقة ، روى له الجماعة ، قال البخاري : مات سنة ست ومئة . ينظر : مشاهير علماء الأمصار لابن حبان [ص/٩٠] ، وتهذيب الكمال [٢١٦/٤] .
(٣) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول [١٤٨/١] .
(٤) هو : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرعي ، ثم الدمشقي الحنبلي ، الشهير بابن القيم الجوزية ، ولد سنة ٦٩١ هـ في السابع من شهر صفر ، وتوفي ليلة الخميس ١٣ رجب وقت أذان العشاء سنة ٧٥١ هـ . ينظر : ذيل طبقات الحنابلة [٤٤٧/٤] ، ابن القيم الجوزية حياته آثاره موارد ت/ بكر بن عبد الله أبو زيد .
(٥) الوابل الصيب [ص/٢٦] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

ومن الآيات الدالة على هذا المعنى الجليل قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران : ١٦٢-١٦٣] ، فَإِنَّ اللَّهَ فَارَقَ بَيْنَ مَنْ أَتْبَعَ رِضْوَانَهُ وَبَيْنَ مَنْ اسْتَحَقَّ سَخَطَهُ وَمَعْصِيَتَهُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى ، ثُمَّ أَعَادَ الضَّمِيرَ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى مُتَّبِعِي رِضْوَانِهِ عَلَى أَحَدِ قَوْلِي أَهْلِ التَّفْسِيرِ ، وَبَيَّنَّ أَنََّّهُمْ مَتَفَاوَتُونَ مَتَفَاضِلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ ، وَذَلِكَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - بِحَسَبِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ، بِدَلِيلِ خَتْمِ الْآيَةِ بِبَيَانِ إِطْلَاعِهِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَعِلْمِهِ بِهَا فَقَالَ : ((وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ)) .

ومن الآيات القرآنية في هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْأَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ٩] .

قال برهان الدين البقاعي^(١) : " ((قانت)) أي : مُخْلِصٌ فِي عِبَادَتِهِ اللَّهُ تَعَالَى دَائِمًا ، ((آناء الليل)) أي : جميع ساعاته . وَلَمَّا كَانَ الْمَقَامَ لِلْإِخْلَاصِ ، وَكَانَ الْإِخْلَاصُ أَقْرَبَ مَقْرَبٍ إِلَى اللَّهِ لِأَنَّهُ التَّجَرُّدُ عَنِ جَمِيعِ الْأَغْيَارِ ، وَكَانَ السُّجُودُ أَلْيَقَ الْأَشْيَاءِ بِهَذَا الْحَالِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ أَقْرَبَ مَقْرَبٍ لِلْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ ، لِأَنَّهُ خَاصٌّ بِاللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ : ((وَقَائِمًا)) أي : وقاعداً ، وَعَبَّرَ بِالْإِسْمِ تَنْبِيْهًا عَلَى دَوَامِ إِخْلَاصِهِ فِي حَالِ سَجُودِهِ وَقِيَامِهِ " هـ^(٢)

(١) هو : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، ولد بالبقيع سنة ٨٠٩ هـ ، وتوفي سنة

٨٨٥ هـ . ينظر التاج المكلل [ص/٣٦٦] .

(٢) نظم الدرر [٤٦٦/١٦] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

فهذه الآية الكريمة دلّت على أنّ تفاضل النَّاس فيما بينهم بحسب علمهم بالله تعالى ، وما يستحقه من الإجلال والتعظيم ، وما يترتب عليه من التوجه إليه وحُسن القصد له ، وابتغاء مرضاته ، فهو الدافع للاجتهاد في العبادة .

ومما يجدر التنبيه عليه هنا : أنّ بعضهم يستدل بعجز هذه الآية على فضل العلم والعلماء دون أن يربط ذلك بسباق الآية وسياقها الدالّين على أهمية اقتران العلم النَّافع بالعمل الصَّالح ، وإلاّ فمجرّد العلم دون عمل إن لم يضُرَّ صاحبه لم ينفعه .

وبكل حال فإنّ مدار التفاضل عند الله تعالى على عمل القلب من الإخلاص لله تعالى والإيمان به والتوكل عليه وإيثار مرضاته .

قال ابن القيم : " فإنّ الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنّما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب " هـ^(١)

وبهذا يظهر أثر الإخلاص في التفاضل عند الله تعالى ، وأنّ المعوّل عند الله سبحانه على ما في القلوب ، ممّا يؤكد على أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم ، ويوجب على العبد المرید نجاته عنايته بإخلاصه لله تعالى في أقواله وأفعاله وشأنه كله ، ليحظى بالفضل العظيم عند الله تعالى ، ويترقّى في درجات المخلصين .



(١) مدارج السالكين [٣٤٠/١] .

المبحث الثاني

﴿ عِزَّةُ الْإِخْلَاصِ وَمِعْظَمُ مَوْقِعِهِ ﴾

إنَّ المتأمل لآي القرآن الكريم والمتدبر لها يجد أنَّ الإخلاص قد أخذ حيزاً كبيراً من حديث القرآن والتنويه بشأنه وبيان موقعه الرفيع ومكانته السامقة ، فهو روح الدين وأساسه ولبُّه بل هو دين الله الذي بعث به الرسل وأنزل به الكتب ، فكان محور دعوتهم ومنطلق رسالتهم .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا

الطَّغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] .

ذلك أنَّ الإخلاص هو تحقيق العبودية لله رب العالمين ، ومما يؤكد عناية القرآن بالإخلاص حصر مهمة الرسل جميعاً في الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

بل إنَّ القرآن كلُّه من فاتحته إلى خاتمته مشتمل على بيان الإخلاص ، والتوكيد على أهميته والأمر به ، وبيان آثاره في الدنيا والآخرة .

فالإخلاص من الدين بمنزلة الرأس من الجسد ، بل هو الدين كله ، وهو الغاية من الخلق،

قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ... ﴾ [الملك: ٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

قال الفضيل بن عياض^(١) : " « أحسنُ عملاً » : أخلصه وأصوبه ، وقال : العمل لا يُقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، فالخالص إذا كان لله ، والصواب إذا كان على السنة " .هـ^(٢)

وقد دلَّ على هذا المعنى أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

ولهذا فإنَّ الله استثنى من أتباع إبليس عباده المُخلصين في مواضع كثيرة من كتابه فقال :

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣] .

فاستثنى سبحانه من إغواء الشيطان قوماً أخلصهم واصطفاهم فهداهم ولم يجعل له سلطاناً عليهم كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢] .

وبَيَّن في موضع سورة النحل سبب خلوصهم من إغواء إبليس وسلطانه فقال : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٩٩] .

فإيمانهم بالله وتوكلهم عليه صَرَفَ عنهم بإذن الله تعالى سلطان الشيطان وإغواءه الذي يهدف إلى صرفهم عن عبادة الله وحده لا شريك له ، ودعوتهم إلى الإشراف به ، وهذا المعنى ظاهر على قراءة كسر اللام في قوله : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢] .

(١) هو : الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر ، أبو علي التميمي اليربوعي الخرساني ، الإمام القدوة الثبت ، ولد بسمرقند ، وله مواعظ وقدام في التقوى راسخ . ينظر سير أعلام النبلاء [٤٢١/٨] .

(٢) معالم التنزيل للبخاري [٢٣٩/٦] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

قال ابن جرير : " وقد قُرئ : « إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ » ، فمن قرأ ذلك كذلك ، فإنه يعني به : إلا من أخلص طاعتك ، فإنه لا سبيل لي عليه " .هـ^(١)

وقال الماوردي : " « إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ » ، وهم الذين أخلصوا العبادة من فساد، أو رياء " .هـ^(٢)

وقال ابن الجوزي : " والمخلصون الَّذِينَ أخلصوا دينهم لله عن كل شائبة تناقض الإخلاص " . هـ^(٣)

ومن هذا يتبين موقع الإخلاص ومنزلته العالية وشرفه وعزته ، وأنَّ طريق الإخلاص طريق رفيع لا يناله الشيطان ولا سبيل له على أهله .

ولذا أكد تعالى هذا المعنى بقوله في الآية بعدها : ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر ٤٠-٤١] ، فأضاف سبحانه المخلصين إلى نفسه تشريفاً وتكريماً في قوله : « عبادي » ، فلا أشرف ولا أعزَّ من الدخول تحت هذه الإضافة الربانية والله در القائل^(٤) :

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفًا وَتِيهًا * * * وَكَدْتُ بِأَخْمَصِي أَطَأُ التُّرْبَا

دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي * * * وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا

ومما يزيد هذا الشرف وضوحاً قراءة من قرأ « صِرَاطٌ عَلَيَّ » من العلو .

(١) جامع البيان [٦٨/١٤] ، وللاستزادة ينظر : التيسير في القراءات السبع [ص/١٢٨] ، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه [ص/١٩٤] .

(٢) النكت والعيون [١٦١/٣] .

(٣) زاد المسير [٤٠١/٤] .

(٤) نسبه السفاريني في غذاء الألباب إلى القاضي عياض [٤٧٥/٢] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

قال ابن عطية : " قرأ الضحاك ،^(١) وحמיד ،^(٢) والنخعي ،^(٣) وأبو رجاء ،^(٤) وقتادة ،^(٥) ومجاهد ، وغيرهم : « عليّ مستقيم » ، من العلو والرفعة ، والإشارة بهذا على هذه القراءة إلى الإخلاص لما استثنى إبليس من أخلص .

قال الله له هذا الإخلاص طريق رفيع مستقيم لا تنال أنت بإغوائك أهله " هـ^(٦)

وهذه القراءة قرأ بها أيضاً يعقوب الحضرمي^(٧) من القراء العشرة .

ومما يدل على عِزَّة الإخلاص وشرفه وعظم موقعه وعلو مكانته وشرف أهله المتصفين به ، ما تكرَّر في سورة الصافات من الاستثناءات المميزة لعباد الله المخلصين بميزات متنوعة تنوه بعلو الإخلاص وشرف أهله المخلصين حيث قال سبحانه : ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ [الصافات : ٤٠-٤١] .

-
- (١) هو : الضحاك بن مزاحم الهلالي ، ويكنى بأبي محمد ، أو أبي القاسم ، صاحب التفسير من أوعية العلم ، وهو صدوق ، وثقه جمع من أهل العلم ، توفي سنة ١٠٥ هـ ، وقيل : سنة ١٠٦ هـ . ينظر سير أعلام النبلاء [٥٩٨/٤] .
- (٢) هو : حميد بن قيس أبو صفوان المكي الأعرج المقرئ ، قرأ القرآن على مجاهد ثلاث مرات ، توفي سنة ١٣٠ هـ . ينظر معرفة القراء الكبار [٢١٩/١] .
- (٣) هو : علي بن مسلم النخعي الكوفي المقرئ ، من كبار تلامذة سُليم ، قرأ عليه جعفر ، وأحمد القرشي الصيرفي . ينظر معرفة القراء الكبار [٤٢٤/١] .
- (٤) هو : عمران بن تيم البصري أبو رجاء العطاردي ، من كبار علماء البصرة ، أخذ القراءة عرضاً عن ابن عباس ، وتلقن عن أبي موسى الأشعري ، وقد لقي أبا بكر الصديق ، توفي سنة ١٠٥ هـ ، وله ١٢٧ سنة ، ينظر معرفة القراء الكبار [١٥٣١/١] .
- (٥) هو : قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن سدوس ، السدوسي البصري الأكمه ، كان تابعياً وعالمًا كبيراً ، ولد سنة ٦٠ هـ ، وتوفي سنة ١١٧ هـ بواسط ، ينظر وفيات الأعيان [٥١١/٣] .
- (٦) المحرر المجيز [٣١٤/٨] ، بتصرف .
- (٧) هو : الإمام أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق مولى الحضرميين ، من القراء العشرة المشهورين ، توفي بالبصرة سنة ٢٠٥ هـ . ينظر معرفة القراء الكبار [٣٢٨/١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

فتأمل كيف ميّز جلّ شأنه أهل الإخلاص عن المشركين بهذا الاستثناء المنقطع ، ومن ثمّ الإشارة إليهم باسم الإشارة « أولئك » المُشعر بعلو المنزلة ورفعة القدر ، ثم بين سبحانه جزائهم في الآخرة فقال: ﴿ أُولَئِكَ هُم رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ^ط وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ [الصافات: ٤١-٤٢] ، فأبي شرف لأهل الإخلاص بعد هذا الشرف ؟

ويستمر الاستثناء المميّز لأهل الإخلاص في هذه السورة الكريمة ، تنويهاً بشأنهم وتعظيماً لقدرهم ، حيث قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ [الصافات : ٧٢-٧٣-٧٤] ، حيث كانت عاقبة عباد الله المخلصين حميدة بسبب توحيدهم وإخلاصهم لربهم .

قال ابن عاشور^(١) : " واستثنى عباد الله المخلصين من الأولين استثناءً متصلاً ، فإنّ عباد الله المخلصين كانوا من جملة المنذرين فصدّقوا المنذرين ولم يشاركوا المنذرين في عاقبتهم المنظور فيها وهي عاقبة السوء " ه^(٢)

فدلّ السياق على شرف الإخلاص وعاقبة أهله الحميدة في الدنيا ، فضلاً عن التنويه بوصف العبودية المضافة إلى الله تعالى كما تقدمت الإشارة إليه .

وهكذا في قصة نبي الله إلياس عليه السلام حيث قال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ [الصافات : ١٢٧-١٢٨] .

(١) هو : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ، الإمام الضليع في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية ، ولد سنة ١٢٩٦ هـ ، تولى قضاء تونس ، وبرع في التأليف ، توفي سنة ١٣٩٣ هـ يوم الأحد ١٣ رجب . ينظر الأعلام للزركلي [١٧٤/٦] .

(٢) التحرير والتنوير [١٢٩/٩] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

ومن المواضع الدالة على فضل الإخلاص وعِظَم موقعه ما جاء من التنويه والإشادة بالمخلصين ، وأنَّ إخلاصهم لله من أعظم أسباب رفعتهم وعلو شأنهم .

فمن ذلك قوله تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١] ، على قراءة كسر اللام^(١) فإنَّ في هذا دلالة واضحة على أنَّ من أسباب استحقاق موسى عليه السلام الذكر الرفيع والتنويه البالغ إخلاصه لله تعالى فأبي ثناء أبلغ من هذا الثناء ! وأبي رفعة أعظم من الرفعة عند الله !

وسياقي الحديث عن المخلصين في القرآن في مبحث مستقل بإذن الله تعالى .
ومَّا تقدَّم يتبيَّن أنَّ أهل الإخلاص في النَّاس قليل ، ممَّا يدل على عزَّة الإخلاص وندرته وقلة أهله ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] .

قال الحسن البصري^(٢) رحمه الله في هذه الآية : « ذلك أنَّ المنافق يعمل إذا عمل رياء النَّاس ، وهو مشرك بعمله ذاك » .^(٣)

وقال ابن كثير^(٤) : " وثمَّ شرك آخر خفي لا يشعر به غالباً فاعله ، كما روى حماد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي النَّجود ، عن عُرْوَةَ قال : دخل حذيفة على مريض ، فرأى في

(١) ينظر : الحجة في القراءات السبع لابن خالويه [ص/٢٣٨] ، والتيسير في القراءات السبع [ص/١٤٩] .
(٢) هو : الحسن بن أبي الحسن واسمه يسار ، أبو سعيد البصري ، مولى زيد بن ثابت ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً ، مات سنة ١١٠ هـ ، وعمره ٨٩ سنة . ينظر سير أعلام النبلاء [٤/٥٦٣] .
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه [٥/كتاب الطب] ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [٧/١٢٠٤٠] ، ورجاله ثقات .
(٤) هو : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي ، ولد سنة ٧٠٠ هـ ، وتوفي سنة ٧٧٤ هـ . ينظر طبقات المفسرين للأدنه وي [ص/١٣] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

عضده سيراً فقطعه - أو : انتزعه - ثم قال : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] هـ .^(١)

وبهذا تظهر عزة الإخلاص وخفاء الشرك الذي لا يسلم منه إلا من سلمه الله ، فقد قال النبي ﷺ : « الشُّرك في هذه الأمة أخفى من ديب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل » .^(٢)

ولخفاء هذا الشرك وخطورته خافه الناصح لأئمة ﷺ فقال : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرِّياء ، يقول الله عزَّ وجلَّ لهم يوم القيامة إذا جزي النَّاس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدُّنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » .^(٣)

ولقد اشتدَّ حرص السلف على الإخلاص وخوفهم من الشرك لخفائه وخطورته وشدة التحرُّز منه ولعظم موقعه .

فتعددت أقوالهم وتنوعت أحوالهم في ذلك ، فقال سفيان الثوري^(٤) : " ما عاجلت شيئاً أشدَّ عليَّ من نبيِّ ؛ لأَنَّها تتقلَّب عليَّ " .^(٥)

(١) تفسير القرآن العظيم [٦٦٥/٢] .

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي عن ابن عباس ، ينظر صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني برقم (٣٧٣٠) ، وأخرجه الحاكم في مستدركه [٢٩٠/٢] وقال : صحيح الإسناد ، وأبو نعيم في الحلية [٣٦٨/٨] عن عائشة .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده [٤٢٨/٥] ، قال ابن حجر : أخرجه أحمد بإسناد حسن . بلوغ المرام [٣٠٢/ص] ، وقال المنذري : إسناده جيد . الترغيب والترهيب [٦٩/١] ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، غير عبد الله بن شبيب بن خالد ، وهو ثقة . مجمع الزوائد [٢٢٢/١٠] .

(٤) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن ثور ، شيخ الإسلام ، إمام الحفاظ ، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد ، ولد سنة ٩٧ هـ اتفاقاً ، ومات سنة ١٢٦ هـ . ينظر سير أعلام النبلاء [٢٢٩/٧] .

(٥) حلية الأولياء [٦٢٥/٧] .

الإخلاص في القرآن **=====** الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

وقال يوسف بن الحسين الرازي^(١) : " أعز شيء في الدنيا الإخلاص ، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي وكأنته ينبت فيه على لون آخر " .^(٢)

ولهذا قال ابن رجب في معرض الحديث عن عزة الإخلاص وصعوبة التخلص مما يضاذه في شرحه لحديث « **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ** »^(٣) : وبالجملة فما أحسن قول سهل بن عبد الله التستري : " ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب " .^(٤)

ولكن لا يعني هذا استحالة تحقق الإخلاص وحصوله من العبد ، فإنَّ الله لا يكلف نفساً إلا وسعها وإنما تحمل مثل هذه الأقوال عنهم على شدَّة خوفهم من الرِّياء ، وحرصهم على سلامة مقاصدهم ، وصحة نياتهم وإزرائهم على أنفسهم ، ولئن كان الإخلاص عزيزاً وصعبَ المنال ، فقد تحقق لأنبياء الله ورسله والصَّالحين من عباده الذين هم القدوة والأسوة الحسنة في هذا وغيره ممَّا يحمل النفوس على السعي في تحقيقه وبذل الأسباب المعينة عليه ، فلا تستوحش من سلوك هذا الطريق ، ولا تستصعب حصوله والاتصاف به ، وهذا المعنى يظهر للمتأمل المتدبِّر لسياق آيات الإخلاص المشعر بامتياز أهل الإخلاص واصطفائهم على غيرهم ممَّا يحدو الراغبين في الامتياز الأعظم إلى السير على طريقهم ، والتأسي بهم ، فقد قال عن يوسف **الْعَلِيِّينَ** : ﴿ **إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ** ﴾ [يوسف : ٢٤] ، أي داخل في جملة عباد الله المخلصين فلم يخصه بالإخلاص وحده دون غيره ، أو يحصر الإخلاص فيه فيقطع الأمل على غيره في تحقيقه .

(١) هو : يوسف بن الحسين أبو يعقوب الرازي ، الإمام العارف ، شيخ الصوفية ، أكثر الترحال ، وأخذ عن ذي النون المصري ، وأحمد بن حنبل وغيرهم ، قال السلمي : مات سنة ٣٠٤ هـ . ينظر سير أعلام النبلاء [٢٤٨/١٤] .

(٢) جامع العلوم والحكم [٨٤/١] .

(٣) أخرجه البخاري في أول كتابه الصحيح باب بدء الوحي ، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة برقم (١٩٠٧) .

(٤) جامع العلوم والحكم [٨٤/١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

وهذا ملحظ مهم ينبغي استحضاره في التوجيه نحو الإخلاص والدعوة إليه كما سيأتي بيانه في دعوة القرآن إلى الإخلاص ، وبهذا يتبين لمن أمعن النظر في الآيات القرآنية السابقة عزّة الإخلاص وعظم موقعه في القرآن مما يحمل المؤمن على السعي في فهم حقيقة الإخلاص ، والعناية به ، وأن يكون منه على بال ، حذراً أشد الحذر من فواته أو الوقوع فيما ينقضه أو يחדشه أو ينافيه بالكلية .



المبحث الثالث

شموله لمناحي الحياة

المتدبر للقرآن الكريم يدرك إدراكاً بيناً أنّ العبادة لا تُسمى عبادة إلا مع التوحيد والإخلاص لله تعالى ، فإذا خالط الشرك العبادة أفسدها وأحبط العمل ، كما قال تعالى لنبّيه محمد ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥] .

وهذا ما قرره الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(١) حيث قال في رسالة (القواعد الأربع) : " فإذا عَرَفْتَ أَنَّ الله خلقك لعبادته ، فاعلم أنّ العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد ، كما أنّ الصلاة لا تُسمى صلاة إلا مع الطهارة ؛ فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت ، كالحديث إذا دخل في الطهارة " هـ^(٢)

وهذا أمر متقرر لا يحتاج إلى مزيد بيان ، ولكن مع هذا فالإخلاص ليس مقصوراً على الشعائر التعبدية المحضة كالصلاة والزكاة والصوم والحجّ ونحوها فحسب بل هو شامل لمناحي الحياة المتعددة وجوانبها المختلفة التي يراد بها وجه الله تعالى ، ممّا يدل على أهمية الإخلاص وعلو منزلته في القرآن .

(١) هو : محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف التميمي ، ولد سنة ١١١٥هـ في بلدة العينينة في نجد ، ونشأ نشأة دينية في بيت والده ، ورحل في طلب العلم ، وصدع بالحق في محاربة الشرك والبدع في الجزيرة العربية ، إلى أن قيض الله له الإمام محمد بن سعود أمير الدرعية فناصره على دعوته ، توفي سنة ١٢٠٦هـ في الدرعية . ينظر الأعلام للزركلي [٢٥٧/٦] .

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب القسم الأول [ص/١٩٩] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

ومن الآيات الدالة على هذا المعنى الجليل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ^ط وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٦-١٦٧] .

فبين سبحانه شمول الإخلاص لسائر الأعمال من الصلاة والذبح اللتين هما من أشرف العبادات وأفضلها ، وغيرها مما يفعله المرء في حياته من الأعمال الصالحة حيث عداها لنفسه تعالى فقال : « لله رب العالمين » .

قال القرطبي في تفسير هذه الآية : " « وَمَحْيَايَ » أي : ما أعمله في حياتي ، « وَمَمَاتِي » أي : ما أوصي به بعد وفاي . « لله رب العالمين » أي : أفردته بالتقرب بها إليه " .ه^(١)

ومن الآيات الدالة على هذا الشمول قوله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ^ج وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء: ١١٤] .

فقد بين سبحانه شمول الإخلاص له جلّ وعلا لما يتناجى به الناس من الأمر بالمعروف أو الصدقة أو الإصلاح بين الناس ، ورُتب عليها الأجر العظيم في الآخرة إذا كانت ابتغاء مرضات الله خالصة لوجهه الكريم .

والمعروف اسم جامع لما عُرف بحُسنه شرعاً ، والإصلاح بين المتخاصمين باب واسع ، فأثبت لهذه المناجاة الخيرية ، ورُتب لها الجزاء الحسن فضلاً منه وإحساناً فقال : « وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » .

(١) الجامع لأحكام القرآن [١٣٩/٩] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

قال ابن سعدي : " فلهذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى ويخلص العمل لله في كل وقت وفي كل جزء من أجزاء الخير ، ليحصل له بذلك الأجر العظيم ، وليتعوّد الإخلاص فيكون من المخلصين ، وليتم له الأجر ، سواء تم مقصوده أم لا ؛ لأنّ النية حصلت واقترن بها ما يمكن من العمل " .^(١)

فإنّ الأعمال المذكورة في الآية وإن كانت خيراً في أصلها ، إلّا أنّ ابتغاء مرضات الله فيها يزيدنا خيراً ، ويزيد فاعلها أجراً عظيماً عند الله ، فإنّ الله نكّر الأجر وعظّمه ليدل على كثرتة وعظّمه ، وأنّ هذا من أعظم الإخلاص ، وعلو منزلته عند الله جلّ وعلا ، وشموله للأعمال الصالحة ودخوله فيها .

وهذا يؤكّد أنّ حديث « **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ** » يدخل في سبعين باباً من الفقه ، وأنه ثلث العلم ، كما قرره جمع من أهل العلم ، كالشافعي ،^(٢) وأحمد ،^(٣) وابن رجب ،^(٤) وغيرهم .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٢١٩] .

(٢) هو : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المطلبي ، ولد بغزة ، وقيل : بغيرها سنة ١٥٠ هـ ، قرأ القرآن وهو ابن سبع ، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر ، وأفتى وهو ابن خمس عشرة ، وقيل : ابن ثمان عشرة سنة ، أثنى عليه غير واحد من كبار الأئمة ، وكانت وفاته بمصر يوم الخميس ، وقيل : يوم الجمعة ، في آخر يوم من رجب سنة ٢٠٤ هـ ، وعن أربع وخمسين سنة . ينظر البداية والنهاية لابن كثير [١٣٢/١٤] .

(٣) هو : أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن أدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان ، ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ ، وتوفي بها سنة ٢٤١ هـ . ينظر : طبقات الحنابلة [٤/١] ، وللاستزادة ينظر مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ، فقد ترجم له ترجمة موسعة .

(٤) هو : عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، الشيخ الإمام العلامة الحافظ زين الدين أبو الفرج البغدادي ، ثم الدمشقي الحنبلي ، شرح علل الترمذي ، والبخاري ولم يكمله ، وكان أحد الأئمة العلماء الزهاد العاملين ، مات في شهر رجب سنة ٧٩٥ بدمشق ، ودفن بمقابر باب الصغير . ينظر المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي [٩٥/٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

ومن الآيات الدالة أيضاً على شمول الإخلاص ودخوله في أعمال الخير وإن لم تكن عبادة في أصلها قوله تعالى في سورة الزلزلة : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧] .

فإنَّ الله تعالى رتب على عمل الخير في الدنيا وإن كان يسيراً رؤية ثوابه وأجره في الآخرة . وغير خاف أنَّ رؤية ثواب العمل الصالح في الآخرة مشروط بحسن الإسلام وإخلاص الدين لله تعالى ، كما دلت نصوص الكتاب والسنة .

فإنَّ الله سبحانه قال في شأن أعمال الكفار : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] ، وأكَّد هذا المعنى بضرب مثلين يبينان عدم انتفاع الكافر بعمله في الآخرة لفقده شرط الإيمان والتوحيد ، فقال في سورة إبراهيم : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: ١٨] ، فما الظنُّ برمادٍ أصابته الريح في يوم عاصف هل يبقى منه شيء ؟ !

فذلك مثل عمل الكافر الخالي من التوحيد والإخلاص .

وقال في سورة النور : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ [النور: ٣٩] ، فشبهه عمل الكافر بالسراب ، فهو كالعدم ؛ لأنَّه لم يُبْنَ على اعتقادٍ صحيح ، ولا نيَّة خالصة خالية من الشرك بالله تعالى .

الإخلاص في القرآن = الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ^(١) : « إِنْهَا أَحْكَمُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ » . ^(٢)

ولما سُئِلَ النبي ﷺ عن زكاة الحُمْر قال : « مَا أَنْزَلَ عَلَيَّ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ

الْجَامِعَةُ الْفَاذَةُ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧] » . ^(٣)

ذلك لِأَنَّهَا آيَةٌ عَامَةٌ اشْتَمَلَتْ عَلَى شَرْطٍ وَمَشْرُوطٍ ، « فَمَنْ » أداة شرط وهي من ألفاظ

العموم ، فأَيُّ شَمُولٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا ! وَأَيُّ عَمُومٍ أَبْلَغُ ؟ !

وأَمْثَالُ هَذَا الْعَمُومِ وَالشَّمُولِ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ .

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي آخِرِ سُورَةِ الْمَزْمَلِ : ﴿ وَمَا تَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ

عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا ... ﴾ [المزمل : ١٩] .

قال ابن جرير : " وما تقدّموا أيها المؤمنون لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة

تنفقونها في سبيل الله ، أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير ، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو

صيام أو حج ، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله ، تجدوه عند الله يوم القيامة

في معادكم ، هو خيراً لكم ممّا قدمتم في الدنيا ، وأعظم منه ثواباً ، أي : ثوابه أعظم من ذلك

الذي قدّمتموه لو لم تكونوا قدّمتموه " هـ ^(٤)

(١) هو : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن

سعد بن هذيل بن خزيمية بن مدركة بن إلياس بن مضر ، أبو عبد الرحمن الهذلي ، كان إسلامه قديماً في أول الإسلام ،

شهد بدرًا والحديبية ، وهاجر المهجرتين ، مات بالمدينة سنة ٣٢ هـ ، ودفن بالبقيع . ينظر : الاستيعاب في أسماء

الأصحاب لابن عبد البر [٥٩٢/١] ، والإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر [٣٧٣/٦] .

(٢) معالم التنزيل [٥٠٣/٨] .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ » برقم (٤٩٦٢) ، ومسلم في كتاب

الزكاة برقم (٢٣٣٩) ، والنسائي في كتاب الخيل برقم (٣٥٦٣) ، وابن حبان في باب الخيل برقم (٤٦٧٢) ، وغيرهم .

(٤) جامع البيان [٣٩٩/٢٣] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة البقرة في سياق آيات الحج : ﴿ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ

خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ... ﴾ [البقرة: ١٩٧] ، فهي دالة على دخول الإخلاص في جميع أعمال الخير،

فإنه تعالى أخبر بعلمه لأفعال عباده المقتضي مجازاتهم عليها في الآخرة .

وسياتي مزيد بيان وإيضاح لهذا الشمول في الحديث عن مجالات الإخلاص الواسعة بإذن

الله تعالى .

ومن خلال تلك الآيات يظهر شمول الإخلاص ودخوله في جوانب الحياة المختلفة ، وأنه

يصير العادة عبادة وقربة لله تعالى ، مما يُظهر أهميته وعظم منزلته .



المبحث الثالث

﴿ أثره في العمل ﴾

المطلب الأول

﴿ أثره في قبول العمل ﴾

إنَّ الإخلاص لله تعالى في العمل وابتغاء مرضاته يورث قبول العمل عند الله تعالى ، فإنَّ الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان صالحاً وابتُغي به وجهه ، مما يدل على أهمية الإخلاص ومنزلته الرفيعة في القرآن ، والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة .

منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] ، فإنَّ المراد بالمتقين

هنا أي: الموحدين .

قال ابن جرير : " وقد قال جماعة من أهل التأويل : « المتقون » في هذا الموضع ، الذين اتقوا الشرك . ثم ساق بسنده عن الضحاك قوله : « إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ » ، قال : الذين يتقون الشرك " هـ^(١)

وقال ابن عطية : " وإجماع أهل السنة في معنى هذه الألفاظ أنها اتقاء الشرك ، فمن اتقاه وهو مُوَحَّد فأعماله التي تصدَّق فيها نيته مقبولة " هـ^(٢)

وقال ابن كثير : " قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن عمران ، حدثنا إسحاق بن سليمان - يعني الرازي ، عن المغيرة بن مسلم ، عن ميمون أبي حمزة ، قال : كنت

(١) جامع البيان [٢٣٧/٨] ، وأثر الضحاك أخرجه أيضاً ابن أبي شيبة في مصنفه [٥٨١/١٣-٥٨٢] من طريق أبي الفيض عن الضحاك به .

(٢) المحرر الوجيز [٤١١/٤] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

جالسًا عند أبي وائل ، فدخل علينا رجل ، يقال له : أبو عفيف ، من أصحاب معاذ ، فقال له شقيق بن سلمة : يا أبا عفيف ، ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل ؟ قال : بلى سمعته يقول : « يُحْبَسُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي بَقِيعٍ وَاحِدٍ ، فَيُنَادِي مُنَادٌ : أَيُّنَ الْمُتَّقِينَ ؟ فَيَقُومُونَ فِي كَنْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ لَا يَحْتَجِبُ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَا يَسْتَتِرُ .

قلت : من المتّقون ؟ قال : قوم اتّقوا الشرك وعبادة الأوثان ، وأخلصوا لله العبادة ، فيمرون إلى الجنة . » (١) " هـ (٢)

ومن خلال هذه الأقوال من أولئك الأئمة يظهر معنى التقوى التي هي شرط في قبول العمل ، وأنّ أبرز معانيها اتقاء الشرك وتحقيق الإخلاص لله رب العالمين .

فمن حقق تقوى الله تعالى فسلم من الشرك تقبل الله عمله وأثابه عليه ، ولهذا قال تعالى في شأن المنافقين : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ

وَبِرَسُولِهِ... ﴾ [التوبة: ٥٤] ، وهذا يوجب اجتهاد المرء في تحقيق الإخلاص وتصفيته العمل من شوائب الشرك والنفاق حتى يكون عند الله مقبولاً .

ولا يعني هذا حصر التقوى على هذا المدلول المذكور فإنّ التقوى أصلٌ في كل ما يتقى عند الإطلاق ، وأولى شيء يُتقى بالشرك بالله تعالى ، ولا يمنع دخول سائر المحرمات من الكبائر وغيرها في ذلك .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره برقم (٦٠-٣٧٧٠-٤٠٧٠) ، وابن فخر الأصبهاني في موجبات الجنة برقم (٣١٨) ، وإسناده ضعيف ، فيه المغيرة وهو ابن مسلم القسملبي السراج ، قال الحافظ في التقریب : صدوق . وفيه ميمون أبو حمزة ، وهو أبو حمزة القصاب التمار ، قال عنه أحمد : متروك الحديث ، وقال البخاري : ليس بالقوي عندهم ، وقال أبو حاتم يكتب حديثه ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال الدارقطني : ضعيف ، وضعفه ابن حجر في التقریب .

(٢) تفسير القرآن العظيم [١٦٦/٥-١٦٧] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " يتقبل العمل ممن اتقى الله فيه ، ومعيار التقوى أن يكون عمله خالصاً موافقاً لأمر الله ، فمن اتقاه في عمل تقبله منه وإن كان عاصياً في غيره، ومن لم يتقه فيه لم يتقبله منه وإن كان مطيعاً في غيره " هـ^(١)

وقال ابن القيم في معنى الآية : " إنما يتقبل الله عمل من اتقاه في ذلك العمل ، وتقواه فيه أن يكون لوجهه ، على موافقة أمره " هـ^(٢)

وكذا قال ابن سعدي : " وأصح الأقوال في تفسير المتقين هنا ، أي : المتقين لله في ذلك العمل ، بأن يكون عملهم خالصاً لوجه الله ، متبعين فيه لسنة رسول الله ﷺ " هـ^(٣)

ومن الآيات الدالة على هذا المعنى الجليل قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ... ﴾ [فاطر : ١٠] ، والعمل لا يكون صالحاً إلا إذا كان لله خالصاً.

ورفع العمل إلى الله دليل قبوله ، وهذا على أن « الْكَلِمُ الطَّيِّبُ » هو التوحيد فهو الرفع للعمل الصالح ؛ لأنه لا يُقبل العمل الصالح إلا مع الإيمان والتوحيد ، فالتقدير : والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب .

ومن الآيات الدالة على أثر الإخلاص في قبول العمل قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا

لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١١] .

فهذه الآية دالة على اشتراط الإخلاص في العمل وأثره في القبول عند الله تعالى حيث

قال سبحانه : « وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » .

(١) مجموع الفتاوى [٣٢٢/١٠] .

(٢) مفتاح دار السعادة [٣٠٤/١] .

(٣) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن [ص/٢٥١] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

وقد أكد سبحانه على هذا المعنى في سورة الأحقاف بعد بيان وصيته تعالى بالوالدين إحساناً فقال : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۗ إِنَّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٥-١٦] .

فقد أشار سبحانه إلى قبول أعمالهم الصالحة التي أحسنوا فيها بالإخلاص له سبحانه ومتابعة رسوله ﷺ فقال : « أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا » ، فقد استجمع شرطي قبول العمل في قوله : « وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ » .

والله لا يرضى إلا العمل الخالص من شوائب الشرك والرياء، وأكد هذا الإخلاص بقوله : « إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

قال القرطبي : قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » أي : المخلصين بالتوحيد " هـ^(١) .

فظهر بحمد الله أثر الإخلاص في قبول العمل من خلال هذه الآيات مما يبرز للمتأمل منزلة الإخلاص ومكانته الرفيعة في القرآن ؛ ذلك أن من أهم الأمور التي تقلق المؤمن ، وابتابه الوجع من أجله قبول العمل .

قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦٠] .

(١) الجامع لأحكام القرآن [١٩٥/١٦] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ((وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ)) هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله ؟ قال : ((لا يا بنت أبي بكر يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق ، وهو يخاف الله عز وجل)) .^(١)

فكان السلف رحمهم الله لقبول العمل أشدَّ اهتماماً منهم بالعمل ؛ لأنَّ الله تعالى يقول :

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] ، فظهر بهذا أثر الإخلاص وعلو منزلته وعِظَم شأنه وأثره الكبير في قبول الأعمال عند الله تعالى .



(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٥٣٠٢) ، والترمذي في كتاب التفسير باب : ومن سورة المؤمنون برقم (٣١٧٥) ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد باب : التوقي على العمل برقم (٤١٩٨) ولفظه : ((وهو يخاف أن لا يتقبل منه)) وحسَّنَ إسناده الشيخ الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٤١٩٨) ، وأبو يعلى في مسنده برقم (٤٩١٧) .

المطلب الثاني

﴿ أثره في إجابة الدعاء ﴾

قبل البدء في عرض الآيات الدالة على أثر الإخلاص في إجابة الدعاء ، يحسن بيان معنى الدعاء ليتضح مفهومه .

الدُّعَاءُ فِي اللُّغَةِ : دَعَا الرَّجُلَ دَعْوًا وَدُعَاءً : ناداه ، والاسم : الدَّعْوَةُ ، ودَعَوْتُ فَلَانًا أَي: صَحْتُ بِهِ وَاسْتَدْعَيْتَهُ ، ودعوت الله له وعليه دعاءً ، والدَّعْوَةُ المَرَّةُ الواحِدَةُ ، والدُّعَاءُ واحد الأدعية . (١)

قال في المصباح : " دَعَوْتُ اللَّهَ أَدْعُوهُ دُعَاءً : ابتهلت إليه بالسؤال ، ورجبت فيما عنده من الخير " . هـ (٢)

فمدار الدعاء على الطلب والاستدعاء ، يقول الراغب (٣) : الدُّعَاءُ كالنداء . (٤)
وتشبيه الدعاء بالنداء فيه نظر ؛ إذ الدُّعَاءُ مشتمل على النداء ، قال تعالى عن زكريا **الْحَمْدُ لِلَّهِ** : «**إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا**» [مریم: ٣] ، وغير ذلك من الآيات الدالة على ذلك .
والدُّعَاءُ فِي الشَّرْعِ هُوَ : سؤَالُ الْعَبْدِ رَبَّهُ حَاجَتَهُ . قال الخطابي (٥) : " ومعنى الدعاء : استدعاء العبد ربّه عزّ وجلّ العناية ، واستمداده إيّاه المعونة " . (٦)

(١) ينظر لسان العرب [٣٦٠/٤] .

(٢) المصباح المنير [ص/١٦٤] .

(٣) هو : الحسين بن محمد بن الفضل ، أبو القاسم الاصبهاني، المعروف بالراغب، أحد أعلام العلم، ومشاهير الفضل، متحقق بغير فنّ من العلم، وله تصانيف تدل على تحقيقه، وسعة دائرته في العلوم وتمكّنه منها . ينظر الوافي بالوفيات للصفدي [٢٩/١٣] ، وسير أعلام النبلاء [١٢٠/١٨] .

(٤) المفردات في غريب القرآن [٢٢٦/١] .

(٥) هو : أبو سليمان حمّد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي نسبة إلى زيد بن الخطاب ، فقيه محدث ، من أهل بست من بلاد كابل ، له مؤلفات عدة منها : معالم السنن ، وغريب الحديث ، وشرح البخاري وغيرها ، مات في بست سنة ٣٨٨ هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء [١٤/٣٣] ، والأعلام للزركلي [٢٧٣/٢] .

(٦) شأن الدعاء للخطابي [ص/٣] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

وقال القاضي أبو بكر بن العربي^(١) : " حقيقة الدعاء : مناداة الله تعالى لما يريد من جلب منفعة ، أو دفع مضرّة من المضار والبلاء بالدعاء ، فهو سبب لذلك واستجلاب لرحمة المولى ، كما أنّ الترس لردّ السهم والماء لخروج النبات من الأرض " .^(٢)

والإخلاص لله تعالى شرط رئيس في إجابة الدعاء من الداعي وتحقيق سؤاله ، فالدعاء هو العبادة ، ومن شرط العبادة ألاّ تُصرف لغير الله تعالى كائناً من كان ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] ، فسَمِيَ دعائه عبادة ، وتأمل قوله : « ادعوني » الدال على قصده وحده بالدعاء ، وقوله : « استجب لكم » الذي أتى جواباً للطلب مرتباً على الإخلاص في الدعاء لله تعالى .

قال ابن كثير : " ندب عباده إلى دعائه ، وتكفل لهم بالإجابة " .^(٣)

ولهذا استجاب الله دعاء أنبيائه ورسله والصالحين من عباده لَمَّا أخلصوا له الدعاء كما في سورة الأنبياء في لجوء إبراهيم بجناب الله وتوكله عليه ، ودعاء أيوب ويونس وزكريا ، فقد حتم الله إخباره عن دعائهم بقوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَدِيعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩٠] ، فأخبر عن سر إجابته لدعائهم بأنهم ملازمون للدعاء في حال الرخاء والشدة بإخلاص ويقين وحضور قلب ؛ ولذا أمر

(١) هو : الإمام الفقيه المحدث محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأندلسي الأشبيلي ، أبو بكر بن العربي المالكي ، صنف في الفقه والحديث والتفسير وغير ذلك ، من أشهرها : عارضة الأحوذى ، والقبس على موطأ مالك ، والعواصم من القواصم ، مات سنة ٥٤٣ هـ . ينظر : الديباج المذهب [٢٥٤/٢] ، وسير أعلام النبلاء [١٩٧/٢٠] .

(٢) ينظر مقدمة الترغيب في الدعاء والحث عليه ، لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي . [ص/٥٤] .

(٣) تفسير القرآن العظيم [١٥٣/٧] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

سبحانه بالإخلاص له في الدعاء فقال : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ١٤] .

بل أخبر سبحانه عن إجابته لدعاء الكفار إذا قصدوه وحده وأخلصوا له الدين ، فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ، فإنهم لما أخلصوا في دعائهم وذهب من يدعون إلا إياه أجاب دعاءهم فنجَّاهم من الكرب ورفع عنهم الضر .

وقد أكد سبحانه هذا المعنى في مواضع كثيرة من كتابه في سياقات متعددة تدل على أثر الإخلاص له تعالى في إجابة الدعاء ، ففي سورة الأنعام يقرر المشركين بلجوئهم إليه عند الشدائد والمصائب وتحقيقه لسؤلهم وكشف كربهم فقال سبحانه : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١] .

وأكد هذا التقرير البديع بقوله سبحانه : ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيَكُم مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لِّئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيَكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٣-٦٤] .

وهكذا في سورة يونس في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْنَا

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجْنَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ ... ﴿ [يونس: ٢٢-٢٣] .

ففي هذا الموضع بيّن حال المشركين في الشدة وضراعتهم إلى الله وإخلاصهم في الدين ممّا كان سبباً بإذن الله لنجاتهم من الغرق والهلاك ، وفي هذا دلالة عظيمة على فضيلة الإخلاص، وأثره في إجابة الدُّعاء .

قال عبد الواحد بن زيد^(١) : " الإجابة مقرونة بالإخلاص لا فرقة بينهما " .^(٢)

ولذا قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ... ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

قال القرطبي : قوله تعالى : " « أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ » أي : أقبل عبادة من عبدني ، فالدُّعاء بمعنى العبادة ، والإجابة بمعنى القبول " .ه^(٣)

وتدبّر قوله تعالى : « دَعَانِ » الدّال على قصده سبحانه بالدُّعاء والتوجُّه إليه بالسؤال ، وفيه اشتراط بأداة الشرط « إذا » ، والجواب متقدم عليها في قوله : « أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ » ، فإذا حصل الشرط وقع المشروط بإذن الله .

فظهر بهذه الآيات أثر الإخلاص في إجابة الدُّعاء ، مما يبرز أهمية هذا الأصل العظيم ، وعناية القرآن الكريم بتقريره وبيان منزلته .

فإن قيل : ما فائدة قوله تعالى : « إِذَا دَعَانِ » ، بعد قوله : « الدَّاعِي » ؛ لأنّه لا يوصف بأنّه داعٍ إلا إذا دعا ؟

(١) هو : عبد الواحد بن زيد البصري ، أبو عبيدة الزاهد ، مات بعد سنة ١٥٠ هـ . ينظر سير أعلام النبلاء [١٧٨/٧] .

(٢) الإخلاص والنية [ص/٣٧] .

(٣) الجامع لأحكام القرآن [٣٠٨/٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

فالجواب : أن المراد بقوله : «إِذَا دَعَانِ» أي : صَدَقَ في دعائه إِيَّاي ، بأنَّ شعر بأنَّه في حاجة إلى الله ، وأنَّ الله قادر على إجابته، وأخلص الدعاء لله بحيث لا يتعلق قلبه بغير الله. (١)

ولهذا أمر الله بالإخلاص في الدعاء بخصوصه في مواضع شتَّى من كتابه ، فقال في سورة غافر : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر : ١٤] ، فواجب - والله - على كل مُكلف إخلاص الدعاء لله وحده ، وقد أجمع على ذلك المسلمون . (٢)

وسياتي إن شاء الله مزيد بيان للدعاء في مجالات الإخلاص .



(١) تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين ، الفاتحة والبقرة [٣٤٢/٢] .

(٢) ينظر تصحيح الدعاء للشيخ بكر أبو زيد [ص/٢٤٦] .

المطلب الثالث

﴿ أثره في حصول الشفاعة ﴾

معنى الشفاعة لغة : شفع لي يشفع شفاعة ، أي طلب .^(١)

وتشفع له شفع يقال : تشفع لفلان إلى فلان في الأمر : توسل به إليه .^(٢)

وفي الاصطلاح : السؤال في التجاوز عن الذنوب من وقع الجنابة في حقه .^(٣)

وقيل : التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة .^(٤)

الشفاعة حق ثابت بالكتاب والسنة ، وهي ملك لله تعالى قال سبحانه : ﴿ قُلِ لِلَّهِ

الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ... ﴾ [الزمر: ٤٤] .

ولا يشفع أحد يوم القيامة إلا بإذنه عزَّ وجلَّ قال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ

عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

ولا تكون الشفاعة إلا لمن رضي الله قوله وعمله قال سبحانه : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا

لِمَنْ أَرْتَضَى ... ﴾ [الأنبياء: ٢٨] .

والله لا يرضى إلا بالإخلاص والتوحيد ، وقد جمع الله هذين الشرطين في قوله : ﴿ وَكَمْ

مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ

وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦] .

(١) لسان العرب [١٥١/٧] ، وينظر معجم مقاييس اللغة (مادة شفع) [ص/٥١٠] .

(٢) المعجم الوسيط [٤٨٧/١] .

(٣) التعريفات [ص/١٦٨] .

(٤) القول المفيد [٣٣١/١] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

فالإخلاص شرط لحصول الشفاعة فقد قال تعالى في شأن المشركين : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ

شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ... ﴾ [المدثر: ٤٨] . فلما تخلّف التوحيد والإخلاص حُرِّموا الشفاعة .

قال شيخ الإسلام : " ولهذا نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله ، ولم يبق إلا الشفاعة فبيّن أنّها لا تنفع إلا لمن أذن له الربّ كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ... ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة ، كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ : « أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً ، ثم يُقال له : ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تُشفع » .^(١)

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للنبي ﷺ : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ فقال : « من قال

لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » .^(٢)

- فقله : « خالصاً » أي : سالماً من كل شوب ، فلا يشوبها رياء ولا سمعة . -^(٣)

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله تعالى ولا تكون لمن أشرك بالله ، وحقيقته : أنّ الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود .

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع .

وقد بين النبي ﷺ أنّها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص " . انتهى كلامه^(٤)

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قول الله : « ذرية من حملنا مع نوح » برقم (٤٧١٢) ، وأخرجه مسلم في

كتاب الإيمان برقم (٣٢٢) ، والترمذي في باب الشفاعة برقم (٢٤٣٤) ، وغيرهم .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب الحرص على الحديث ، برقم (٩٩) ، والنسائي في سننه الكبرى برقم (٥٨٤٢) ،

وأحمد في مسنده برقم (٨٨٤٥) ، والبزار في مسنده برقم (٨٤٦٩) ، وغيرهم .

(٣) قاله ابن عثيمين ، ينظر القول المفيد [٣٤٤/١] .

(٤) مجموع الفتاوى [٧٧/٧] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

فتبيّن بهذا أثر الإخلاص لله تعالى في حصول الشفاعة في ذلك اليوم العظيم يوم التغابن ،
مما يدل على عظمة الإخلاص ومنزلته الرفيعة عند الله تعالى ، قال ابن تيمية : " فجعل أسعد
النّاس بشفاعته أكملهم إخلاصاً " .هـ^(١)

وقد أكّد من لا ينطق عن الهوى هذا المعنى بقوله : « لكلّ نبي دعوة مستجابة ،
فتعجل كل نبي دعوته ، وإنّي اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن
شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » .^(٢)

وأهل الإخلاص متفاوتون في نيل الشفاعة بحسب قوة إخلاصهم وصدق إيمانهم .
قال ابن حجر : " إنّ في قوله : « أسعد » إشارة إلى اختلاف مراتبهم في السبق إلى
الدخول باختلاف مراتبهم في الإخلاص ؛ ولذلك أكّده بقوله : « من قلبه » .هـ^(٣)
فبحسب توحيد العبد لربّه وإخلاصه دينه لله تعالى ، يستحق كرامة الله بالشفاعة
وغيرها.^(٤)

فظهر من خلال ما سبق أثر الإخلاص العظيم في حصول الشفاعة يوم القيامة ، وأنه
على قدر توحيد العبد وإخلاصه لله يحصل له من الكرامة بالشفاعة التي هي ملك لله تعالى ،
ولا يكون إلا بإذنه سبحانه للشافع ورضاه عن المشفوع له ، وهو لا يرضى إلا التوحيد
والإخلاص، نسأل الله الكريم من فضله وكرمه .



(١) مجموع الفتاوى [٤٤٠/٢٧] .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب قوله تعالى : « ادعوني استجب لكم » (٥٩٤٥) ، ومسلم في كتاب
الإيمان برقم (٣٣٤-٣٣٥-٣٣٧) ، والترمذي في كتاب الدعوات باب فضل لا حول ولا قوة إلا بالله برقم (٣٦٠٢) ،
وابن ماجة في كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة برقم (٤٣٠٧) ، وغيرهم من حديث أبي هريرة .

(٣) فتح الباري [٢٦٩/١٣] .

(٤) تيسير العزيز الحميد [ص/٢١٥] .

المطلب الرابع

﴿ أثره في مضاعفة الأجر ﴾

المضاعفة في اللغة : مفاعلة من الضعف ، وضعف الشيء : مثلاه .^(١)
يقول الراغب : " إنَّ الضعف من الألفاظ المتضايقة التي يقتضي وجود أحدهما وجود الآخر، كالنصف والزوج ، ويختص بالعدد " .^(٢)
وقال صاحب (تهذيب اللغة) : " الضَّعْفُ في كلام العرب : المثل ، فما زاد ، وليس مقصوراً على مثل ولا مثلين ، ويؤيده قول الله تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ... ﴾ [سبأ:٣٧] " . هـ^(٣) أي : جزاء المضاعفة .

فالمراد به مطلق المضاعفة ما لم يقيد بدليل قوله تعالى : ﴿ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ... ﴾ [الأحزاب : ٣٠] ، فقيدها هنا بضعفين ، فالإخلاص لله تعالى في عمل الخير له أثر كبير في مضاعفة الأجر وتكثيره وتعظيمه بحسب ما قام بقلب العبد من الإخلاص لله تعالى والإيمان به وابتغاء فضله ومرضاته واحتساب الأجر والثواب .

ومن الآيات الدالة على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٤] ، فقد رتب سبحانه على فعل هذه الأعمال بإخلاص وصدق الأجر العظيم حيث نكره وعظّمه ، ممّا يدل على كثرته .

(١) لسان العرب [٦٢/٨] .

(٢) المفردات [٣٧٦/٢] .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري [٤٨٠/١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

قال ابن جرير : " يقول : فسوف نعطيه جزاءً لما فعل من ذلك عظيماً ، ولا حدَّ لمبلغ ما سمي الله عظيماً يعلمه سواه " هـ^(١)

فدلَّت الآية على أنَّ التناجي بهذه الأمور الثلاثة خير ، وأنَّ ترتب الأجر عليها ومضاعفته مشروط بابتغاء مرضات الله والإخلاص له .

ومن الآيات الدالة على مضاعفة أجر المخلص قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ

أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ

يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [البقرة: ٢٦١] ، ففي قوله تعالى : « وَاللَّهُ يُضَاعِفُ

لِمَنْ يَشَاءُ » دلالة على مضاعفة الأجر بحسب ما قام بقلب المتصدق المنفق من الإيمان بالله والتصديق بوعدده والإخلاص له واحتساب الثواب .

وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر^(٢) : " إنَّ تضعيف حسنة العمل إلى عشرة مجزوم به وما

زاد عليها جائز وقوعه بحسب الزيادة في الإخلاص وصدق العزم وحضور القلب " هـ^(٣)

ذلك أنَّ الإخلاص في العمل يتفاوت تفاوتاً كبيراً ، فكلمًا عظم إخلاص العبد عظم

جزاؤه ، قال ابن رجب : " والزيادة تكون بحسب حُسن الإسلام ، وتكون بحسب كمال

الإخلاص ، وبحسب فضل ذلك العمل في نفسه ، وبحسب الحاجة إليه ، وعموم نفعه " هـ^(٤)

ومن الآيات الدالة على مضاعفة أجر المخلص وزيادة ثوابه قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي

يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ... ﴾ [البقرة: ٢٤٥] .

(١) جامع البيان [٤٨٢/٧] .

(٢) هو : أحمد بن علي بن محمد بن شهاب الدين المصري الشافعي ، ولد بمصر سنة ٧٧٤هـ ونشأ بها يتيمًا ، وصنف كثيراً ، وتوفي سنة ٨٥٢هـ ، ينظر التاج المكلل [ص/٣٦٨] ، والجواهر والدرر للسخاوي ، ففيه ترجمة خاصة لابن حجر .

(٣) فتح الباري [١٢٤/١٣] .

(٤) جامع العلوم والحكم [٣١٦/٢] بتصرف يسير .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

فقوله : « قرضاً حسناً » روي عن عمر وغيره من السلف : هو النفقة في سبيل الله .^(١)
والواقع أنَّ وصف القرض بالحسن وصف عام بدليل تنكيهه فهو يعم أنواع الحسن وفي مقدمتها أن يكون لله خالصاً ، فإنه أول سمات القرض الحسن .
قال ابن عاشور : " ووصف القرض بالحسن ؛ لأنه لا يرضى الله به إلا إذا كان مبرراً عن شوائب الرياء والأذى " هـ.^(٢)

ذلك أن وصف القرض بالحسن وصف معتبر له دلالاته وفائدته وأثره .
قال ابن سعدي : " والحسن هو الحلال المقصود به وجه الله تعالى " هـ.^(٣)
فرتب الله مضاعفته الأجور على حسن القرض ونية المقرض ، بل إنَّ الله يضاعفه له أضعافاً كثيرة ، فنكَّر الأضعاف وكثرها فلا حدَّ لها ولا حصر ممَّا يدل على أثر الإخلاص في المضاعفة .

ومن الآيات الدالة على مضاعفة أجر المخلصين قوله تعالى : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ، فذكر سبحانه أنَّهم ينفقون ابتغاء وجه الله ، وأنه جلَّ وعلا يوفيهم أجورهم كاملة غير منقوصة ، والله شاكر عليم يجزي على العمل القليل الجزاء الكبير ، بحسب ما قام في قلوبهم التي عليها المعول عند الله في مضاعفة الأجور وكثرتها وعظمتها والله شكور حلیم .



(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [٦٦٣/١] .

(٢) التحرير والتنوير [٤٨٢/٢] .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/١٠٨] .

المطلب الخامس

﴿ أثره في قبول التوبة ﴾

التوبة : التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع ، يقال تاب من ذنبه أي : رجع عنه ، يتوب إلى الله توباً ومتاباً فهو تائب ، والتوب : التوبة ، قال الله تعالى : « وَقَابِلِ التَّوْبِ » [غافر: ٣] . (١)

وهي : الندم على ما مضى من المعاصي والذنوب ، والعزم على تركها دائماً لله عز وجل . (٢)

التوبة هي : ترك الذنب لقبحه ، والندم على ما فرط منه ، والعزيمة على ترك المعادة ، وتدارك ما أمكنه من الأعمال . (٣)

وهي من العبادات المأمور بها في القرآن ومن شرط قبول العبادة الإخلاص لله تعالى فيها ومتابعة النبي ﷺ .

فلا تكون التوبة مقبولة عند الله حتى تكون خالصة لله تعالى ، فقد يُقلع المرء عن المعصية خوفاً على نفسه أو حفظاً لماله أو إبقاءً على جاهه ونحو ذلك ، ولهذا جاء التنصيص على شرط الإخلاص في شأن توبة المنافقين فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [١٤٥] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ^ط وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿

[النساء: ١٤٥-١٤٦] .

(١) معجم مقاييس اللغة [ص/١٥٨] .

(٢) المفردات [٩٨/١] .

(٣) ينظر الآداب الشرعية [١١٤/١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

وإنما نص سبحانه على الإخلاص في هذه الآية وعطفه على التوبة - والله أعلم - لأنَّ النِّفاق مناقض للإخلاص مباين له ، فناسب إفراده بالذكر مع دخوله في التوبة ضمناً .

قال في البحر المحيط : " ولَمَّا كان المنافق متصفاً بنقائص هذه الأوصاف من الكفر وفساد الأعمال والموالاتة للكافرين والاعتزاز بهم والمرآة للمؤمنين ، شرط في توبتهم ما يناقض تلك الأوصاف وهي التوبة من النفاق ، وهي الوصف المحتوي على بقية الأوصاف من حيث المعنى . ثم فصل ما أجمل فيها ، وهو الإصلاح للعمل المستأنف المقابل لفساد أعمالهم الماضية، ثم الاعتصام بالله في المستقبل وهو المقابل لموالاتة الكافرين والاعتماد عليهم في الماضي ، ثم الإخلاص لدين الله وهو المقابل للرياء الذي كان لهم في الماضي " هـ^(١)

وقال ابن سعدي : " وتأمَّل كيف خص الاعتصام والإخلاص بالذكر، مع دخولهما في قوله: « وَأَصْلِحُوا » ؛ لأنَّ الاعتصام والإخلاص من جملة الإصلاح ، لشدَّة الحاجة إليهما خصوصاً في هذا المقام الحرج الذي تمكَّن من القلوب النفاق ، فلا يزيله إلا شدة الاعتصام بالله، ودوام اللجأ والافتقار إليه في دفعه ، وكون الإخلاص منافياً كل المنافاة للنفاق " هـ^(٢)

فظهر جلياً أثر الإخلاص في صحة التوبة وقبولها عند الله تعالى من خلال هذه الآية الكريمة ؛ حيث نص سبحانه على الإخلاص بخصوصه .

ومن الآيات الدالة على أثر الإخلاص في قبول التوبة قوله تعالى مخاطباً جميع المؤمنين آمراً لهم بالتوبة : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] ، فإنَّ تعدية التوبة بحرف الجر « إلى » وإضافته إلى الله دليلٌ على اشتراط الإخلاص في التوبة بأن يكون الباعث على التوبة ابتغاء رضوان الله ومغفرته ، وطلباً للفوز بجنته والنجاة من النار .

(١) البحر المحيط [١١٤/٤] .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٢٣٠] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

قال ابن سعدي : " وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة في قوله : « وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ » أي : لا لمقصد غير وجهه ، من سلامة من آفات الدنيا ، أو رياء وسمعة ، أو نحو ذلك من المقاصد الفاسدة " .هـ^(١)

فإذا صحَّت التوبة باجتماع شروطها من الإخلاص لله والتَّدم على ما فات والإقلاع عن الذنب ، والعزم على عدم العودة إليه تحقق الفلاح بإذن الله ، وهو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب ، لقوله تعالى : « لعلكم تفلحون » ، والأمر بالتوبة موجَّه لعموم المؤمنين من الرجال والنساء على حدٍ سواء .

وقد تكرَّر الأمر بالتوبة إلى الله في مواضع كثيرة من القرآن الكريم كما في سورة التحريم في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ... ﴾ [التحريم : ٨] .

وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام مخاطباً بني إسرائيل : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَنْقُومِ إِلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ .. ﴾ [البقرة : ٥٤] .

وقوله في شأن النصارى الذين قالوا : إنَّ الله هو المسيح بن مريم ، وقالوا إنَّ الله ثالث ثلاثة ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، فقد دعاهم سبحانه إلى التوبة إليه فقال : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٧٤] .

ففي هذه الآيات يدعوهم جلَّ وعلا إلى الرجوع والإنابة إليه ابتغاء مغفرته ورجاء رحمته ، فإنَّهم إنَّ تابوا إلى الله بإخلاص وصدق حقق لهم مغفرة ذنوبهم وتكفير سيئاتهم ، ولهذا ختم الآية باسمين كريمين له سبحانه دالِّين على سعة رحمته وكثرة مغفرته فقال : « وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » ، وبهذا يعلم أثر الإخلاص في قبول التوبة ، وعناية القرآن الكريم وتأكيده على أهميته وبيان منزلته .



(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٦٦٣] .

المطلب السادس

﴿ أثره في وقوع الأجر من خير عمل ﴾

الإخلاص لله تعالى وقصد الأجر والثواب من الله يدرك به المرء الأجر وإن لم يعمل ، وهذا من أعظم آثار الإخلاص في العمل ، وقد دلّ القرآن على هذا المعنى الجليل في مواضع عديدة مما يؤكد أنّ نيّة المؤمن خير من عمله ، وأنّ المعوّل عليه عند الله على ما قام بقلب المؤمن من استحضر الأجر وإخلاص النيّة لله تعالى .

ومن هذه المواضع قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآغَمَا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا حِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٠] .

فهذه الآية نزلت في رجل من خزاعة يقال له ضمرة بن العيص ، أو العيص بن ضمرة بن زُبَاع ، لما أمروا بالهجرة كان مريضاً ، فأمر أهله أن يفرّشوا له على سريره ويحملوه إلى رسول الله ﷺ ، ففعلوا ، فأتاه الموت وهو بالتَّعْنِيمِ ، فنزلت هذه الآية .^(١)

فهذا الرجل أراد الهجرة وبادر إليها ولكن حالت المنية دون تحقيق مراده ، فكتب الله له الأجر فضلاً منه ومنة . فقد حصل له أجر المهاجر الذي أدرك مقصوده بضمّان الله تعالى ، وذلك لأنّه نوى وجزم ، وحصل منه ابتداء وشروع في العمل ، فمن رحمة الله به وبأمثاله أن أعطاهم أجرهم كاملاً ، ولو لم يكملوا العمل وغفر لهم .^(٢)

(١) أخرجه سعيد بن منصور في التفسير (٦٨٥) ، ومن طريقه البيهقي [١٤/٩] عن هشيم به ، وأخرجه ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير في جامع البيان [٣٩٣/٧] ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور [٢٠٧/٢] إلى عبد بن حميد . وينظر للاستزادة لباب النقول [ص/٦٨] .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٢١٢] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

وهذا دال على أن عظم النية الصالحة وأثرها في تحصيل أجر العمل كاملاً ، ويؤيد هذا المعنى ما أخرجه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا وَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ إِلَى أضعاف كثيرة ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً » .^(١)

قال ابن رجب : " وهذا يدلُّ على أنَّ المرادَ بالهمِّ هنا : هو العزمُ المصمَّم الذي يُوجدُ معه الحرصُ على العمل ، لا مجردَ الخطِّرة التي تخطر ، ثم تنفسحُ من غير عزمٍ ولا تصميم " .^(٢) وهذا من عظيم فضل الله تعالى ورحمته بعباده ، ولذا قال ابن دقيق العيد^(٣) : " فانظر يا أخي وفقنا الله وإياك إلى عظيم لطف الله تعالى وتأمل هذه الألفاظ وقوله : « عنده » إشارة إلى الاعتناء بها ، وقوله : « كاملة » للتأكيد وشدة الاعتناء بها " .هـ^(٤)

وذلك لأنَّ نية المؤمن خير من عمله فيثاب على النية من دون عمل ، ولا يُثاب على العمل المجرد عن النية الصادقة الخالصة .

وقد استدللَّ الشيخ ابن عثيمين^(٥) بالآية الأنفة الذكر في شرحه لهذا الحديث فقال : " واعلم أنَّ مَنْ هَمَّ بالحسنة فلم يعملها على وجوه : الوجه الأول : أن يسعى بأسبابها ولكن

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب إذا همَّ العبد بحسنةٍ أو بسئةٍ برقم (٦٤٩١) ، وأخرجه مسلم برقم (٣٣٨) .

(٢) جامع العلوم والحكم [٣١٩/٢] .

(٣) هو : محمد بن علي بن وهب ، المعروف بابن دقيق العيد ، ولد في شعبان سنة ٦٢٥هـ بناحية ينبع ، مات سنة ٧٠٤هـ . ينظر التاج المكلل [ص/٤٦٤] .

(٤) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد [١٢٢/١] .

(٥) هو : محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عثيمين ، من الوهبة من بني تميم ، ولد في ٢٧ من رمضان عام ١٣٤٧هـ في عنيزة - إحدى مدن القصيم في المملكة العربية السعودية ، توفي في جدة يوم الأربعاء ١٥ من شهر شوال عام ١٤٢١هـ ، وصلي عليه في المسجد الحرام . ينظر الدر الثمين في ترجمة العلامة بن عثيمين [ص/٤-١٠] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

لم يدركها، فهذا يكتب له الأجر كاملاً ، لقول الله تعالى : « وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » [النساء: ١٠٠] . هـ^(١)

وقد يرد على هذا الاستدلال أن هذا المهاجر حصل منه ابتداء وشروع في الهجرة ، فكيف يُستدل بالآية على وقوع الأجر من غير عمل ؟

والجواب عن هذا أنه لم يحصل مقصوده من وقوع العمل الذي نواه وأراده ، وقد وقع أجره كاملاً كأنه هاجر لنيته الصالحة .

فقد وروي عن سعيد بن المسيب ، قال : " مَنْ هَمَّ بِصَلَاةٍ ، أَوْ صِيَامٍ ، أَوْ حَجٍّ ، أَوْ عَمْرَةٍ ، أَوْ غَزْوٍ ، فَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، بَلَّغَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا نَوَى " .^(٢)

ومن المواضع الدالة على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥] .

والشاهد من الآية قوله تعالى : « وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ » ، فسوى سبحانه بين المجاهدين والقاعدتين من أولي الضرر في حصول الأجر والثواب لهم جميعاً ووعدهم بالجنة مع أن القاعدتين من أولي الضرر لم يجاهدوا معهم حيث حبسهم العذر فأتاهم على نيتهم الصالحة وهمهم بالجهاد .

قال ابن عباس وغيره : القاعدون المفضل عليهم المجاهدون درجة هم القاعدون من أهل الأعدار ، والقاعدون المفضل عليهم المجاهدون درجات هم القاعدون من غير أهل الأعدار .^(٣)

(١) شرح الأربعين النووية ، لابن عثيمين [٣٧٠/١] .

(٢) ينظر جامع العلوم والحكم [٣٢٠/٢] .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن برقم (٣٠٣٢) ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

الإخلاص في القرآن = الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

فإنَّ هذه الآية نزلت في شأن ابن أم مكتوم ^(١) ، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء رضي الله عنه أنه كان يقول في هذه الآية : « لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ، قال : فأمر رسول الله ﷺ زيداً فجاء بكتف فكتبها . قال : فشكا إليه ابن أم مكتوم ضرارته ، فنزلت : « لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ » . ^(٢)

ولهذا قال ﷺ : « إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَاماً مَا سَرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ وَلَا قَطَعْتُمْ مِنْ وادٍ إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ » ، قالوا : يا رسول الله وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة، حبسهم العذر » . ^(٣)

وفي حديث جابر رضي الله عنه : « إِلَّا شَرَكُوكُمُ الْأَجْرُ » . ^(٤)

قال ابن حجر : " وفيه أنَّ المرء يبلغ بنيتَه أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل " . هـ ^(٥)

ومن هذا الباب أيضاً ما ثبت في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ،

أنه قال : « إذا مرض العبد أو سافر ، كُتِبَ له ما كان يعمل وهو صحيح مقيم » . ^(٦)

(١) هو : عبد الله بن زائدة بن الأصم ، يقال : هو ابن أم مكتوم ، ويقال : هو عبد الله بن عمرو القرشي العامري الأعمى . ينظر : أسد الغابة [٣/٣٦٧] ، والإصابة [٦/١٤٣] ، والاستيعاب [١/٥٣٨] .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب : قول الله تعالى : « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ... » برقم (٢٨٣١) ، ومسلم في كتاب الإمارة برقم (١٨٩٨) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي برقم (٤٤٢٣) ، وفي كتاب الجهاد والسير باب من حبسه العذر عن الغزو ، برقم (٢٨٣٨) من حديث أنس بن مالك .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة برقم (٣٩٣٣) ، وابن ماجه في كتاب الجهاد باب من حبسه العذر عن الجهاد ، برقم (٢٧٦٥) .

(٥) فتح الباري لابن حجر [٦/٥٦] .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة ، برقم (٢٩٩٦) .

وأحمد في مسنده برقم (١٩٦٧٩) . والبيهقي في سننه الكبرى برقم (٦٣٣٩) ، وغيرهم .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فإنه إذا كان يعمل في الصحة والإقامة عملاً ثم لم يتركه إلا لمرض أو سفر ؛ ثبت أنه إنما ترك لوجود العجز والمشقة ، لا لضعف النيّة وفتورها ، فكان له من الإرادة الجازمة التي لم يتخلف عنها الفعل إلا لضعف القدرة، ما للعامل والمسافر " هـ^(١) وأيضاً حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله عزّ وجلّ مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله عزّ وجلّ فيه حقه ، قال : فهذا بأفضل المنازل .

قال : وعبد رزقه الله عزّ وجلّ مالاً ولم يرزقه مالاً ، قال : فهو يقول : لو كان لي مال عملت بعمل فلان ، قال : فأجرهما سواء .

قال : وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه عزّ وجلّ ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقه ، فهذا بأخبث المنازل .
قال : وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو كان لي مال لعملت بعمل فلان ، قال : هي نيّته فوزرهما فيه سواء » .^(٢)

ولذا قال ابن رجب : " ومتى اقترن بالنيّة قولٌ أو سعيٌّ ، تأكّد الجزاء ، والتحقّ صاحبُه بالعامل .

وقد حمل قوله صلى الله عليه وسلم : « فهما في الأجر سواء » على استوائهما في أصل أجر العمل، دون مضاعفته ، فالمضاعفة يختصُّ بها من عمِلَ العمل دونَ من نواه فلم يعمله " هـ^(٣)

(١) ينظر مجموع الفتاوى [٧٣٢/١٠] .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب مثل الدنيا مثل أربعة نفر، برقم (٢٣٢٥)، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه أحمد في مسنده برقم (١٨٠٣١) . وصححه الألباني كما في صحيح الجامع برقم (٣٠٢٤) .

(٣) ينظر جامع العلوم والحكم [٣٢١-٣٢٠/٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

ومَّا يُؤكِّدُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْءُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٢﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٠-١٢١] .

فهاتان الآيتان من المواضع التي تدل على وقوع أجر العامل كاملاً إذا خلصت نيته ، وأن الأجر يشمل كل الأمور المترتبة على ذلك العمل ، وإن كانت غير مقصودة منه ، أو كانت أموراً يسيرة لا يؤبه بها لأجل حسن قصدهم في الخروج .

ومن الآيات الدالة على حصول الأجر والثواب بالإخلاص والنية الصادقة من غير عمل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩٢] .

فقد عذرهم الله تعالى عن التخلف في الغزو مع رسول الله ﷺ لعجزهم عن الخروج بضعف أو مرض أو عدم نفقة ونحوها ، مع حرصهم على الخروج مع رسول الله ﷺ ، وإخلاصهم لله تعالى ، ولذا أثبت لهم وصف الإحسان كما في قوله : « مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ » ، والله لا يضيع أجر المحسنين فيثيبهم على صدقتهم وإخلاصهم ، ولا يلزم من رفع الحرج عنهم لعذرهم وإسقاط التكليف بالخروج للجهاد عدم ثبوت الأجر والثواب لهم على

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

نصحهم وإخلاصهم ، بل إنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال في الحديث السابق : « إَلَّا كَانُوا مَعَكُمْ » ،^(١) فيدل على ثبوت أجر الغزو لهم .

وأصل النصح : إخلاص العمل من الغشِّ ، ومنه التوبة النصوح .^(٢)

ونصح كل شيء بحسبه ، فالنصح لله تعالى : صحة الاعتقاد في وحدانيته ، وإخلاص النية في عبادته .

والتُّصح لرسول الله : التصديق بنبوّته ، وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه .^(٣)



(١) حديث أنس المتقدم ، وقد سبق تخريجه ، ينظر [ص/٨٦] من هذا البحث .

(٢) فتح القدير [٣٩٢/٢] .

(٣) جامع العلوم والحكم [٢١٩/١] ، بتصرف يسير .

المبحث الخامس

تسمية بعض سور القرآن باسم الإخلاص

المطلب الأول

﴿ سورة الإخلاص ﴾ ((قل يا أيها الكافرون)) ﴿﴾

إنَّ ممَّا يبيِّن أهمية الإخلاص ومنزلته في كتاب الله تعالى تسمية بعض سور القرآن بالإخلاص ، فإنَّ هذه التسمية تميز هذه العبادة العظيمة عن غيرها من العبادات فضلاً عن اشتغال القرآن على بيان الإخلاص والأمر به والدعوة إليه وغير ذلك من التفاصيل المتعلقة به .
وقبل الخوض في غمار هاتين السورتين الكريمتين يحسُن الإشارة إلى تسمية السور هل هو توقيفي أم اصطلاحي ؟

يرى السيوطي أنَّ تسمية سور القرآن توقيفي حيث قال في كتابه (الإتيقان) : قد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك ، ومما يدل لذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : كان المشركون يقولون سورة البقرة وسورة العنكبوت ، يستهزئون بها فنزل : ((إِنَّا كَفِينَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)) .^(١)

وكذا صرح ابن عقيلة المكي^(٢) .^(٣)

(١) الإتيقان في علوم القرآن [١٥٠/١] .

(٢) هو : محمد بن أحمد بن سعيد بن مسعود ، المشتهر والده بعقيلة ، المكي الحنفي ، يُكنى أبا عبد الله ، نشأ في مكة ، وتوفي بها عام ١١٥٠ هـ ودفن في زاويته بأول المعابدة . ينظر هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين [٣٥٨/٣] .

(٣) ينظر الزيادة والإحسان في علوم القرآن [٣٧٥/١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

ولم يصرح ابن جرير الطبري بأن تسمية السور كلها توقيفية ، وإنما يرى أن منها سوراً سمّاها رسول الله ﷺ ، فقال : ثم لسور القرآن أسماء سمّاهن رسول الله ﷺ . (١)

والحاصل أن من القرآن سوراً ثبت تسميتها من قبل النبي ﷺ ورد بها النص الصحيح فهي توقيفية ، كسورة البقرة وآل عمران والكهف وغيرها مما صحّ به الخبر ، ومن السور من لم تثبت تسميتها من قبل رسول الله ﷺ ، فلم يُحفظ ذلك في كل السور ، فعن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر ، قال : قل سورة النضير . (٢)

فلو كانت توقيفية لم يسغ لابن عباس أن يخالف ذلك ، كما أن من السور ماله أكثر من اسم . (٣)

وأياً كان فقد سُميت سورتان من سور القرآن باسم الإخلاص ، ولهما دلالتها على شرف هذا الاسم ، واشتمال السورتين على موضوع الإخلاص .

فمن السور التي سميت بالإخلاص سورة (الكافرون) ، والحديث عن هذه السورة يتلخص في أمور :

الأول : اسم السورة وعلاقته بالإخلاص :

لهذه السورة أسماء عدة فمن أسمائها (الكافرون) ، وهو المثبت في المصاحف ، وهو مأخوذ من مطلع السورة ، ودلالته عليه واضحة بينة من حيث ذكر الضد .

ومن أسمائها (الإخلاص) ، وهو الذي له ارتباط وثيق بهذا البحث ، فإنّها سميت بهذا الاسم لأنّ فيها البراءة من الكفر والكافرين .

(١) جامع البيان [٩٦/١] .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٨٨٢) .

(٣) صدرت فتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة برقم (٢٣٧٦) ونصها : لا نعلم نصاً عن رسول الله ﷺ يدل على تسمية السور جميعها ، ولكن ورد في بعض الأحاديث الصحيحة تسمية بعضها من النبي كالبقرة ، وآل عمران ، أما بقية السور فالأظهر أن تسميتها وقعت من الصحابة رضي الله عنهم . ينظر فتاوى اللجنة [١٦/٤] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

ولهذا قال القرطبي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " ليس في القرآن سورة أشد غيظ إبليس من هذه السورة ؛ لأنها توحيد وبراءة من الشرك " .^(١)

ذلك أنّ الإخلاص والتوحيد لله تعالى يستلزم البراءة من الكفر وأهله ، وهو أحد شروط كلمة لا إله إلا الله ، التي عدّها أهل العلم بالاستقراء والتتبع لنصوص الكتاب والسنة ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢١﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٢٢﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٦-٢٧-٢٨] .

وقوله ﷺ : « من شهد أن لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » .^(٢)

ومصدق هذا قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

فقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله تعالى ، وأنّ الاستمسك بالعروة الوثقى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) يستلزم هذين الأمرين المذكورين .
فإنّ التوحيد هو : إفراد الله بالعبادة ،^(٣) ومقتضى ذلك الكفر بما عُبد من دون الله ، وهو ما دلت عليه هذه السورة الكريمة .

قال ابن كثير : " هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون ، وهي أمرة بالإخلاص فيه " .^(٤)

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [٥٣٣/٢٢] .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان [٥٣/١] حديث رقم (٣٧) .

(٣) ينظر كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب [١١٤/٦] ضمن مجموع مؤلفات الشيخ .

(٤) تفسير القرآن العظيم [٤٨٦/١٤] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

ففي هذه السورة مفارقة واضحة بين أهل الإخلاص وأهل الشرك ، وفيها دلالة قاطعة على وجوب الإخلاص لله تعالى ومنزلته من الدين ، ووجوب التمسك به كما قال تعالى : ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] ، فظهرت المطابقة بين اسم السورة ومحتواها ومقاصدها الجليلة .

الثاني : فضل السورة :

وردت أحاديث في فضل هذه السورة لا تخلو من ضعف عند أهل العلم بالحديث ،^(١) فضربت صفحاً عن إيرادها ، ولكن ثبت عند مسلم وغيره أن النبي ﷺ « كان يقرأ بهذه السورة في سنة الفجر ، وركعتي الطواف » .^(٢)

وأخرجه أحمد في مسنده أن النبي ﷺ « قرأ بهذه السورة و (قل هو الله أحد) في الركعتين بعد المغرب » .^(٣) « وكان يقرأ بها في صلاة الليل » .^(٤)

وتخصيصه ﷺ هاتين السورتين في هذه المواضع دون غيرها دليل على فضلها ، وإشارة إلى عظم الإخلاص لله تعالى في العبادة .

وفي هذه السورة الكريمة دليل على ضرورة اعتزاز المسلم بدينه وعقيدته ، وتشرفه بالتعبد لله تعالى وإخلاص الدين له ، وضرورة ملازمة العبادة والإخلاص في كل الأحوال . وقد أكدت هذه السورة نفي العبادة عما سوى الله في كل الأحوال ، وكررت النفي لإزالة الشرك العملي من جذوره وأصوله ، وذلك لأنه أغلب على النفوس لأجل متابعتها هواها ، فقلعه منها أصعب وأشد من قلع الشرك العلمي وإزالته .^(٥)

(١) ينظر فضائل القرآن للمستغفري [٢/٦٨٦-٦٩٠] ، وفضائل القرآن لأبي عبيد [ص/٨٧] .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج برقم (١٢١٨) من حديث جابر .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٤٧٦٣) من حديث ابن عمر وصححه أحمد شاكر . وأخرجه أيضاً الترمذي في كتاب الصلاة باب ما جاء في ركعتين بعد المغرب والقراءة فيهما برقم (٤٣١) وقال : حديث غريب . وأخرجه ابن ماجه في أبواب إقامة الصلوات باب ما يقرأ في الركعتين بع المغرب برقم (١١٦٦) .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة برقم (٢٢٣٠٠) وإسناده حسن .

(٥) ينظر زاد المعاد [١/٣١٧] بتصرف ، وللإستزادة ينظر تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية [٧/٢٠٢-٢١٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

الثالث : سبب نزول السورة :

أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنَّ قريشاً وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة ، ويؤجوه ما أراد من النساء ، ويطئوا عقبه ، فقالوا له : هذا لك عندنا يا محمد ، وكُفَّ عن شتم آلهتنا فلا تذكرها بسوء ، فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك خصلة واحدة ، فهي لك ولنا فيها صلاح . قال : « ما هي ؟ » قالوا : تعبد آلهتنا سنة : اللات والعزى ، ونعبد إلهك سنة ، قال : « حتى أنظر ما يأتي من عند ربي » ، ف جاء الوحي من اللوح المحفوظ : « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ... » السورة ، وأنزل الله : « قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ... » إلى قوله : « فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ » .^(١)

فهذه القصة - مع ضعفها - اشتملت على بيان عدم موافقة المشركين فيما هم عليه من الكفر بالقول الفصل المؤكد في الحال والمستقبل ، وأنَّ دين الإسلام لا يخالط شيئاً من دين الشرك ، وأنه دين قائم على إخلاص العمل لله تعالى دون ما سواه ، فإنَّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب ، فظهرت مطابقة الاسم للمسمّى والمحتوى ، وتبيّن أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم .^(٢)



(١) جامع البيان [٧٠٣/٢٤] ، وينظر أسباب النزول للواحي [٣٠٧/ص] ، ولباب النقول [ص/٢١٨] ، والحديث أخرجه الطبراني في معجمه الصغير برقم (٧٥١) ، قال صاحب الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني : فيه عبد الله بن عيسى الخزاز قال أبو زُرعة : منكر الحديث ، وقال ابن عدي : يروي عن يونس وداود بن أبي هند ما لا يوافقه عليه الثقات . ه ينظر الروض الداني [٥٠/٢] .

(٢) ينظر مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور [٦٠/٣-٢٦١] .

المطلب الثاني

﴿ سورة الإخلاص ﴾ ((قل هو الله أحد)) ﴿﴾

ومن السور التي سميت بالإخلاص سورة (قل هو الله أحد) فقد سميت بالإخلاص لأنها أخلصت في نعت الله تعالى ووصفه ، وسيكون الكلام عن هذه السورة في مسائل :

الأولى : اسم السورة ودلالاتها على محتواها :

ثبت تسمية سورة (قل هو الله أحد) بالإخلاص في أكثر المصاحف وفي معظم التفاسير وفي جامع الترمذي .

والمتأمل لمحتوى السورة ودلالاتها على نعت الله جلَّ وعلا بنعوت الجلال وصفات الكمال، حيث أخلصت في نعته تعالى ووصفه ، واشتهر هذا الاسم لاختصاره وجمعه معاني هذه السورة لأنَّ فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالى ، أي سلامة الاعتقاد من الإشراف بالله غيره في ألوهيته ، فهو واحد في ربوبيته ، واحد في ألوهيته ، واحد في أسمائه وصفاته كما قال ابن القيم :

فَلِوَاحِدٍ كُنَّ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ *** أَعْنِي سَبِيلَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ . (١)

ففيه إثبات وحدانية الله تعالى ، وأنه لا يقصد في الحوائج كلها غيره ، كما الله تعالى :

﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣] ، وقوله تعالى :

﴿ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ... ﴾ [التوبة: ٣١] ، فأخلصت هذه السورة الخبر عن

الله وخلصت قارئها من الشرك الإعتقادي . (٢)

(١) الكافية الشافية [ص/٢٥٦] .

(٢) فتح الباري [٦٧٨/٨] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

الثانية : فضلها :

جاءت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ دالة على فضل سورة الإخلاص ، ولا شك أن كلام الله يتفاضل من جهة اختلاف المعاني .^(١)

فسورة الفاتحة أفضل سورة في القرآن وأعظمها، وآية الكرسي أعظم آية في القرآن ، ويدل لهذا ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فشق ذلك عليهم ، وقالوا : أئنا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال : الله الواحد الصمد ، ثلث القرآن » .^(٢)

ومما ورد في فضلها أيضاً ما أخرجه البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ « قل هو الله أحد » يرددتها ، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها ، فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن » .^(٣)

وإنما كانت تعدل ثلث القرآن في الفضل ؛^(٤) لأنها صفة الرحمن جلّ وعلا ،^(٥) ولأن القرآن على ثلاثة أحوال : توحيد ، وأخبار ، وأحكام ، فجاءت هذه السورة بتقرير التوحيد والإخلاص لله تعالى ، فعدلت ثلث القرآن وخلصت قارئها المؤمن بها .^(٦)

(١) ينظر جواب أهل العلم والإيمان [ص/٥٥] وما بعدها .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب فضل (قل هو الله أحد) برقم (٥٠١٥) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب فضل (قل هو الله أحد) برقم (٥٠١٣) .

(٤) إنما قيد عدلها بثلث القرآن في الفضل لأن من قرأها ثلاث مرات لا يقال إنه ختم القرآن ولا يجزئه ذلك .

(٥) إشارة إلى ما أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها في قصة الرجل الذي بعثه النبي ﷺ ليصلي بأصحابه

فكان كلما صلى بهم ختم بقل هو الله أحد ، فسئل في ذلك فقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها .

(٦) زاد المعاد [٣١٦/١] باختصار .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم

والأحاديث في بيان فضلها كثيرة ، وهي دالة على فضل التوحيد والإخلاص وعظمته وعلو منزلته عند الله تعالى ، فإنَّ العبد إذا عرف الله حق المعرفة وعرف ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وأنَّه المعبود وحده لا شريك له ، وأنَّه المقصود وحده في قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، قاده إلى القيام بحقه والإخلاص له ، وهذا ممَّا دلَّت عليه السورة الكريمة ، وبهذا يتبين مطابقة اسم السورة للمسمَّى والمحتوى ، ودلالته على اهتمام القرآن بالإخلاص وعظم منزلته .

الثالثة : سبب نزولها :

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنَّ المشركين قالوا لرسول الله ﷺ : انسب لنا ربك ، فأنزل الله تعالى : « قل هو الله أحد الله الصمد » .^(١)

فتبيّن بهذه المسائل دلالة هذه السورة على أهمية الإخلاص ورفيع منزلته في القرآن الكريم.



(١) ينظر : أسباب النزول للواحدي [ص/٣٠٩] ، وللاستزادة ينظر لباب النقول [ص/٢١٩] ، والحديث أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الإخلاص برقم (٣٣٦٤) ، وأخرجه برقم (٣٣٦٥) عن أبي العالية أن النبي ﷺ ذكر ألهتهم فقالوا : انسب لنا ربك ... الحديث .

الفصل الثالث

الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : أمر الرسول ﷺ بالإخلاص .

المبحث الثاني : أمر المؤمنين بالإخلاص .

المبحث الثالث : أمر الناس بالإخلاص عموماً .

المبحث الرابع : حصر الأمر في الإخلاص .

المبحث الخامس : الثناء على المخلصين .

المبحث السادس : بيان جزاء المخلصين .

المبحث السابع : بيان فضل الإخلاص .

المبحث الأول

﴿ أمر الرسول ﷺ بالإخلاص ﴾

لقد دعا القرآن الكريم إلى إخلاص الدين لله وحده ، بأساليب متنوعة ، وطرائق متعددة ، تنويعاً بأهميته ، وتأكيداً على فرضيته ، ووجوبه ، وبياناً لمنزله ، ومن هذه الوسائل أمر الرسول ﷺ بالإخلاص لله تعالى في عبادته فقال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر: ٢] .

قال ابن جرير : " يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ : إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْكِتَابَ ، يعني بالكتاب : القرآن ، « بِالْحَقِّ » يعني بالعدل ، يقول : أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ يَا مُحَمَّدُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، ومن ذلك الحق والعدل أن تعبد الله مخلصاً له الدين ؛ لأنَّ الدين له لا للأوثان التي لا تملك ضرراً ولا نفعاً " هـ^(١)

والمأمل للآية الكريمة يجد أنَّ أمر النبي ﷺ بإخلاص العباد لله تعالى مرتب على إنزال القرآن على رسول الله ﷺ ، وفي هذا دلالة بينة على أن أعظم مقاصد القرآن وهداياته الدعوة إلى إخلاص العباد لله تعالى ، فهو أحق الحق ، وأعدل العدل ، حيث أعقب تعالى الحديث عن إنزال القرآن بالحق الأمر بإخلاص العباد لله وحده لا شريك له ، وذلك أن القرآن نازل من الحق بالحق على أشرف الخلق لهداية الخلق ، وهي نعمة كبرى ، ومنة عظيمة ، توجب الشكر بإخلاص العبودية لله رب العالمين .

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن [١٥٤/٢٠] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

وفي أمر النبي ﷺ بالإخلاص مع قيامه به ودعوته إليه زيادة تصريح بالإخلاص ،
ومزيد بيان لأهميته وشأنه، وتأكيده على شرف منزلته حيث أمر به أخص خلقه وصفوة رسله
ﷺ .

فالمقصود من الأمر بالعبادة في هذه الآية التوطئة إلى تقييد العبادة بالإخلاص من قوله :
(« مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ») لإفادة التوحيد ، وأخص منه أن تكون عبادة النبي ﷺ غير مشوبة بحظ
دنيوي كما قال تعالى : (« قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ » [ص: ٨٦] . (١)

ومن الآيات التي جاء فيها أمر النبي ﷺ بالإخلاص قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ
أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر: ١١] ، فقد أمر الله نبيه ﷺ بأن يخبر الناس بأمر
الله له بإخلاص العبادة لله وحده دون ما سواه ، ذلك أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ ما
يملك على هذا الدين الذي أتيتنا به ، ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك ورسادات قومك يعبدون
اللات والعزى ، فأنزل الله : (« قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ») . (٢)

فكانت هذه الآية رداً صريحاً على أولئك المشركين ومن نحا نحوهم في التقليد الأعمى
وبياناً لمنهج النبي ﷺ واتباعه المبني على الإتيان لا التبعية والابتداء ، فكان النبي ﷺ أول
المسلمين المتبعين لأمر الله المخلصين في عباداته ولهذا أثره الواضح في قبول دعوته واتباع دينه .
ولما كان الأمر بالشيء نهيًا عن ضده نهي الله نبيه ﷺ عن كل ما ينافي
الإخلاص فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا
جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٦] .

(١) التحرير والتنوير [٣١٦/٩] بتصرف يسير .

(٢) التحرير والتنوير [٣٥٨/٩] بتصرف . وينظر في ذكر سبب نزولها فتح القدير [٥٦٣/٤] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

فهذه الآية جاءت عقب أمره تعالى بإخلاص الدين لله في الدعاء حيث قال : ﴿ هُوَ

الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[غافر: ٦٥] ، وفي بيان أمره ﷺ بالإخلاص ونهيه عن الشرك محض نصيحته لأُمَّته ودعوتهم إلى ما يريد له لنفسه .

وفي قوله تعالى : « لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي » تعريض بحال المشركين الذين لم يعرفوا

لما جاءهم من الدلائل الواضحات والآيات البينات على وحدانية الله تعالى وتفرد به بالعبادة ، فكان الواجب عليهم امتثال أمره تعالى ، والحذر من مخالفته ، فإنَّ هذا شأن العقلاء الأسوياء

الذين يتبعون الحق ويذرون الخلق ، ولهذا قال تعالى لنبِيِّهِ ﷺ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِ

كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي

يَتَوَفَّنُكُمْ ۗ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا

تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۗ فَإِنْ

فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٤-١٠٥-١٠٦] .

فإنَّ الله تعالى وتقدَّس أمر نبيِّه ﷺ أن يعلن مفارقتة للمشركين ومخالفتهم في دينهم ،

والبراءة منهم ومما يعبدون من دون الله ، كما أمره بأن يكون من المؤمنين المصدقين الموقنين

بوحدانيته تعالى واستحقاقه للعبادة ، وفي هذا إتباع للحق وهداية للخلق ، ثم أمره تعالى بإقامة

دينه وعبادته لله مائلاً عن الشرك وعن المشركين ، وهذه حقيقة الإخلاص والفتوة التي فطر الله

النَّاسَ عليها كما قال تعالى : ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۗ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿

[الروم: ٣٠] .

وبهذا يتبين أنّ أمر الرسول ﷺ بالتوحيد والإخلاص من أعظم وسائل الدّعوة إلى الإخلاص وبيان أهميته وعظيم شأنه .

فإنّ المأمور به إذا كان مشتركاً بين النّاس سهل عليهم قبوله ، وزالت عنهم الوحشة في الأخذ به وسلوكه ، فكيف إذا كان مشتركاً بينهم وبين خير الأمة وأفضلها ؟ !

لا شك ولا ريب أنّ لهذا الأمر الأثر العظيم في نفوس المدعوين من حيث قبوله ، بل والمبادرة إليه ، ومن حيث يسره على النفس ، كما أن فيه دلالة واضحة على عبودية الرسول ﷺ لربّه ، وأنّه عبدٌ لا يعبد ، ورسول لا يكذب ، مما يرد على الغالين في شخصه الكريم ، الجاعلين له حق العبادة مع الله أو من دونه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - .

وبهذا يتضح جلياً أنّ أمره ﷺ بالإخلاص من أعظم وسائل القرآن في الدّعوة إلى الإخلاص ، والترغيب فيه .



المبحث الثاني

﴿ أمر المؤمنين بالإخلاص ﴾

من الوسائل التي سلكها القرآن في الدعوة إلى الإخلاص توجيه الأمر به إلى جميع المؤمنين، ليكون أدهى لقبوله ، وليلد على عمومته وشموله لأهل الإيمان ، وأن المؤمنين مع إيمانهم بالله تعالى بحاجة إلى تعاهد إيمانهم وتجديد إخلاصهم لله تعالى ، ليترقوا في مسالك المخلصين ، ويرتفعوا في درجات المؤمنين الموحدين فيزدادوا إيماناً مع إيمانهم .

فمن المواضع الدالة على هذا المعنى ، الداعية لأهل الإيمان إلى الإخلاص لله تعالى قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧] ، فإنه تعالى نادى أهل الإيمان باسم الإيمان الذي هو من أجل الأسماء وأسمى الصفات ، أمراً لهم بالركوع والسجود اللذين هما من أركان الصلاة ، مريداً إقامة الصلاة ، ثم عطف الأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وإتماً خص الصلاة بالذكر دون سائر العبادات تشريفاً لها وتنويهاً بشأنها .

وفي معنى هذه الآية يقول الخازن : « واعبدوا ربكم » يعني وحدوه ، وقيل : أخلصوا له العبادة . هـ ^(١) وقال البغوي : " أي : وحدوه " . هـ ^(٢) وكذا قال ابن الجوزي . ^(٣)

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل [٣٦٧/٤] .

(٢) معالم التنزيل [٣٦٨/٤] .

(٣) زاد المسير [٤٥٤/٥] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

وقال ابن سعدي : " يأمر تعالى عباده المؤمنين بالصلاة ، وخص منها الركوع والسجود ، لفضلهما وركنيتهما ، وعبادته التي هي قرة العيون ، وسلوة القلب المحزون ، وأن ربوبيته وإحسانه على العباد ، يقتضي منهم أن يخلصوا له العبادة ، ويأمرهم بفعل الخير عموماً ، ، فلا طريق للفلاح سوى الإخلاص في عبادة الخالق ، والسعي في نفع عبده ، فمن وفق لذلك فله القدر المُعَلَّى ، من السعادة والنجاح والفلاح " .^(١)

وفي هذه الآية أسلوب لطيف في الأمر بالإخلاص وعبادته سبحانه حيث النداء باسم الإيمان ، وإضافة العبادة إلى الرب مما يشعر بوجوب القيام بحق ربوبيته ولزوم عبوديته ، وختم الآية بالعاقبة الحميدة والجزاء الحسن ، فمن قام بهذه الأعمال تم حصول الفلاح له ، وهو الفوز بالمطلوب وهي الجنة ، والنجاة من المهوب وهي النار ، فما أجمل خطاب القرآن ! وما أحسن عرضه ! وما أشد جذبه للمدعوين ! !

ومن الآيات الأمرة للمؤمنين بالإخلاص قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَوَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ ءَوَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ءَوَكُتِبِهِ ءَوُرَسُولِهِ ءَوَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦] .

فهذه الآية جاءت سابقة للحديث عن المنافقين وأحوالهم وجزائهم في الآخرة ، فإنه أمر المؤمنين في هذه الآية بتحقيق الإيمان بالله ، والمتضمن للإخلاص لله تعالى ، وتحقيق الإيمان ببقية أركان الإيمان وأصوله العظيمة ، وختمها بحال من كفر بهذه الأصول وضلاله وبعده عن الحق ، ثم أعقبها بذكر حال المنافقين وصفاتهم ومآلهم في الآخرة ، مما يفيد التحذير للمؤمنين

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٦٣٨] باختصار .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

من حالهم وصفاتهم بدلالة السياق القرآني البديع المتناسق ، فإنَّ الأمر بالإيمان المتضمن للإخلاص لله تعالى يستلزم النهي عن ضده ، وقد جاء مُصْرَحاً به لخطورته وشناعته .

قال ابن سعدي : " اعلم أنَّ الأمر إمَّا أن يوجَّه إلى من لم يدخل في الشيء ولم يتصف بشيء منه ، فهذا يكون أمراً له في الدخول فيه ، وذلك كأمر من ليس بمؤمن بالإيمان ، كقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ... » ، وإمَّا أن يوجَّه إلى من دخل في الشيء ، فهذا يكون أمره ليصح ما وجد منه ، ويحصل ما لم يوجد ، ومنه ما ذكره الله في هذه الآية من أمر المؤمنين بالإيمان ، فإنَّ ذلك يقتضي أمرهم بما يصح إيمانهم من الإخلاص والصدق ، وتجنب المفسدات والتوبة من جميع المنقصات " هـ^(١)

وقيل الخطاب في الآية للمنافقين ، أي : يأيها الذين أظهروا الإيمان بألسنتهم .^(٢)

وهو قول مجاهد .^(٣) وقال أبو العالية وجماعة : " هذا خطاب للمؤمنين ، يقول : « يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا » أي : أقيموا واثبتوا على الإيمان " .^(٤)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : " إنَّها نزلت في مؤمني أهل الكتاب " .^(٥)

وأياً كان فإنَّ الخطاب يصلح أن يكون موجهاً لكل من ذكر على حسب جهته ، فهو أمر للمؤمنين بالثبات على الإيمان وتقويته وزيادته ، وأمر لأهل الكتاب بالإيمان بمحمد ﷺ كما آمنوا بمن قبله من الرسل ، وهو أمر للمنافقين بأن يواطئ إيمان القلب إيمان اللسان .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٢٢٧] .

(٢) المحرر الوجيز [٤/٢٥٩] .

(٣) معالم التنزيل [٢/١٧٨] .

(٤) المصدر السابق .

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل [٢/١٧٨] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

فتبيّن بهذا شدة حاجة المؤمن إلى الإخلاص لله تعالى في كل أقواله وأفعاله ، وعناية القرآن الكريم بدعوة المؤمنين إلى الإخلاص وترغيبهم فيه ، وتحذيرهم مما يضاده من النفاق والرياء والشرك به سبحانه ، كما دلّ أمر المؤمنين بالإخلاص على أنّ الإخلاص عبادة عظيمة يتفاوت أهل الإيمان في تحقيقه ويتفاضلون فيما بينهم بحسب ما قام بقلوبهم ، كما سبق في مبحث مستقل .

ومن الآيات الآمرة للمؤمنين بالإخلاص للمعبود سبحانه قوله تعالى : ﴿ يَنْعَبَادِيَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّيَّ فَاعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت : ٥٦] ، أي : فأخلصوا لي عبادتكم وطاعتكم ، ولا تطيعوا في معصيتي أحداً من خلقي .^(١)

فهذا نداء من الله لأهل الإيمان يأمرهم فيه بعبادته وحده لا شريك له ، وقد قدم الضمير المنفصل « إياي » ليدل على قصر العبادة وحصرها عليه سبحانه دون ما سواه . وفي هذا العرض القرآني لأمره تعالى للمؤمنين بالإخلاص بيان لمنهج القرآن الفريد المتميّز المؤثر في الدعوة إلى الإخلاص ، وتنوع الأسلوب والخطاب بتنوع المدعوين والمخاطبين . كما يدل على حاجة المؤمنين للتذكير بالإخلاص ، وضرورة تعاهد أنفسهم به ، وهذا كله دال على عناية القرآن بالإخلاص بياناً لأهميته وتأكيداً على علو منزلته .



(١) ينظر جامع البيان [٤٣٥/١٨] .

المبحث الثالث

﴿ أمر الناس بالإخلاص عموماً ﴾

إنَّ الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم أخذت حيزاً كبيراً واهتماماً بالغاً وتنوعاً في الأسلوب ، وشمولاً للمدعوين ، حيث دعا القرآن جميع النَّاسِ مؤمنهم وكافرهم تَقِيَهُمْ وفاجرهم إلى عبادة الله تعالى وإخلاص الدين ، حيث جاء الخطاب عاماً بالأمر بذلك ، فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١] .

فقد نادى سبحانه جميع النَّاسِ أمراً لهم بعبادته جلَّ وعلا المتضمنة إخلاص الدين له ، إذ العبادة لا تسمَّى عبادة إلا مع التوحيد والإخلاص فعُدَّى سبحانه الأمر بالعبادة إلى نفسه بوصف الربوبية المشعر باستحقاقه للعبادة ، المستلزم للإخلاص له سبحانه المعرَّف بنعمه على عباده من الخلق والرزق ، وتسخير الكون لهم ، المقتضي لشكره تعالى بالتوحيد والإخلاص ، حيث ختم الآية الثانية بقوله : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢] ، فمن عرف الله حق المعرفة ، وأقر له بالربوبية على خلقه، وجب عليه عبادته وعدم الإشراك به. وقد أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال : " قال الله : ((يا أيها الناس اعبُدوا ربكم)) ، للفريقين جميعاً من الكفار والمنافقين ، أي : وَحَدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ " هـ (١)

(١) جامع البيان [٣٨٥/١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

وهو الظاهر من سياق الآيات ، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : " كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد " .^(١)

ولعلَّ مراده ﷺ العبادة المتعدية إلى الله تعالى ؛ إذ قد وردت العبادة في معرض الرد على المشركين ، وبيان بطلان عبادتهم مراداً بها إشراكهم مع الله غيره كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٦] ، فسمَّى شركهم عبادة .

فهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له .

قال ابن سعدي : " هذا أمر عام لكل النَّاس ، بأمر عام ، وهو العبادة الجامعة لامتنال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، وتصديق خبره ، فأمرهم تعالى بما خلقهم له ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] " هـ.^(٢)

فإنَّه تعالى لَمَّا ذكر في مطلع هذه السورة الكريمة أصناف الناس ، وصفات كل فريق من المؤمنين والكافرين ، ووجَّه الخطاب إليهم جميعاً في استئناف جديد ثنى به العِنَان إلى موعظة كل فريق منهم بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم من توحيده جلَّ جلاله وإخلاص الدين له .

فهو في حق المؤمنين تأكيد للأمر بالتوحيد ، وتشبيث لهم على القيام بالعبادة .

وفي حق الكفار أمر بإفراده جلَّ وعلا بالعبادة ونبذ الشرك به ، من اتَّخَذ الأنداد آلهة من دون الله ، وتقرير لهم باستحقاقه للعبادة .

(١) معالم التنزيل [٥١/١] .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٣٤] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

وفي حق المنافقين أمر بالإخلاص لله تعالى ، وترك النفاق وموافقة الباطن للظاهر ، فشملت بعمومها جميع المذكورين في سياق بديع ، وتقرير لطيف ، وترغيب للمخاطبين في عبادة أرحم الرّاحمين وخالق الخلق أجمعين .

ومن الآيات التي جاء الأمر فيها بالإخلاص لعموم النَّاس قوله تعالى : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... ﴾ [النساء: ٣٦] .

قال ابن جرير : " يعني بذلك جل ثناؤه : وذُلُّوا لله بالطاعة ، واخضعوا له بها ، وأفردوه بالربوبية ، وأخلصوا له الخضوع والذلة ، بالانتهاى إلى أمره ، والإنزجار عن نهيهِ ، ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكاً تعظمونه تعظيمكم إياه " .^(١)

وقال القرطبي : " أمر الله تعالى عباده بالتذلل له والإخلاص فيه ، فالآية أصل في خلوص الأعمال لله تعالى ، وتصنيفيتها من شوائب الرياء وغيره " .^(٢)

فقد أمر سبحانه بعبادته فقال : « واعبدوا الله » ، وأمر بالإخلاص لله فيها فقال : « ولا تشركوا به شيئاً » ، ذلك أنه تعالى أمر الناس بتقواه في مطلع السورة ، ثم ذكر أموراً هي من لوازم التقوى ممَّا يتعلق بالأحوال الشخصية والأسرية ثم عطف عليه الأمر بهذه الحقوق العشرة ، فبدأ بأهمها وهو عبادته وحده لا شريك له بصدق وإخلاص ، وهذا الحق العظيم الذي فرضه الله على عباده هو محور دعوة الرسل ، فما من رسول إلا دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وإخلاص الدين له ، من لدن نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

(١) جامع البيان [٥/٧] .

(٢) الجامع لأحكام القرآن [٢٩٧/٦] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

وكل رسول من الرسل لم يأل جهداً في بيان هذا الحق ، والدعوة إليه بكل وسيلة ممكنة من وسائل الدعوة ، ولقد أبلى نبينا محمد ﷺ بلاءً حسناً وبلغ البلاغ المبين في الدعوة إلى التوحيد والإخلاص ونبذ الشرك ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

فأمره سبحانه أن ينادي النَّاس جميعاً بعموم رسالته للنَّاس كافة ، وأنه رسول من عند الله الذي ملك السماوات والأرض في تقرير لربوبيته وملكه وإلهيته ، ليأمرهم بالإيمان به سبحانه المتضمن إخلاص العبادة له وحده لا شريك له .

وهذه الآية دالة على عموم رسالته ﷺ إلى جميع الخلق ، وهذا من الخصائص التي اختصه الله بها من دون سائر الأنبياء والمرسلين ، حيث قال ﷺ : « وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة ، ويُعث إلى النَّاس عامّة » .^(١)

وقد أكّد تعالى دعوته إلى الإيمان به سبحانه وبرسوله بحرف التوكيد (إِنَّ) استقصاءً في إبلاغ الدعوة إليهم ، وأكّد ضمير المخاطبين بوصف (جميعاً) نصّاً على العموم في الدعوة ، وقرر ألوهيته وربوبيته على خلقه ، ليقرر الدعوة إلى أصل الأصول ، وهو : التوحيد الخالص في طريقة بديعة ، واستقصاءً للأدلة ليتبين للمتأمل ، ويظهر للمتدبر منهج القرآن في الدعوة إلى الإخلاص ، وعنايته بهذا الجانب العظيم في تنوع الوسائل وعموم الخطاب ، وبراعة وبلاغة في الأسلوب ، تسلب القلوب وتأسر النفوس ، وتدعوها إلى التعلق بالله غلام الغيوب ، وقصده بأنواع العبادة في تناغم وتجانس يبرهن اهتمام القرآن بهذا الركن الركين والأصل المتين .

(١) أخرجه البخاري في كتاب التيمم ، باب قول النبي ﷺ « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » برقم (٤٣٨) من حديث جابر بن عبد الله به ، وأخرجه مسلم في أوائل كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم (٥٢١) .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

ومَّا يزيد الأمر وضوحاً وجلاءً ، ويؤكد عناية القرآن الكريم بتقرير الإخلاص لله رب العالمين، ودعوة الناس جميعاً إليه ، ما ذكره جلَّ وعلا من استهلال جميل ، وتأکید بليغ في مطلع كثير من سور القرآن ، ومن ذلك قوله تعالى في مطلع سورة هود : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ [هود: ١-٢] .

يقول تعالى ذكره : « ثم فصلت » بأن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له .^(١)
فتبين بهذا الحكمة العظيمة والغاية الجليلة من إنزال القرآن ، وأنها عبادة الله وحده لا شريك له ، وذلك بإخلاص الدين له .

وهذا ممَّا يؤكد ابن سعدي بقوله : " أي : لأجل إخلاص الدين كله لله ، وأن لا يشرك به أحد من خلقه " .هـ.^(٢)

فهذه الآية الكريمة فيها الدلالة الواضحة على أن الحكمة العظمى التي أنزل القرآن من أجلها : هي أن يعبد الله جلَّ وعلا وحده ، ولا يشرك به في عبادته شيء ؛ لأنَّ قوله جلَّ وعلا: « كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ... » ، صريح في أن آيات هذا الكتاب فصلت من عند الحكيم الخبير لأجل أن يُعبد الله وحده ، فمعنى الآية : أن حاصل تفصيل القرآن هو أن يُعبد الله تعالى وحده ولا يشرك به شيء .^(٣)
فظهر بهذا عموم دعوة القرآن للناس بإخلاص الدين لله سبحانه وحده لا شريك .



(١) ينظر جامع البيان [٣١٢/١٢] .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٤٣٣] .

(٣) ينظر أضواء البيان [١٠/٣] .

المبحث الرابع

﴿ حصر الأمر في الإخلاص ﴾

إنَّ من الأساليب البلاغية البديعة التي سلكها القرآن في الدعوة إلى الإخلاص الحصر ، فهو أسلوب بلاغي له دلالاته ، وهو كنز من كنوز البيان له أدواته الدالة عليه من التقديم والتأخير والاستثناء والنفي ونحوها ، ولقد كان الحصر أسلوباً بارزاً في القرآن للدلالة على أهمية الأمر المراد حصره ، ومكانته والتأكيد عليه وزيادة الاهتمام به على غيره ، ومن ذلك الإخلاص، فقد وردت آيات كريمة تدعو إلى الإخلاص لله تعالى ، وترغب فيه بحصر الأمر فيه، وأنه المقصد والغاية والهدف من إيجاد الخلق ، فقال الله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ... ﴾ [آل عمران: ٦٤] .

فحصر سبحانه استحقاق العبادة له وحده لا شريك له ، وأنه المتعين على جميع النَّاس من المؤمنين وأهل الكتاب أن يُجمَعوا عليه ويلتزموا به ، فهو الإله الحق ، وما سواه باطل ، كما قال قبلها : ﴿ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ... ﴾ [آل عمران: ٦٣] .

ومن الآيات الدالة على حصر أمره تعالى لعباده في الإخلاص له دون ما سواه قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

[التوبة: ٣١] ، فهذه الآية جاءت في سياق الحديث عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين عبدوا غير الله فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله بأنَّ أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ، فأبطل سبحانه عبادتهم تلك ونفاها بحصر أمره جلَّ جلاله في عبادته وحده لا شريك له ، ونزَّه نفسه عما يزعمونه له من الولد والشريك ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

فدلَّت الآية على حصر الأمر في عبادته وحده وإخلاص الدين له ، وأنه لم يأذن بما هم عليه من الشرك فضلاً عن أمرهم بذلك ، فانظر كيف أفادت الآية الكريمة هذه المعاني الجليلة بأبلغ عبارة وأوجز بيان وأحصر تبيان !

فقوله : « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا » ، في موضع الحال من ضمير « اتخذوا أحبارهم » ، وهي محطُّ زيادة التشنيع عليهم وإنكار صنيعهم بأنهم لا عذر لهم فيما زعموا ، لأنَّ وصايا كتب الملتين طافحة بالتحذير من عبادة المخلوقات ومن إشراكها في خصائص الإلهية . (١)

وقال ابن سعدي في قوله : " « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » : فيخلصون له العبادة والطاعة ، ويخصونه بالحبَّة والدعاء " .هـ (٢)

فالحصر في هذه الآية بالأداة (إلا) يفيد استحقاق الله تعالى للعبادة وحده لا شريك له ونفيها عما سواه ، وأنه تعالى لم يأمر بخلاف ذلك كما زعموا وظنوا .

والمتممُّل في سياق الآيات الدالة على حصر الأمر بالإخلاص لله وحده يجد أنَّها في شأن أهل الكتاب ، والحديث عن مزاعمهم الباطلة من أنَّ لله ولداً أو شريكاً في ألوهيته ، فناسب

(١) ينظر التحرير والتنوير [١٧٠/٥] .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٣٨٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

تذكيرهم وغيرهم بأمره المتقرر ، عند أهل الكتاب وغيرهم بآلا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ، بخلاف المشركين أهل الأوثان الذين تعلقوا بشبهة ما عليه الأباء والأجداد ، ولا يأتي صاحب باطل بشبهة إلا وفي القرآن ما يناقضها ويبطلها ، ولهذا أكد تعالى وتقدس هذا الأمر الجليل المحصور في عبادته وحده لا شريك له في سورة البينة التي تتحدث عن أهل الكتاب خصوصاً ، والمشركين عموماً فقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : " ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بإخلاص العبادة لله موحدين ، حنفاء ، مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام " .^(١)

ولذا أكد هذا الأمر العظيم بقوله : « مخلصين له الدين » لينبّه على وجوب تحصيل الإخلاص من ابتداء الفعل إلى انتهائه .^(٢)

فتبين بهذا دعوة القرآن الصريحة الواضحة إلى إخلاص الدين لله ، وأنه الأمر الأهم والمقصد الأتم ، وأن حصر الأمر في الإخلاص أسلوب بديع من أساليب القرآن في الدعوة إلى الإخلاص والأمر به .



(١) معالم التنزيل [٤٧٣/٦] .

(٢) ينظر لباب التأويل [٤٧٣/٦] بتصرف .

المبحث الخامس

﴿ الثناء على المخلصين ﴾

الدعوة إلى التوحيد والإخلاص في القرآن الكريم اتخذت وسائل متعددة ، وسلكت مسالك متنوعة ، تنبئ عن اهتمام القرآن بهذه القضية الأم ، وتدل على بلاغة القرآن وهدايته: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... ﴾ [الإسراء: ٩] .

ومن تلك الوسائل التي سلكها القرآن في دعوته إلى الإخلاص : الثناء على المخلصين ، وبيان منزلتهم ، وشريف قدرهم ، ليدعو الناس إلى سلوك طريقهم ، والسير على نهجهم ، والتأسي بهم .

لقد أثنى جلّ وعلا على عباده المخلصين ، وأشاد بهم ، ونوّه بذكرهم في مواضع متعددة من كتابه ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] .

ثم عدّد صفاتهم ، وضمّنها للإخلاص لله تعالى مغايراً حال الكافرين والمنافقين ، ثم ختم ذلك بقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٥] ، وأيُّ إشادةٍ فوق هذه الإشادة ؟ ! وأيُّ ثناءٍ ؟ ! وأيُّ مدحٍ بعد هذا الثناء والمدح ؟ !

ومن المواضع التي أشاد فيها سبحانه بعباده المخلصين قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

الْوَكِيلُ ﴿١٧٢﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ^١
وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٣] .

فقد أشاد سبحانه بتوكلهم عليه ، وتفويضهم أمرهم إليه ، وفي هذا من صدق تعلقهم بالله ما يستحقون به الثناء والإشادة .

ومن مواضع الثناء والإشادة بالمخلصين قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ... ﴾ [النساء: ١٢٥] ، أي لا أحد أحسن من أخلص عمله لله تعالى وهو محسن في ذلك متابع لنبيه ﷺ .

قال ابن سعدي : " لا أحد أحسن من دين من جمع بين الإخلاص للمعبود ، وهو إسلام الوجه لله الدال على استسلام القلب وتوجهه وإنابته وإخلاصه " .^(١)

وفي هذا أعظم إشادة وأبلغ ثناء لأهل الإخلاص مما يدعو المرء إلى السعي إلى تحقيق الإخلاص ، والاتصاف به ليدخل في عداد من أثنى الله عليهم ، فإن مدحه وثناءه زَيْن .

ومن الآيات التي أثنى الله فيها على عباده المخلصين قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتْلُوكِ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ^٢ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨] .

فقد أشاد سبحانه بمن هاجر وجاهد بنفسه وماله ابتغاء مرضاته بأنهم من المخلصين الذين يرجون فضل الله ورحمته ، فإنها نزلت فيمن قاتل في الشهر الحرام من المسلمين فليل : إن لم يكونوا أصابوا وزراً فليس لهم أجر .^(٢)

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٢٢٣] .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [٣/٤٣١-٤٣٢] ، وأسباب النزول للواحيدي [ص/٤٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

" وإِنَّمَا قَالَ : « يَرْجُونَ » وَقَدْ مَدَحَهُمْ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَى الْجَنَّةِ وَلَوْ بَلَغَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ كُلِّ مَبْلَغٍ ، لَثَلَا يَتَكَلَّفُ عَلَى عَمَلِهِ ، وَلِأَنَّهُ لَا يَدْرِي بِمَا يُحْتَمُّ لَهُ " . (١)

ومن الإشادة بأهل الإخلاص والثناء عليهم قوله تعالى عن نبيِّه يوسف عليه السلام :

﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾

[يوسف: ٢٤] ، فَإِنَّ إِخْلَاصَ يَوْسُفَ عليه السلام لِرَبِّهِ فِي عِبَادَاتِهِ كَانَ سَبَبًا بِإِذْنِ اللَّهِ فِي صَرْفِهِ عَنِ السُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ، وَحِمَايَتِهِ أَنْ يَتَلَبَّسَ بِتِلْكَ الْمَعْصِيَةِ ، وَفِي هَذَا التَّعْلِيلِ وَهَذَا الْوَصْفِ أْبْلَغُ ثَنَاءٍ وَأَعْظَمُ مَدْحٍ لِيَوْسُفَ عليه السلام يَدْعُو كُلَّ مُؤْمِنٍ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ أَنْ يَحْظِيَ بِالْدُخُولِ فِي رَكْبِ الْمُخْلَصِينَ فَيَكُونَ مِنَ الْمُطَهَّرِينَ السَّالِمِينَ مِمَّا يُغْضِبُ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

ومن المواضع التي أثنى الله فيها على المخلصين ثناؤه تعالى على خليله إبراهيم عليه السلام ونعته بالإخلاص لله تعالى ، والميل عن الشرك حيث قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠] ، فَإِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أُمَّةً وَاحِدَةً فِي طَاعَتِهِ لِرَبِّهِ وَإِخْلَاصِهِ لَهُ وَمِيلِهِ عَنِ الشَّرْكِ ؛ لِيُغْرِيَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُ فَيَتَّبِعُوا مِلَّةَهُ وَيَقْتَدُوا بِهِ ، وَلِهَذَا أَعْقَبَ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم :

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[النحل: ١٢٢] .

وفي أمره صلى الله عليه وآله وسلم باتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَعْظَمُ فَضِيلَةٍ وَأَجَلُ ثَنَاءٍ وَأَبْلَغُ مَدْحٍ لِإِبْرَاهِيمَ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى ، فَكَانَ فِي هَذَا النِّعْتِ الْكَرِيمِ ، وَالثَّنَاءِ الْعَاطِرِ عَلَى

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [٤٣٢/٣] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

إبراهيم بهذه الصفات الحميدة والحلال الجليلة أقوى داع لكل مؤمن يرجو ما عند الله أن يسلك سبيل المخلصين ، ويتصف بصفات الموحدين .

ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۗ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النحل: ١٢١] ، وهذا العطاء والإيتاء من الله تعالى بسبب إخلاصه لله ، واعتزاله أهل الشرك قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُم لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٩-٥٠] ، أي : أثنينا عليهم ثناءً حسناً ، لأنَّ جميع الملل تحسن الثناء عليهم .^(١)

فرزقه الله الذرية الطيبة والثَّناء الحسن إلى يوم القيامة ، وعلى قدر إخلاص العبد لله تعالى يحصل له الذكر الحسن والثَّناء الطيب ، وقد حاز قصب السبق في هذا أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام ، وقرأ إن شئت سورة النساء والأنعام والأنبياء وص وغيرها تجد ذلك جلياً في إشارات بيّنة إلى سبب الذكر الطيب والثَّناء الحسن الذي هو الإخلاص كما سيأتي بيانه في آثار الإخلاص بإذن الله ، ولنبيِّنا محمَّد ﷺ النصيب الأسمى والقِدْح المُعَلَّى في رفع الذكر ، وعلو الشأن قال تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤] .

ومن الآيات التي أثني الله فيها على عباده المخلصين قوله تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ... ﴾ [مريم: ٥١] ، على قراءة كسر اللام : ((مُخْلَصًا)) وهي قراءة عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين بمعنى أنه كان يُخْلِص لله العبادة ويفرده بالألوهة من غير أن يجعل له فيها شريكاً .^(٢)

(١) ينظر جامع البيان [٥٥٨/١٥] .

(٢) ينظر التيسير في القراءات السبع [ص/١٤٩] ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي [٥٥٨/١٥] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

ومن الآيات التي ورد الثناء فيها على المخلصين قوله تعالى في وصف عباد الرحمن :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ... ﴾ [الفرقان: ٦٨] .

فقد نعتهم جلًّا وعلا بترك الشرك ومجانبته مما يدل على توحيدهم وإخلاصهم وإفرادهم الله بالعبادة والدُّعاء ، وقد جاءت الآية في سياق الثناء عليهم .

وهذا مثل قوله تعالى في سورة الزمر : ﴿ وَالَّذِينَ أَحْتَبَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا

وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ... ﴾ [الزمر: ١٧] ، فقد أثنى عليهم باجتنباب عبادة

الطاغوت^(١) ، وأثبت لهم البُشْرَى التي تدعو كل ناصح لنفسه مريد الخير لها أن يحظى بهذه البُشْرَى بتحقيق التوحيد والإخلاص ، ونبذ الشرك واجتنباب الطاغوت .

ومن المواضع التي أثنى الله فيها على المخلصين ، وأشاد بهم ، ثناؤه تعالى على أصحاب

رسول الله ﷺ في ختم سورة الفتح ، ونعتهم بالإخلاص لله تعالى وابتغاء مرضاته حيث قال

سبحانه : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ

رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ... ﴾ [الفتح: ٢٩] .

فإنَّ ذلك الثناء الحسن لخيار الأمة بعد رسول الله ﷺ داع كل مؤمن يرجو ما عند الله

أن يقتدي بهم ، ويقفو أثرهم في التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة الخالصة ، كما أمر بذلك

(١) الطاغوت : ما عُبد من دون الله عز وجل وكلُّ رأسٍ في الضلال طاغوتٌ . ينظر : كتاب لتوحيد [٩/١] ، وتيسير

العزیز الحمید [ص/٣١] .

وقيل : الطاغوتُ الأصنامُ . وقيل : الشيطانُ . وقيل : الكهنةُ . وقيل : مردةُ أهل الكتاب . ينظر لسان العرب

[٥٥٨/١٥] .

وقيل : ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع . ينظر مدارج السالكين [٤٨٢/٣] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

رسول الله ﷺ في حديث العرياض بن سارية بقوله : « فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُوا عليها بالنواجذ ، وإياكم والأُمور المُحدَثات ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » . (١)

قال ابن رجب : " وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقادات ؛ لأنها أصل الدين ، والمخالف فيها على خطر عظيم " . هـ (٢)

وتأمل كيف عبّر سبحانه عن إخلاصهم لله تعالى بالفعل المضارع الدال على الاستمرار والثبات والملازمة لهذا الخلق النبيل في كل عباداتهم فقال : « يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً » ليدعو أتباعهم إلى التأسّي بهم ليدخلوا في ركبهم ، ويحفظوا بأجرهم ، ولا ريب أنّ الدعوة بالقدوة من أقوى الأساليب وأنفعها .

ومن المواضع الدالة على ثناءه جلّ وعلا على عباده المخلصين دعوةً للاقتداء بهم واقتفاء أثرهم ، وترغيباً في صفاتهم قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٩] . قال ابن كثير : " أي : لا يعبدون معه غيره ، بل يوحّدونه ويعلمون أنّه لا إله إلا الله أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأنّه لا نظير له ولا كُفء له " . هـ (٣)

ولهذا ترجم الشيخ محمّد بن عبد الوهاب بهذه الآية فقال : باب (فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب) ، ثم ذكر الآية .

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة برقم (٤٦٠٧) ، وأخرجه الترمذي في أبواب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة برقم (٢٦٧٦) وقال : حديث حسن صحيح ، وقال أبو نعيم : هو حديث جيد .

(٢) جامع العلوم والحكم [١٢٠/٢] .

(٣) تفسير القرآن العظيم [٤٨٠/٥] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

قال الشيخ سليمان بن عبد الله ^(١) : " مناسبة الآية للترجمة من جهة أن الله تعالى وصف المؤمنين السابقين إلى الجنات بصفات ، أعظمها الثناء عليهم بأنهم « برَّهم لا يشركون» ، أي : شيئاً من الشرك في وقت من الأوقات " هـ ^(٢)

فما من عاقل يعلم بهذا الثناء العطر إلا وتنقاد نفسه إلى تحقيق الإخلاص والدخول في ركاب المخلصين ؛ ولهذا لما أثنى تعالى على أنبيائه ورسله في سورة الأنعام قال في ختمها : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنُهُمْ أُقْتَدَ ... ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

فكانت دعوة للاقتداء بهم وسلوك طريقهم طريق التوحيد والإخلاص حيث قال في معرض ثنائهم عليهم منزهاً لهم عن الشرك مثبتاً لهم الإخلاص : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٨] .

وبهذا العرض القرآني لثناء الله على عباده المخلصين دعوة إلى الإخلاص لله رب العالمين ، وترغيب في التأسى بعباده المؤمنين .



(١) هو : الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولد في الدرعية عام ١٢٠٠ هـ وذلك في أواخر أيام جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فلم يدرك القراءة عليه ، وإنما تربى بيت علم وصلاح وتقى ، وقد توفي مقتولاً في آخر سنة ١٢٣٣ هـ . ينظر علماء نجد خلال ثمانية قرون [٣٤١/٢] .

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد [٤٨٠/١] .

المبحث السادس

﴿ بيان جزاء المخلصين ﴾

إنَّ مَّا يَدْعُو الْمَرْءَ وَيَجِدُوهُ لِلدَّخُولِ فِي رُكْبِ الْمُخْلِصِينَ وَالِاتِّصَافِ بِصِفَاتِهِمْ ذَكَرَ جَزَائِهِمْ الْحَسَنَ وَثَوَابَهُمُ الْجَزِيلَ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَقَدْ دَعَا اللَّهُ عِبَادَهُ إِلَى الْإِخْلَاصِ لَهُ بِذِكْرِ جَزَاءِ الْمُخْلِصِينَ وَمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ مِنَ النُّزْلِ وَالْكَرَامَةِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ ، فَهُوَ غَفُورٌ شَكُورٌ ، يَشْكُرُ عِبَادَهُ وَيُشَبِّهُهُمْ عَلَيْهَا دَعْوَةَ لِعِبَادِهِ ، وَتَرْغِيباً فِي تَوْحِيدِهِ وَالِإِخْلَاصِ لَهُ .

وسوف أشير في هذا المبحث إلى بعض المواضع التي ذكر فيها جزاء المخلصين دون استقصاء لذلك حيث أفردت ذلك في مبحث مستقل عن آثار الإخلاص في الآخرة ، إذ المقصود بيان منهج القرآن في الدعوة إلى الإخلاص بذكر ثوابه .

فمن أبرز المواضع في بيان جزاء المخلصين قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ

وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۖ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢] .

فإنَّ هذه الآية جاءت رداً على زعم أهل الكتاب الباطل ، وأمانيتهم الضائعة ، في

اختصاصهم بالجنة دون غيرهم ، كما في قوله تعالى عنهم : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا

مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

فبيّن سبحانه أنّها لأهل التوحيد والإخلاص الذين أفردوه جلّ وعلا بالعبادة ، ومن كان كذلك استحق برحمة الله الأجر العظيم من الله الكريم ، وذهاب الخوف من المستقبل والحزن على ما فات ، إذ معنى قوله تعالى : « أسلم وجهه لله » أي : أخلص لله . (١)

فمن أخلص طاعته وعبادته لله محسناً في فعله ذلك ، فله جزاؤه وثوابه على إسلامه وطاعته ربّه ، عند الله في معاده ، ولا خوف عليهم في الآخرة من عقابه وعذاب جحيمه ، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم في الدنيا ، ولا أن يمنعوا ما قدموا عليه من نعيم ما أعد الله لأهل طاعته . (٢)

فإنّ العاقل الحصيف إذا علم بهذا الجزاء الحسن للمخلصين ، دعاه إلى سلوك طريقهم والاتصاف بصفاتهم بإخلاص الدين له لينال جزاءهم ويحظى بثوابهم .

ومن المواضع الدالة على عظم جزاء المخلصين عند الله الداعية إلى تحقيق الإخلاص له سبحانه قوله تعالى في دعوة المنافقين للتوبة من النفاق وإخلاص دينهم لله : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ [النساء: ١٤٥-١٤٦] .

(١) ينظر جامع البيان [٤٣٢/٢] .

(٢) المصدر السابق [٤٣٣/٢-٤٣٤] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

فقد فتح سبحانه لهم باب التوبة ، ودعاهم إلى الإصلاح والإخلاص له جلّ جلاله ببيان جزائه العظيم لمن أخلص دينه لله يجعله في معية المؤمنين ومرافقتهم في الجنة ، ثم أجهم أجر المؤمنين ونكره وعظمه ، فلا يَعْرِفُ قَدْرَهُ وَعِظْمَهُ إِلَّا هُوَ فَقَالَ : ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٦] ، ولم يقل سبحانه وسوف يؤتيهم أجراً عظيماً ، مع أنّ السياق فيهم بل قال : « وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » ، وفي هذا سر عجيب من أسرار القرآن وعجائبه كشف عنه ابن سعدي بقوله :

إذا كان السياق في بعض الجزئيات ، وأراد أن يرتب عليه ثواباً أو عقاباً وكان ذلك مشتركاً بينه وبين الجنس الداخل فيه ، رتب الثواب في مقابلة الحكم العام الذي تندرج تحته تلك القضية وغيرها ، ولئلا يتوهم اختصاص الحكم بالأمر الجزئي ، فهذا من أسرار القرآن البديعة ، فالتائب من المنافقين مع المؤمنين وله ثوابهم .^(١)

فهذا يدل على دعوة القرآن للإخلاص بذكر جزاء المخلصين وثوابهم .

ومن الآيات الداعية إلى الإخلاص المرغبة في الاتصاف به بذكر جزاء أهله وثوابهم قوله تعالى : ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ ﴿٤٤﴾ أُولَئِكَ هُم رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤٥﴾ فَوَاكِهُ ^ط وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٦﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٧﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٨﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٩﴾ بَيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِيبِ ﴿٥٠﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴿٥١﴾ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٥٢﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٥٣﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٥٤﴾ [الصفافات : ٤٠-٤٩] .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٢٣٠] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

فإنَّ الله استثنى من المعذنين عباده المخلصين الذين أخلصهم واختصهم برحمته ، وجاد عليهم بلطفه ؛ لأنَّهم أخلصوا أعمالهم لله فاخصهم جلَّ وعلا بهذا النِّعم المقيم الذي لا يعلم كنهه ، ولا يدري كيفيته إلا الله تعالى ، نسأل الله أن يجود علينا من فضله .

وقد فسَّر جمع من المفسرين كالبعغوي ،^(١) والحازن ،^(٢) وابن الجوزي ،^(٣) وغيرهم قوله :

((المخلصين)) بالموحدين .

" و ((الْمُخْلِصِينَ)) صفة عباد الله ، وهو بفتح اللام إذا أريد الذين أخلصهم الله لولايته، وبكسرهما أي : الذين أخلصوا دينهم لله .

و ((أَوْلَيْكَ)) إشارة إلى عباد الله قصد منه التنبيه على أنَّهم استحقوا ما بعد اسم الإشارة

لأجل ما أثبت لهم من صفة الإخلاص " هـ.^(٤)

وهكذا كل موضع في القرآن جاء فيه ذكر جزاء المؤمنين المتقين وما لهم من الكرامة عند الله يوم القيامة فإنه داع كل راغبٍ فيما عند الله طامع في ثوابه إلى أن يتصف بصفاتهم ويتخلق بأخلاقهم ، والتي من أخصها الإخلاص لله تعالى ومجانبة الشرك ، فإنَّ الدعوة بذكر الثواب والترغيب في العمل المرتب عليه الأجر ، طريقة من طرق القرآن الكريم ، فهو مثاني يُنَّى فيها الثواب والعقاب والوعد والوعيد ، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا

(١) معالم التنزيل [٢٣٦/٥] .

(٢) لباب التأويل [٢٣٦/٥] .

(٣) زاد المسير [٥٥/٧] .

(٤) ينظر التحرير والتنوير [١١١/٩] ، بتصرف .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

مُتَشَبِّهًا مَثَانِي تَقَشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى

ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَنْ يَشَاءُ ﴿٢٣﴾ [الزمر: ٢٣] .

وهذه الطريقة البديعة والمنهج القويم مفيد للداعي إلى الله أن يأخذ به في دعوته إلى الله ، وهو دال على تنوع طرائق القرآن وتعددتها في الدعوة إلى الإخلاص والترغيب فيه بياناً لأهميته ودلالة على رفيع منزلته .



المبحث السابع

﴿ بيان فضل الإخلاص ﴾

لقد أفصح القرآن الكريم وأبان عن فضل الإخلاص لله تعالى في آيات كثيرة ترغيباً فيه ، ودعوةً للتحلي بهذا الخلق الكريم ، والأصل العظيم ، إذ الترغيب من أهم وسائل الدعوة ، وأعظم طرق الجذب والإغراء للنفس البشرية ، فجاءت آيات بينات في بيان فضل التوحيد والإخلاص وأثاره الطيبة وثماره اليانعة وظلاله الوارفة ، وتعدد الفضائل وكثرتها داعية للسعي إلى تحصيله من خلال تحقيق الإخلاص .

ومن فضائل الإخلاص مغفرة الذنوب وتكفير السيئات ، وقد ورد هذا المعنى صريحاً في موضعين من سورة النساء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦] .

والشاهد من الآيتين قوله تعالى : " ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ ، فالمخلص الموحد المقترف لكبائر الذنوب تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ، وحكي عن علي رضي الله عنه أنها أرجى آية في كتاب الله " ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ " . (١)

(١) ينظر معالم التنزيل [٩٢/٢] ، وقد أخرجه الترمذي برقم (٣٠٣٧) ولفظه : (ما في القرآن آية أحب إلي من هذه الآية ، وذكرها) ، قال الترمذي : حديث غريب .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

وقد دلّ على هذا الفضل العظيم أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ منها ما أخرجه الترمذي وغيره عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : « يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » .^(١)

وقد أشار ابن القيم إلى هذا المعنى الجليل وما يحمله من الفضل الجزيل في الكافية الشافية

بقوله :

وَهُوَ الْعَفْوُ فَلَوْ أَتَى بِقُرَابِهَا *** مِنْ غَيْرِ شِرْكَ بَلٍ مِنَ الْعَصِيَانِ

لَأَتَاهُ بِالْعُفْرَانِ مِلءَ قُرَابِهَا *** سُبْحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الْعُفْرَانِ .^(٢)

قال ابن رجب : " من جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة ، لكنّ هذا مع مشيئة الله عزّ وجلّ ، فإن شاء غفر له ، وإن شاء أخذه بذنوبه ، ثم كان عاقبته أن لا يُخلد في النار ، بل يخرج منها ، ثم يدخل الجنة ، فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه ، وقام بشروطه كلّها بقلبه ولسانه وجوارحه ، أو بقلبه ولسانه عند الموت ، أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلّها ، ومنعه من دخول النار بالكلية ، فمن تحقّق بكلمة التوحيد قلبه ، أخرجت منه كلّ ما سوى الله محبةً وتعظيمًا وإجلالًا ومهابةً ، وخشيةً ورجاءً وتوكلًا ، وحينئذ تُحرق ذنوبه وخطاياها كلّها ولو كانت مثل زبد البحر ، وربما قلبتها حسناتٍ ، فإنّ هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم ، فلو وضع ذرّة منها على جبال الذنوب والخطايا ، لقلبها حسناتٍ " .^(٣)

(١) أخرجه الترمذي وحسنه في كتاب الدعوات ، برقم (٣٥٤٠) ، وأخرجه أحمد في مسنده برقم (٢١٣١٥) من حديث

أبي ذر بمعناه ، قال ابن رجب : إسناده لا بأس به ، ينظر جامع العلوم والحكم [٤٠٠/٢] .

(٢) توضيح الكافية الشافية [٢٣١/٢] .

(٣) جامع العلوم والحكم [٤١٧/٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم

قال الطيبي^(١) : " « ثم » هذه للتراخي في الإخبار ، وأنَّ عدم الشرك مطلوب أولى ، ولذلك قال : « لقيتني » وقيد به ، وإلا لكان يكفي أن يقال : خطايا لا تشرك بي " .
قال القاري^(٢) : " فائدة القيد أن يكون موته على التوحيد " .^(٣)

وقد أحسن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب صنْعاً وتصنيفاً حيث أفرد في كتاب التوحيد باباً قال فيه : " باب فضل التوحيد وما يُكفَّرُ من الذنوب ، وقول الله تعالى : « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ » " .^(٤)

ومطابقة الآية للترجمة من حيث أنَّ من لم يخلط توحيدَه بشرك يحصل له الأمن والاهتداء بحسب تحقيقه للتوحيد ، ولا تضره الذنوب التي دون الشرك فهي تحت المشيئة الإلهية .
وأكتفي بهذه الفضيلة العظيمة في الترغيب القرآني في الإخلاص والدعوة إليه حيث أفردت فصلاً مستقلاً عن آثار الإخلاص في آخر البحث ، وقد حصل المقصود بما ذكرت هنا - والله الحمد - وهو الإشارة إلى طريقة القرآن في الدعوة إلى الإخلاص بذكر فضائله وآثاره .



(١) هو : حسن بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطيبي ، إمام مشهور في جميع الفنون ، وله شروحات كثيرة على كتب الحديث ، وحاشية كبيرة على تفسير الكشاف ، توفي سنة ٧٤٣ هـ . ينظر طبقات المفسرين للأدنه وي [٢٧٧/١] .
(٢) هو : علي بن سلطان محمد ، نور الدين الملا الهروي القاري ، فقيه حنفي ، من صدور العلم في عصره ، ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها سنة ١٠١٤ هـ . ينظر الأعلام للزركلي [١٢/٥] .
(٣) تحفة الأحوذى [٣٦٨/٩] .
(٤) كتاب التوحيد [١٢/١] .

الفصل الرابع

وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

وفيه تسعة مباحث

المبحث الأول : العلم بالله .

المبحث الثاني : معرفة حقيقة الإخلاص .

المبحث الثالث : مجاهدة النفس .

المبحث الرابع : تدبر أحوال المخلصين في القرآن .

المبحث الخامس : الاستعانة بالله تعالى .

المبحث السادس : المراقبة .

المبحث السابع : استحضار أجر المخلصين .

المبحث الثامن : الدعاء .

المبحث التاسع : التأمل والنظر في عاقبة المرائين .

المبحث الأول

﴿ العلم بالله ﴾

إنَّ من أعظم الوسائل المعينة على تحقيق الإخلاص لله تعالى ، والقيام بعبوديته الحقّة العلم به وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله الحميدة ، ومعرفة قدره وعظمته ، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف ، ولقد حاز قصب السبق في هذا المقام رسول الله ﷺ ، فقد كان أخشى النَّاسِ وأتقاهم لله تعالى ، كما قال في نفسه : « إِنَّ أَحْشَاكُمَ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمَ لَهُ أَنَا » ،^(١) يعني نفسه ﷺ ، وإمّا كان كذلك لأنّه أعلم النَّاسِ برّبّه ، والله يقول : ﴿ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ... ﴾ [فاطر: ٢٨] .

قال ابن كثير : " إمّا يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به ، لأنّه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى ، كلما كانت المعرفة به أتم ، والعلم به أكمل ؛ كانت الخشية له أعظم وأكثر " .^(٢)

ولا شكَّ أنّ خشية الله تعالى تورث الإخلاص له في القول والعمل ، ولهذا ذكر الله تعالى في كتابه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله الحميدة ، وبديع صنعه ، وعظيم خلقه ما يبعث العبد على الإخلاص له وإفراده بالعبادة ، كما قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ : (أنا أعلمكم بالله) برقم (٢٠) ، من حديث عائشة .

(٢) تفسير القرآن العظيم [٣٢٠/١١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢٥﴾ .

فقد أمر النَّاس بعبادته وحده لا شريك له ، وبيَّن استحقيقه للعبودية بخلقه لهم جميعاً ، وتسخير السماوات والأرض لهم وإنزال المطر الذي به حياتهم ورزقهم فمن علم هذا كله كيف يعبد غيره أو يشرك به ولذا ختم الآية بقوله : « فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

وتعرَّف سبحانه لعباده بأسمائه الحسنی فقال : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۗ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۗ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿الحشر: ٢٢-٢٣-٢٤﴾ .

فقد تعرَّف جلَّ وعلا لعباده في هذه الآيات بألوهيته فلا إله غيره ولا ربَّ سواه ولا معبود حق إلا هو ، ذلك أنَّه عالم الغيب والشهادة ، لا تخفى عليه خافية ، والسر عنده علانية ذو رحمة واسعة في الدنيا والآخرة ، بيده ملكوت كل شيء ، منزه عن كل عيب ونقص ، شاهد على خلقه بأعمالهم عزَّ كل شيء فقهره وغلبه ، له الكبرياء والعظمة ، الخالق وما سواه مخلوق فمتى عرف العبد ربَّه وخالقه ، وشهد ربوبيته لخلقه ، وفقه أسماءه وصفاته تعلق قلبه به ، وانقادت جوارحه إليه ولهج لسانه بذكره ، فلا يعبد إلا هو ، ولا يرجو غيره ، ولا يدعو سواه ، وهذه المعرفة الحققة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

قال ابن القيم : " معرفة الله سبحانه نوعان ، الأول : معرفة إقرار وهي التي اشترك فيها النَّاسُ البرّ والفاجر والمطيع والعاصي .

والثاني : معرفة توجب الحياء منه والمحبة له وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه وخشيته والإنبابة إليه والأنس به والفرار من الخلق إليه ، وتفاوت النَّاس فيها لا يحصيه إلا الله الذي عرفهم بنفسه ، فقد قال أعرف الخلق به : « لا أُحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .^(١)

وأخبر أنه سبحانه يفتح عليه يوم القيامة من محامده ، ولهذا المعرفة بابان واسعان :
الباب الأول : التفكير والتأمل في آيات القرآن كلها ، والفهم الخاص عن الله ورسوله .
الباب الثاني : التفكير في آياته المشهودة ، وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه ، وجماع ذلك الفقه في معاني أسمائه الحسنى ، وجلالها ،
وكمالها " هـ.^(٢)

وهذا باب عظيم واسع لمن أمعن النظر في كتاب الله ، وتأمل معاني أسماء الله وصفاته ، وأحصاها عدداً وفهماً ، وعلماً وعملاً ، ليزداد إيماناً بربه ، وتعظيماً لخالقه ، وقياماً بحقه ، فإنَّ الله تعالى أمر نبيِّه ﷺ بالعلم بالوهيته سبحانه ، وتفرد بالعبودية فقال : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ... ﴾ [محمد : ١٩] .

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل لأهميته وأثره في صلاح العمل .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة برقم (٤٨٦) ، وأبو داود في باب في الدعاء في الركوع والسجود برقم (٨٧٩) ،

والترمذي في كتاب الدعوات باب في دعاء الوتر برقم (٣٥٦٦) ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) الفوائد [ص/١٩٠] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

قال ابن جرير : " يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ : فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهية ، ويجوز لك وللخلق عبادته ، إلا الله الذي هو خالق الخلق ، ومالك كل شيء ، يدين له بالربوبية كل ما دونه " .^(١)

والأمر للنبي ﷺ أمر له ولأمته ، وإنما أمر تعالى بالعلم لأنه شرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل .^(٢)

" فإن قال قائل : كيف يأمر نبيه بالعلم وهو أعلم الناس بربه ؟ فالجواب : أن العلم يتفاوت ، - ومن ظن أن العلم لا يتفاوت ، فقله من أفسد الأقوال وأبطلها - " .^(٣)

والعلم له مراتب كما قال تعالى : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٦] .
ولذا لم يأمر الله نبيه بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم ، فقال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ... ﴾ [طه : ١١٤] ، فأمره تعالى أن يترقى في درجات العلم به سبحانه والنظر في أسمائه وصفاته ، ويزداد إيماناً بربه وثباتاً على دينه وتوحيده ، وقد امتن الله على نبيه الذي ازداد به ثباتاً و يقيناً فقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ رَهَمَتْ طَائِفَةً مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٣] .

وللعلم بالله تعالى طرائق كثيرة متعددة تورث العبد إجلالاً له وتعظيماً ، وتُقوي يقينه بربه ، وتزيده إخلاصاً وقصداً لمرضاته .

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن [١٠٨/٢١] .

(٢) ينظر فتح الباري [١٩٣/١] .

(٣) ينظر الجواب الكافي [ص/٦٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

وقد تحدّث ابن سعدي عن شيء من هذه الطرائق عند تفسير آية سورة محمّد فقال : " والطريق إلى العلم بأنّه لا إله إلا هو أمور :

أحدها وأعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته ، فإنّها توجب بذل الجهد في التألّه له، والتعبّد للربّ الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال .

الثاني : العلم بأنّه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير ، فيعلم بذلك أنّه المنفرد بالألوهية .

الثالث : العلم بأنّه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة ، الدينية والدينيوية ، فإنّ ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته ، والتألّه له وحده لا شريك له .

الرابع : ما نراه ونسمعه من الثواب لأولياته القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة ، ومن عقوبته لأعدائه المشركين، فإنّ هذا داع إلى العلم، بأنّه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس : معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله ، واتخذت آلهة ، وأثما ناقصة من جميع الوجوه ، فقيرة بالذات ، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعاً ولا ضرراً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ..، فإنّ العلم بذلك يوجب العلم بأنّه لا إله إلا هو وبطلان إهيّة ما سواه.

السادس : اتفاق كتب الله على ذلك ، وتواطؤها عليه .

السابع : أنّ خواص الخلق ، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعقولاً ورأياً وصواباً وعلماً، وهم الرّسل والأنبياء والعلماء الربانيون ، قد شهدوا الله بذلك .

الثامن : ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية ، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة ، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته ، وبديع حكيمته ، وغرائب خلقه .

إلى أن قال : هذا ، وإنّ نظرت إلى الدليل العظيم ، والأمر الكبير ، وهو تدبر هذا القرآن العظيم ، والتأمل في آياته ، فإنّه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره " هـ (١)

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٩٢٨] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

وبالجملة فالعلم بالله من أعظم الوسائل لتحقيق الإخلاص لله ربّ العالمين ، والعلاقة بينهما كالعلاقة بين العين ونورها والبدن وروحه والشمس وضياؤها ، فإذا حصل العلم النافع أورت الخشية والإنابة لله وتحقيق العبودية لله .

فإنّ ما ذكره ابن سعدي من الطرائق والوسائل الموصلة إلى تحقيق التوحيد والإخلاص لله تعالى في غاية الأهمية ، فعلى قدر علم العبد بالله تعالى ، وبأسمائه الحسنی وصفاته العلی ، يحصل له من الإخلاص واليقين بحسب علمه ، والعلم يشرف بشرف المعلوم ، ولا أشرف من العلم الدال على الله الموجب خشيته وتعظيمه وإخلاصه له .

والعلم بالله يتفاوت تفاوتاً كبيراً ، ومن ظنّ أنّ العلم لا يتفاوت فقوله من أفسد الأقوال وأبطلها . كما تقدم ذكره .

قال ابن حجر : " قوله ﷺ : « أنا أعلمكم بالله » ظاهر في أنّ العلم بالله درجات ، وأنّ بعض الناس فيه أفضل من بعض ، وأنّ النبي ﷺ منه في أعلى الدرجات ، والعلم بالله يتناول ما بصفاته وما بأحكامه وما يتعلق بذلك ، فهذا هو الإيمان حقاً " .^(١)

فتبيّن بهذا الارتباط الوثيق بين العلم والإخلاص ، وأثر العلم في حصول الإخلاص وتحققه وزيادته أو نقصانه ، ممّا يحمل العبد المرید تحقيق الإخلاص إلى التزود من العلم النافع ، المعرف بالله تعالى الدال على وحدانيته وألوهيته سبحانه .

فمن عرف الله تعالى حق المعرفة أخلص له أعماله وأقواله وعطاءه ومنعه وحُبّه وبغضه.^(٢)



(١) فتح الباري [١٨٩/١] .

(٢) ينظر مدارج السالكين [١٨٣/١] .

المبحث الثاني

﴿ معرفة حقيقة الإخلاص ﴾

إنَّ من أعظم ما يعين العبد على تحقيق الإخلاص لله تعالى في أقواله وأفعاله معرفة حقيقة الإخلاص ، وقد أبان القرآن الكريم عن الإخلاص بياناً شافياً كافياً لمن تدبر كتاب الله ، وأمعن النظر فيه ، فمن أراد معرفة الإخلاص على الحقيقة فليُقبل على هذا المَعِين الذي لا يَنْضَب ليطلعه على ماهية الإخلاص فيقوده إلى إخلاص أقواله وأفعاله لله تعالى .

ولنتقف على بعض الآيات المبيِّنة للإخلاص ، الكاشفة عن حقيقته ، فمنها قوله تعالى :

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۖ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

تَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢] ، فإنَّ هذه الآية الكريمة أعقت زعم أهل الكتاب باختصاصهم

بدخول الجنَّة دون غيرهم ، فكانت رداً عليهم وبياناً لحال أهل الجنَّة وصدقتهم التي امتازوا بها من إسلام الوجه لله تعالى ، وقصده بالعبادة وحده دون غيره ، وهي حقيقة الإخلاص .

قال ابن جرير : " وأما قوله : « مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ » ، فإنه يعني بـ « إسلام الوجه » :

التذلل لطاعته والإذعان لأمره . وأصل « الإسلام » : الاستسلام . ثم ساق بسنده عن الربيع : « بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ » ، يقول : أخلص لله .

وكما قال زيد بن عمرو بن نفيل^(١) :

(١) هو : زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ، والد سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة ، مات قبل البعثة بخمس

سنين ، وقد سُئل عنه النبي ﷺ فقال : « يُبعث أمة وحده يوم القيامة » . ينظر : أسد الغابة [٢/٢٩٥] ، الإصابة

[١٠٢/٤] . وينظر البيت في سيرة ابن هشام [٢٤٦/١] أو [٢٣١/١] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِـمَنْ أَسْلَمْتُ *** لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالًا هـ. (١)

وقال ابن سعدي : " أي أخلص لله أعماله ، متوجهاً إليه بقلبه " هـ. (٢)

فقد بين سبحانه حقيقة الإخلاص بأنه التوجه إلى الله تعالى بالكلية ، وإنما عبّر بالوجه لأنه أشرف عضو في الإنسان ، وأراد كنهه بأن تكون نفسه وقلبه وحركته وسكونه في ذات الله تعالى ، ولأجل مرضاته ، كما قال سبحانه لنبيه محمد ﷺ : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لا شريك له^ط وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

فهذه حقيقة التوحيد والإخلاص ، والتي حاج بها إبراهيم قومه فقال الله تعالى عنه : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩] .

قال ابن جرير: " وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن خليله إبراهيم العليلي^ط ، أنه لما تبين له الحق وعرفه ، شهد شهادة الحق ، وأظهر خلاف قومه أهل الباطل وأهل الشرك بالله " هـ. (٣)

فإن الله امتن عليه بقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥] ، فإبراهيم العليلي^ط لما تبين له حقيقة الإخلاص التي هداه الله إليها أخذ بها فأقبل على الله بقلبه وقاله معرضاً ومائلاً عن الشرك .

(١) جامع البيان [٤٣٢/٢] .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٦٥] .

(٣) جامع البيان [٣٦٣/٩] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

ولهذا امتنَّ اللهُ على نبيِّه مُحَمَّدٍ ﷺ بنعمة التعليم له والهداية فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] ، وقال سبحانه : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ [الضحى : ٧] ، أي : غير عالم بتفاصيل الإيمان ، ومعالم النبوة ، وشرائع الإسلام ، ووحى القرآن ، فصادف هذا النور والإيمان قلباً خالياً من غير الله تعالى فتمكَّن منه ، فازداد إيماناً بالله ، وانشراحاً بدينه ، وإقبالاً عليه تعالى ، وإخلاصاً له ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٣] .

فكان ﷺ أعلم الخلق على الإطلاق ، وأجمعهم لصفات الكمال وأكملهم فيها ، وأتقاهم لله تعالى وأخشاهم له .

قال ابن القيم : " وأحسن ما قيل في الحكمة قول مجاهد ، ومالك ^(١) : إنَّها معرفة الحق والعمل به ، والإصابة في القول والعمل ، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن والفقهاء في شرائع الإسلام وحقائق الإيمان " ^(٢) هـ .

وفي هذه الآيات إشارة لطيفة وهي أنه لا سبيل إلى معرفة الحق وحقيقة الإيمان والإخلاص إلا من القرآن والسنة ، وبقدر إقبال المرء عليهما والنهل منهما رغبة فيما عند الله

(١) هو : أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الاصبحي ، أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة وأعرض عمن ليس بثقة في الحديث ، ولم يكن يروي إلا ما صح ، ولا يحدث إلا عن ثقة ، مع الفقه والدين والفضل والنسك ، كان مولده سنة ثلاث أو أربع وتسعين ، ومات سنة (١٧٩) . ينظر سير أعلام النبلاء [٤٣/١٥] .

(٢) التفسير القيم [٢٣١/١] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

يتحقق له من العلم والمعرفة ما يزيد إيمانه ، ويقوي عزمته ، ويحقق إخلاصه لله تعالى ، فإنَّ الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا تَخَشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ... ﴾ [فاطر: ٢٨] ، فالعلماء أهل خشية الله ، والإخلاص له ، لعلمهم بالله تعالى ، واستحقاقه العبودية ، ولمعرفتهم بحقيقة التبعّد له ، وإخلاص الدين له .

ومن آيات القرآن التي بيّنت حقيقة الإخلاص قوله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣] ، فقد بيّن سبحانه وتعالى أنَّ الدين هو العبادة له وحده خالصة لا شرك لأحد فيها ، وقد غاير سبحانه بين هذه الحقيقة الجلية الواضحة وبين حال المشركين فقال : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ... ﴾ [الزمر: ٣] ، ليُظهِرَ المفارقة العجيبة بين فعل المشركين ، وبين ما أمر الله به من الإخلاص والتوحيد ، لكل من له مُسَكَّةٌ عقل يدرك التصور الخاطيء ، والإفك المبين من أولئك المشركين .

قال ابن العربي عن هذه الآية : " وهي دليل على وجوب النية في كل عمل " . (١)

وقال قتادة في قوله : " ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ " شهادة أن لا إله إلا الله " . (٢)

وهذه الآية جاءت عقب أمر الرسول ﷺ بالإخلاص لتكشف حقيقة الإخلاص ، وافتتحت الحملة بأداة التنبيه تنويها بضمونها لتلقاه النفس ، واللام في « ﴿ لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ » لام الملك الذي هو بمعنى الاستحقاق ، أي لا يحق الدين الخالص ، أي الطاعة غير المشوبة إلا له ، على نحو « الحمد لله » [الفاتحة: ٢] ، وتقديم المسند لإفادة الاختصاص فأفاد قوله : « ﴿ لله الدين الخالص ﴾ » أنه مستحقه ، وأنه مختص به ، والدين : الطاعة ، والخالص : السالم من أن يشوبه تشريك غيره في عبادته . (٣)

(١) أحكام القرآن [ص/٥٦] .

(٢) تفسير القرآن العظيم [١١١/١٢] .

(٣) ينظر التحرير والتنوير [٣١٦/٩] بتصرف .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

وفي الحقيقة لا منافاة بين قول قتادة وقول غيره بل هو مطابق لها تماماً ، إذ كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) هي عين الإخلاص والتوحيد .

وبمناسبة ذكر هذه الآية من سورة الزمر فإنَّ أهم أغراض هذه السورة وأبرز مقاصدها تقرير التوحيد لرب العبيد ، والدعوة إلى الإخلاص ، فلا تكاد تخلو آية منها من بيان هذا الغرض أو الدعوة إليه أو الإشارة إليه في سبك متين ، وترابط عجيب بين الآيات ، ففي ثنايا هذه السورة بيان حقيقة الإخلاص بأوجه متعددة فتارة بتقرير لزومه ووجوبه من خلال توحيد الربوبية ، وتارة بضرب الأمثال وبيان بطلان الإشراك به سبحانه ، وتارة برد شبهات المشركين ودحض حججهم بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة .^(١)

ومن المواضع القرآنية التي بينت حقيقة الإخلاص في العبادة قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ... ﴾ [البينة : ٥] .

فقد بيَّن سبحانه حقيقة الإخلاص بأنه الميل عن الشرك إلى التوحيد في قوله : «حنفاء» قاصدين بجميع عبادتهم الظاهرة والباطنة وجه الله معرضين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد ، وقد أكَّد سبحانه هذه الحقيقة بقوله : « مخلصين له الدين » الدال على حقيقة الإخلاص ومعناه ، ليكون عوناً على تحقيقه والاتصاف به .

وبهذا يتبيَّن أثر معرفة الإخلاص في تحقيقه والتخلُّق به ، إذ العلم بالشيء ومعرفته على وجه الحقيقة طريق لسلكه والأخذ به ، والرغبة فيه ، والعزوف عما سواه .



(١) للاستزادة ينظر التحرير والتنوير [١٣-٩/٢٤] بتصرف .

المبحث الثالث

﴿ مجاهدة النفس ﴾

إنَّ من أشد ما يعانیه الإنسان في هذه الحياة نفسه التي تتقلب عليه ، فإنَّ من الأنفس التي ذكرها الله في كتابه : النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ ، قال تعالى عن امرأة العزيز : ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٣].

قال أبو جعفر ابن جرير : " يقول يوسف صلوات الله عليه : وما أُبْرِيءُ نفسي من الخطأ والزلل فأزكيها ، « إِنَّ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ » يقول : إِنَّ النفوسَ نفوسَ العباد ، تأمرهم بما تحواه ، وإنَّ كان هواها في غير ما فيه رضا الله ، « إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي » يقول : إِلَّا أن يرحم ربي من شاء من خلقه ، فينجيهِ من اتباع هواها وطاعتها فيما تأمره به من السوء " .^(١)

ولمَّا كانت النفس في أصلها أمَّارة بالسوء ، فإنَّ المؤمن مأمور بمجاهدتها وكبح جماحها ونهيها عن هواها ، ومن أعظم ذلك أمر النية التي تتقلب على المرء وتغير قصده وإرادته فيدخل في العبادة مريداً وجه الله ثم ما يلبث أن يطرأ على نيته اختلاف واضطراب .

فالمجاهدة من أعظم الأسباب ، وأنبج الوسائل المعينة على تحقيق الإخلاص لله ربِّ العالمين ، والسَّلامة مما يضاده ويفسده .

(١) جامع البيان [٢٠٩/١٣] ، وقد وقع خلاف في رجوع الضمير في الآية ، هل هو ليوسف عليه السلام أم لامرأة العزيز ؟ فرجح ابن كثير أنه من قول امرأة العزيز ، وقال : وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام . وقد حكاها الماوردي في تفسيره ، وانتدب لنصره الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية رحمه الله ، فأفرده بتصنيف على حدة . ينظر مجموع الفتاوى [٢٩٨/١٠] ، وكذا نصره ابن القيم ، ينظر التفسير القيم [٣٣١/١] ، وهو الأقرب .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

وقد عني القرآن بهذه الوسيلة النافعة فرغب فيها بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا

تُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦] .

قال البغوي : " ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾ له ثوابه ، و﴿ الجهاد ﴾ : هو الصبر

على الشدة ، ويكون ذلك في الحرب ، وقد يكون على مخالفة النفس " هـ^(١)

وما ذكره رحمه الله وجيه فإن سياق الآية يعم أنواع الجهاد ، ولا ثم ما يقيده أو يخصه

بنوع منها . وبنحو هذا قال ابن سعدي .^(٢)

ففي هذه الآية الكريمة حث على مجاهدة النفس في طاعة الله ، وفي إصلاح النيّة

والقصد، فإنها أعقت قوله سبحانه : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٥] ، الدالة على إخلاص النيّة ، ورجاء ثوابه تعالى العليم بقصده

ونيتته السميع لأقواله .

وقد ختم الله هذه السورة بالوعد الكريم للمجاهدين أنفسهم ، الصابرين على طاعة

ربهم، وعلى ما يلقونه من الأذى ، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ

اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ، فردّ سبحانه عجز السورة على صدرها في التأكيد

على أهميّة المجاهدة في ذات الله ، وأثرها في الثبات على الدين ، وتحقيق الإخلاص ، فإنه تعالى

قال : ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ .

(١) معالم التنزيل [٤١/٥] .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٦٢٦] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

" وسبل الله : الأعمال الموصلة إلى رضاه وثوابه ، قال يوسف بن أسباط ^(١) : المعنى لنخلصنَّ نياتهم وصدقاتهم وصلواتهم وصيامهم " . ^(٢)

ولذا أثبت سبحانه معيته وعونه وتأيدته للمحسنين فقال: « وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » ، وفي هذا دلالة على تثبيته لمن جاهد نفسه وإعانتة له ؛ ولهذا قال ﷺ : « **والمُجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله** » . ^(٣)

والمجاهدة في تحقيق الإخلاص تقتضي استحضار اطلاع الله على عبده وعظمته واستحقاقه للعبادة ، ومقاومة الواردات التي ترد على القلب لتصرف نيته ، وتحويل بينه وبين الإخلاص ، وهذا يتطلب من العبد بذل الجهد ، واستفراغ الوسع ، وبقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى .

ومما سبق يظهر أثر المجاهدة في تحقيق الإخلاص لله تعالى ، وأنَّ الإنسان أحوج ما يكون إلى مجاهدة نفسه على الإخلاص .

قال الشيخ ابن عثيمين : " ومن أهم ما يكون من هذا مجاهدة النفس على الإخلاص لله عزَّ وجلَّ في العبادة ؛ فإنَّ الإخلاص أمره عظيم وشاق جداً . حتى إنَّ بعض السلف ^(٤) يقول : « ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص » ، لأنَّ النفوس لها حظوظ ،

(١) هو : يوسف بن أسباط الزاهد ، من سادات المشايخ ، له مواعظ وحكم . ينظر سير أعلام النبلاء [١٧٨/١٧] .

(٢) الجامع لأحكام القرآن [٣٦٥/١٣] .

(٣) أخرجه أحمد من حديث فضالة ابن عبيد برقم (٢٤٠٠٤) ، وصححه ابن حبان ، والحاكم ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني ينظر السلسلة الصحيحة برقم (٥٤٩) .

(٤) القائل هو : سفيان بن سعيد الثوري .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

ولأنَّ الإنسان يحبُّ أن يُقال : إنَّ هذا رجل عابد ، هذا رجل فيه كذا وكذا من خصال الخير ، فيدخل الشيطان على الإنسان من هذا الباب ويحمله على مراءاة الناس " هـ^(١)

قال الجنيد^(٢) في قوله تعالى : " ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)) : والذين

جاهدوا أهواءهم فينا لنهدينهم سُبُلَ الإخلاص " .^(٣)

فظهر من خلال ما سبق أثر المجاهدة في تحصيل الإخلاص وتحقيقه ، وأنَّ الإنسان إذا ما

جاهد نفسه حقق الإخلاص أيما تحقيق ، وأنَّ من لم يجاهد نفسه على الإخلاص فإنَّه

سيتخلف عن ركب المخلصين .



(١) شرح رياض الصالحين [٥٢/٢] بتصرف .

(٢) هو : الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، أبو القاسم ، صوفي مشهور ، توفي ببغداد سنة ٢٩٧ هـ . ينظر

حلية الأولياء [٢٥٥/١٠] .

(٣) الفوائد لابن القيم [ص/١٥٠] .

المبحث الرابع

﴿ تدبر أحوال المخلصين في القرآن ﴾

لقد ساق القرآن الكريم أخباراً عن عباد الله المخلصين الذين أفردوا الله بالتوحيد ، وأخلصوا له الدين ، وبيّن أحوالهم وأثنى عليهم بإخلاصهم ، ليكونوا قدوة لمن بعدهم فيتأسوا بهم ، ذلك أنّ النظر في أحوال المخلصين ، والتدبر لعاقبة أمرهم من أعظم الأسباب المعينة على تحقيق الإخلاص .

وأخلص النَّاسَ وَأَتْقَاهُمْ وَأَخْشَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وهو القدوة والأسوة الحسنة قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] ، وهذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسى برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله . (١)

وقال أيضاً في شأنه ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ [الشورى : ٥٢-٥٣] ، فهو ﷺ هادٍ وداعٍ إلى صراط الله المستقيم بقوله وفعله مما يتطلب من المسلم النظر في هديه وسيرته ، والتأمل لأقواله وأحواله ، فإنَّ الحاجة إلى معرفته وما جاء به فوق كل حاجة ، بل فوق كل ضرورة ، وما ظنُّك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به فسد قلبك ، وصار كالحوت إذا فارق الماء .

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم [٣٩١/٦] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

وقد قال سبحانه عنه ﷺ : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ [الزمر: ١٤] ، فقد أعلن إخلاصه لربه في عبادته تعالى طمعاً في فربه ، ومفارقة للمشركين كما صرح بها في سورة الكافرون ، وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢] .

فكان ﷺ أول المسلمين المخلصين في صلاته وذبحه وجميع المناسك والعبادات ، وفي سائر حياته عابداً لربه شاكراً لنعمه حتى أتاه اليقين من ربه .
فمن تدبر هديه ﷺ ، وقصد التأسى به ، رزقه الله الهداية والتوفيق وأعانته على تحقيق الإخلاص ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ... ﴾ [النور: ٥٤] .

وكذلك النظر والتأمل في أحوال أنبياء الله ورسله عليهم الصلوة والسلام المذكورة في القرآن في سياقات متعددة تحمل النفس على السعي إلى تحقيق الإخلاص ، وتعين المؤمن على ابتغاء مرضات الله ، قال تعالى في وصف رسله عليهم الصلوة والسلام : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩] .

فمن نظر في أحوال المرسلين رغبة في التأسى والإتباع قاده ذلك إلى مبتغاه ، وصار أكبر عون له على ابتغاء مرضاة الله تعالى ، وإخلاص الدين له .

لقد أمر تعالى نبيه ﷺ بالافتداء بهم فقال : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ فَبُهِدْ لَهُمْ أَقْتَدَهُ ... ﴾ [الأنعام: ٩٠] ، فأخبر أنه لا يسأل في دعوته إلى الله مالاً ولا يتغي نوالاً ، وهكذا جميع الرسل ، أخبر الله عنهم في سورة الشعراء فقال عن نوح وهود وصالح ولوط

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

وشعيب : ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۗ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
[الشعراء: ١٠٩] .

وخصَّ بعض الأنبياء بوصف الإخلاص في مواضع ، فقال عن يوسف عليه السلام :
﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾
[يوسف: ٢٤] .

فمن تأمَّل حال هذا الكريم وما ابتلي به من الفتنة العظيمة ، والتي صُرف عنها بإذن الله وتوفيقه ، بسبب إخلاصه لله كان عوناً له على تحقيق الإخلاص رغبة في عون الله وتوفيقه وابتغاء فضله وثوبه .

وقال أيضاً عن موسى عليه السلام منوهاً بإخلاصه لله تعالى : ﴿ وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۗ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١] .

قال ابن جرير : " « إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا » بكسر اللام من الْمُخْلِص ، بمعنى : إِنَّهُ كَانَ يخلص لله العبادة ، ويفرده بالألوهية " هـ^(١)

وكلا القراءتين متلازمان في المعنى ، فوصفه بالإخلاص في جميع أحواله ، فإنَّ الله أحلصه لإخلاصه ، وإخلاصه موجب لاستخلاصه .

وخصَّ موسى بعنوان (المخلص) على الوجهين لأنَّ ذلك مزيته ، فإنَّه أحلص في الدعوة إلى الله .^(٢)

(١) جامع البيان [٢٠٩/٨] .

(٢) التحرير والتنوير [١٢٧/١٦] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

وهذا في الحقيقة تقييد لما أطلقه الله تعالى من غير مقيّد ظاهر يُستند عليه ، والصواب أن الإخلاص وصف موسى عليه السلام في جميع أحواله ، ويبرز جلياً في دعوته خاصة فإنّ الله كرّر قصته ، وخبر دعوته لفرعون ولبنو إسرائيل في مواضع متعددة من القرآن كان زاده فيها الإخلاص لله تعالى والتوكل عليه ، فالمتأمل لحياته الدعوية يستلهم هذا الخلق الجليل من النبيّ الكريم والرسول الوجيه ممّا يكون عوناً بإذن الله للداعي على وجه الخصوص بالإخلاص لله تعالى .

وبالجمله فالقرآن الكريم مليء بالشواهد والأحوال الدالة على الإخلاص لله تعالى ، التي تستدعي التأمل والنظر ، واستلهاها العبر ، لتكون شاحذة لهمم أولي العزائم في التأسّي والإقتداء بأولئك النجباء الأصفياء لتحقيق هذا الخلق النبيل ، والسّلامة ممّا يضاده أو يناقضه ، ممّا يبرز الثناء على المخلصين في القرآن الكريم ، وأنّه وسيلة من وسائل الدعوة إلى الإخلاص .



المبحث الخامس

﴿ الاستعانة بالله تعالى ﴾

الاستعانة في اللغة : يقال استعنته ، واستعنت به فأعاني إعانة . (١)

وفي الاصطلاح هي : طلب العون من الله سبحانه . (٢)

قال ابن قيم الجوزية : " هي طلب العون على العبادة " . (٣)

وهي عبادة من أجلّ العبادات وأعظم القربات خصّها الله بالذكر في مواضع متعددة من كتابه ، فجاء التنصيص عليها والتأكيد عليها في أعظم سورة في القرآن ، فقال سبحانه : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] .

فكان من عطف الخاص على العام ، إذ الاستعانة فرد من أفراد العبادة ، ونوع من أنواعها ، فخصّه بالذكر لبيان أهميته وعظيم مكانته ، وقدم الضمير المنفصل « إِيَّاكَ » على الفعل « نستعين » ليفيد الحصر ، فلا يستعان إلا بالله فيما لا يقدر عليه أحد إلا الله .

ومن أعظم ما يستعان فيه تحقيق الإخلاص لله تعالى ، ولعلّ من أسرار عطف الاستعانة على العبادة أنّ أول ما يستعان بالله عليه العبادة ، كما أرشد النبي الكريم ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه بقوله : « يا معاذ والله إنني لأحبك ، فقال : أوصيك يا معاذ ، لا تدعني في دُبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك » . (٤)

(١) ينظر : تاج العروس [٣٩٥/١٨] ، والقاموس المحيط [١٦٠٠/٢] .

(٢) ينظر : معالم التنزيل [٥٤/١] ، ومعارج القبول [٤٥٢/٢] .

(٣) ينظر مدارج السالكين [٧٦/١] .

(٤) أخرجه أبو داود في كاب الوتر باب الاستغفار برقم (١٥٢٢) ، والنسائي في السهو ، باب نوع آخر من الدعاء برقم

(١٣٠٤) ، وأحمد في سنده برقم (٢٢١١٩) ، وابن حبان في كتاب الصلاة ، باب صفة الصلاة برقم (٢٠٢٠) ، وابن

حزيمة في صحيحه برقم (٧٥١) ، وغيرهم ، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع برقم (٧٩٦٩) .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

قال ابن كثير : " وسر هذه الكلمة « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة ، والتفويض إلى الله عزَّ وجلَّ . ثم قال : وإِنَّمَا قَدَّمَ « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » على « وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » ؛ لأنَّ العبادة له هي المقصودة والاستعانة وسيلة إليها " هـ^(١) فتبيَّن بهذا أنَّ الاستعانة بالله تعالى أعظم الوسائل ، وأقوى الأسباب لتحقيق الإخلاص لربِّ العالمين .

ولذا قال ﷺ : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ، اِحْرَاصٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتِعَانٌ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ ، ... » .^(٢) وقوة المؤمن في إيمانه بالله تعالى ، وإخلاص الدين له والتوكل عليه ، ومن أعظم مقومات القوَّة الحرص على ما ينفع في الدين والدنيا والآخرة ، واستمداد العون من الله تعالى ، والحذر من العجز ، فكانت وصيَّة جامعة نافعة .

وأوصى النَّاصِح لأمته ﷺ عبد الله بن عباس وهو غلام يافع وصايا عظيمة كان من جملة قولها ﷺ : « إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ... » .^(٣)

قال ابن سعدي عن الاستعانة بالله وأثرها في تحقيق ما يريد : " خلق جليل يضطر إليه العبد في أموره كلِّها دينيِّها ودنيويِّها ، لأنَّه وإن كان الله تعالى قد أعطى العبد قدرة وإرادة تقع بها أفعاله الاختيارية ، ولم يجبره على شيء منها، فإنَّه لا حول له ولا قوة إلا بالله، فإذا اعتمد

(١) تفسير القرآن العظيم [١٣٥/١] .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر برقم (٦٧٧٤) ، والنسائي في سننه الكبرى برقم (١٠٤٥٧) ، وابن ماجه في كتاب السنة ، باب في القدر برقم (٧٩) ، وأحمد في مسنده برقم (٨٧٧٧) ، وابن حبان في صحيحه برقم (٥٧٢٢) ، وغيرهم .
(٣) أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة برقم (٢٥١٦) ، وقال : حديث حسن صحيح . وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده برقم (٢٦٦٩) ، والطبراني في معجمه الكبير برقم (١١٤١٦) ، والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع برقم (٧٩٥٧) .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

بقبله اعتماداً كلياً قوياً على ربه في تحصيل وتكميل ما يريد فعله من أمور دينه ودنياه ووثق به ، أعانه وقوى إرادته وقدرته ، ويسر له الأمر الذي قصده ، وصرف عنه الموانع أو خففها ، وتضاعفت قوة العبد وازدادت قدرته ، لأنه استمد واستماح^(١) من قوة الله التي لا تنفذ ولا تبيد " . هـ^(٢)

ومن الآيات التي دلّت على هذه العبادة العظيمة والوسيلة الجليلة في تحقيق مراد المسلم ، وتحصيل مقصوده ، قوله تعالى عن موسى عليه السلام مخاطباً قومه : ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] .

فأمرهم عليه الصلاة والسلام بالاستعانة بالله تعالى على عدوهم ، وفي كل شؤونهم وأحوالهم متذرعين بالصبر واللذان هما جماع التوكل والتفويض لله رب العالمين يتحقق لهم ما يصبون إليه من خيري الدنيا والآخرة ، ومن ذلك النصر على العدو والاستخلاف في الأرض . ولذا ختم تعالى وتقدس سورة الأنبياء بقوله سبحانه : ﴿ قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١١٢] .

فقد أمر جلّ وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستعين به عزّ وجلّ على تكذيب قومه بالبعث والعذاب .

وتعريف المستعان لإفادة القصر ، أي : لا أستعين بغيره على ما تصفون ، إذ لا ينصرنا غير ربنا وهو ناظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .^(٣)

(١) قال في القاموس المحيط : استمحته : سألته العطاء . [ص/٣١٠] .

(٢) فتح الرحيم الملك العلام [ص/١٠١] .

(٣) ينظر التحرير والتنوير [١٧/١٧٦] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

وبالجمله فإن الآيات الآمرة بالتوكل على الله متضمنة للأمر بالاستعانة ، كما قال

سبحانه: ﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ... ﴾ [هود: ١٢٣] .

وكذا قوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ... ﴾

[الفرقان: ٥٨] .

وغيرها من الآيات الدالة على التبرؤ من الحول والقوة إلا بالله ، والتفويض لله في جميع

الأمر ، فمتى ما فوض العبد أمره إلى ربه واستعان به أعانه ووفقه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا

تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨] .

فتبين من خلال هذا العرض القرآني أثر الاستعانة في تحقيق الإخلاص ، فعلى العبد أن

يرغب إلى ربه في هدايته وخلو قلبه ، وسلامته من شوائب الشرك ، وأن يعلم أنه لا حول له

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فيعلق قلبه بربه ، ويفوض أمره إليه ، ويستلهم ويستمد منه

العون والتوفيق في صلاح قلبه وحسن قصده .



المبحث السادس

المراقبة

المراقبة في اللغة : من راقبه مراقبة ورقاباً ، أي : حرسه ولاحظه ، والرقابة بمعنى المراقبة. (١)
وفي الاصطلاح : هي دوام علم العبد ، وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره
وباطنه . (٢)

فمقام المراقبة مقام عظيم ، وهو أحد مقامي الإحسان في جواب النبي ﷺ لجبريل
ﷺ : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . (٣)

فقوله : « فإن لم تكن تراه فإنه يراك » هو مقام المراقبة لله تعالى ، والله يقول : ﴿ إِنَّ

اللَّهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] .

فمن قام بهذا المقام الجليل فراقب الله في السر والعلن ، فإن الله معه بالإعانة والتوفيق
والتأييد ، ومن كان الله معه حصل له ما ينفعه واندفع عنه ما يضره .

وقد دلَّ القرآن الكريم على المراقبة وأثرها في تحقيق الإخلاص ، فمن ذلك قوله تعالى :

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجِدِينَ ﴾

[الشعراء: ٢١٧-٢١٨-٢١٩] .

(١) المعجم الوسيط [ص/٣٦٣] .

(٢) ينظر مدارج السالكين [٦٥/٢] .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان برقم (٥٠) من حديث أبي هريرة ، ومسلم في كتاب الإيمان برقم (٨) من حديث
عبد الله بن عمر ، واللفظ له .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

فهو مطلع على عبده ورسوله ﷺ يسمع كلامه ويرى مكانه ولا يخفى عليه شأنه ،
وفي هذا من الاعتناء به ﷺ وتبئته له .

كما قال في شأن موسى السليبي : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ... ﴾ [طه: ٣٩] .

" أي : ولتتربى على نظري وفي حظي وكلاءتي ، قال قتادة : تغذى على عيني . وقال
معمر بن المثنى : « وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي » بحيث أرى " .^(١)

ومن الآيات الدالة على المراقبة قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ... ﴾ [الحديد: ٤] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] .

فمتى استحضر العبد اطلاع الله عليه وعلمه به ، وما تخفى نفسه حرص على اصلاح
قلبه وتجديد نيته ولهذا حذر سبحانه عباده نفسه فقال : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي
أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ... ﴾ [البقرة: ٢٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ تَخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٩] .

فهو العالم بخفيات الصدور وما اشتملت عليه ، وبما في السماوات والأرض ما احتوت
عليه ، علام الغيوب لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا يغيب عنه شيء ، سبحانه لا إله إلا هو عالم
الغيب والشهادة .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ تَبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾
[الأحزاب: ٥٤] .

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم [٢٨٤/٥] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

فاستحضر مراقبة الله تعالى وأنه ناظر إلى عبده سامع لقوله مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة تورث في القلب حياءً من الله أن يكون القصد لغيره مما يولد حرصاً وعزماً على طرد الواردات القلبية والشوائب الشركية ، والتخلص منها وتصفية النيّة والإرادة لله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، فمن راقب الله حسن عمله وصلحت نيته .

ومن الآيات الدالة على إطلاع الله على عبادته وعلمه بأقوالهم وأفعالهم التي تعين باستحضارها على تحقيق الإخلاص قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١] ، وهذه الآية عظيمة الموقع لأهل المراقبة ، تثير من قلوبهم أسراراً ، ويغترفون من بحر فيضها أنواراً .^(١)

قال المحاسبي^(٢) : " سألت أبا جعفر محمد بن موسى^(٣) فقلت: أجمل حالات العارفين ، ما هي ؟ فقال : إنَّ الحال التي تجمع لك الحالات المحمودة كلها في حالة واحدة ، هي المراقبة ، فالزم نفسك وقلبك دوام العلم بنظر الله إليك في حركتك وسكونك وجميع أحوالك ، فإنك بعين الله عزَّ وجلَّ في جميع تقلباتك ، وإنَّك في قبضته حيث كنت ، وإنَّ عين الله على قلبك ، وناظر إلى شرك وعلايتك ، فهذه الصفة يا فتى بجزء ليس له شط ، بجزء تجري منه السواقي والأنهار ، وتسير فيه السفن إلى معادن الغنيمة " .هـ^(٤)

(١) ينظر الجواهر الحسان في تفسير القرآن [٢٥٣/٣] .

(٢) هو : الحارث بن أسد المحاربي ، الزاهد المشهور ، أبو عبد الله البغدادي ، صاحب تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة، ولد ونشأ بالبصرة ، ومات ببغداد سنة ٢٤٣ هـ ، ينظر تقريب التهذيب [ص/٢٠٩] .

(٣) هو : محمد بن موسى بن عمران القطان أبو جعفر الواسطي ، صدوق ، أخرج حديثه البخاري ومسلم وابن ماجه ، من الطبقة الحادية عشرة . ينظر تقريب التهذيب [ص/٩٠٠] .

(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن [١٦١/٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

فلو قام العبد في العبادة مستحضراً رؤية الله له وإطلاعه عليه ، وعلمه بما في قلبه لم يترك شيئاً ممّا يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمات واجتماع ظاهره وباطنه للاعتناء بإتمامها على أحسن الوجوه إلا أتى به .

فالمراقبة هي التي تعين العبد على إحسان عمله وإخلاص قصده وهذا يحتاج إلى قوّة يقين وصدق اعتقاد بعلم الله به ، ونظره إلى قلبه .

فإذا راقب العبد الله تعالى في جميع أقواله وأعماله ، وحركاته وسكناته قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنيّة وحسن العمل .^(١)

فلا بُدّ للعبد من مراقبة الله في قوله ، وفي فعله ، وفي نيّته وقصده ، فينظر ماذا في قلبه من الشرك بالله والرّياء فيجتهد في دفعه قبل رفعه .

قال النووي^(٢) في شرحه لحديث جبريل عليه السلام : " لو قدّرنا أنّ أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربّه سبحانه وتعالى ، لم يترك شيئاً ممّا يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمات واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به ، فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربّه تبارك وتعالى " هـ.^(٣)

فظهر بهذا أثر مراقبة الله تعالى في تحقيق الإخلاص ، وحصوله للعبد ممّا يحمل المرء على دوام المراقبة لله تعالى .



(١) ينظر إحياء علوم الدين [ص/١٤٢٧] بتصرف .

(٢) هو : محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الحزامي الحوزاني الشافعي ، صاحب التصانيف المفيدة ، المولود سنة ٦٣١ هـ ، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ . ينظر تذكرة الحفاظ [٤/١٤٧] ، والأعلام للزركلي [٨/١٤٩] .

(٣) ينظر شرح صحيح مسلم للنووي [١/٢٢٢] ، وينظر للاستزادة مدارج السالكين ، منزلة المراقبة [٢/٦٥] .

المبحث السابع

﴿ استحضار أجر المخلصين ﴾

لقد رتب الله جلَّ وعلا على الإخلاص أجوراً عظيمة ، ووعده المخلصين بالثواب الجزيل كفاء إخلاصهم وابتغائهم ما عند الله ، ليكون دافعاً لهم ومعيناً على تحقيق الإخلاص ، والثبات على الإيمان بالله ابتغاء موعوده ، ورجاء ما عنده ، ولست بصدد ذكر الآيات الدالة على أجر المخلصين ، وما لهم عند الله من الثواب العظيم ، فقد سبق بيان جملة منها .

وإنما المقصود من هذا المبحث بيان أن استحضار الأجر على الإخلاص ، والإيمان يوعد الله الصادق ، من أهم وسائل تحقيق الإخلاص وأعظم أسبابه المعينة عليه .

فمن الآيات الدالة على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩] .

فمتى استحضر العبد هذا الجزاء الحسن قويت عزيمته ، وعظمت رغبته فيما عند الله فسعى إلى تحقيق الإخلاص في أقواله وأفعاله وجميع أحواله .

قال ابن جرير : " وشكر الله إياهم على سعيهم ذلك حُسن جزائه لهم على أعمالهم الصالحة ، وتجاوزه لهم عن سيئها برحمته " .^(١)

وقال ابن كثير : " أي : أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور ، « وَسَعَىٰ لَهَا

سَعْيَهَا » أي : طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول ﷺ ، « وَهُوَ مُؤْمِنٌ » أي : قلبه مؤمن ، أي : مصدق بالثواب والجزاء " .^(٢)

(١) جامع البيان [٤١٠/١٧] .

(٢) تفسير القرآن العظيم [٦٣/٥] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

وإنما كان سعيهم مشكوراً لإخلاصهم لله ، ومن الآيات في هذا المعنى أيضاً قوله تعالى :
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] .

فقوله : « وهو مؤمن » دليل على استحضر الأجر والتصدق بثواب الله الذي وعد أهل طاعته .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِّنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤] .

فإذا تأمل العبد هذا الجزء العظيم والأجر الكبير كان حافزاً له وحادياً إلى إحسان العمل وإصلاح القصد وإخلاص النية لله رب العالمين .

ولهذا قال جلّ وعلا : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤] .

فهذه الأمور المذكورة في الآية حيثما فُعِلت فهي خير ، كما دلّ على ذلك الاستثناء ، ولكن كمال الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص ، ولهذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى، ويخلص العمل لله في كل وقت وفي كل جزء من أجزاء الخير ، ليحصل له بذلك الأجر العظيم ، وليتعود الإخلاص فيكون من المخلصين ، وليتم له الأجر ، سواء تم مقصوده أم لا لأنّ النية حصلت واقترن بها ما يمكن من العمل .^(١)

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٢١٩] بتصرف .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

فظهر بهذه الآية أثر الإخلاص في العمل في حصول الأجر العظيم ، فإذا استحضر العبد هذا الثواب الجزيل ، وأيقن بوعده الله الصادق ، واحتسب عند الله الأجر والثواب ، كان ذلك أعظم معين له على تحقيق الإخلاص .

ولذا بيّن سبحانه الدافع العظيم لأهل الإيمان في التقرب إليه سبحانه بالأعمال الصالحة في مواضع كثيرة من كتابه .

فمنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۗ لِيُؤَفِّيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠] .

فرجاء التجارة الربحة مع الله ، واحتساب الأجر منه سبحانه دفعهم إلى الإخلاص في هذه الأعمال الصالحة .

قال ابن سعدي : " وهذا فيه أئهم يخلصون بأعمالهم ، وأئهم لا يرجون بها من المقاصد السيئة والنيئات الفاسدة شيئاً " .^(١)

فدلّت الآية السابقة على أنّ استحضر الأجر وابتغاء الثواب من أعظم الوسائل المعينة على تحقيق الإخلاص .

وتأمّل قوله تعالى في وصف صحابة رسول الله ﷺ وما دفعهم إلى كثرة الركوع والسجود والتقرب إلى الله تعالى حيث قال سبحانه : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ ۗ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٨٠٩] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ... ﴿ [الفتح: ٢٩] .

فهذه الآية الكريمة فيها دلالة بيّنة على استحضار الأجر من الله وابتغاء ثوابه على تحقيق

الإخلاص .

قال ابن كثير : " وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال ، ووصفهم بالإخلاص فيها لله عزّ وجلّ ، والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب ، وهو الجنة المشتملة على فضل الله عزّ وجلّ ، وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم ، وهو أكبر من الأول كما قال جلّ وعلا : « وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ » . هـ (١)

فالحامل لهم ﷺ على ملازمة الركوع والسجود ابتغاء ما عند الله تعالى ورجاء ثوابه ، والناس في هذا متفاوتون تفاوتاً عجيباً بحسب علمهم بالله تعالى ، وتصديق موعوده ، ولهذا أخبر سبحانه عن الأبرار فقال : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿ [الإنسان: ٨-٩] .

فقوله تعالى : « إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ » ، عبارة عن الإخلاص لله والنية والقصد . (٢)

فقد علقوا قلوبهم برّبهم ، واشربت نفوسهم إلى جزائه وفضله ، فتخلّصوا من التعلّق

بالخلق، وانتظار الجزاء منهم والشكر .

فتبيّن بهذا ما لاستحضار الأجر من الله من أثر في تحقيق الإخلاص له سبحانه وتعالى ،

مما يحمل العبد على احتساب الأجر من الله ، والتصديق بوعده ، فاحتساب الأجر

(١) تفسير القرآن العظيم [١٣/١٣٣] .

(٢) ينظر التسهيل لعلوم التنزيل [٥١٩/٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

واستحضار الثواب يهون على العبد العبادة ، ويقوي الإخلاص في قلبه ، ويقطع تعلقه بغير الله من حصول ثناء أو شكر من الناس ، أو إفادة مال ، أو تحقيق جاه ، أو غيرها من حظوظ الدنيا الفانية .

ولهذا قال سبحانه مواسياً أهل الإيمان المجاهدين ، ومُحفِّزاً لهم على الجهاد ، ومُرغِّباً لهم فيه: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِن تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٤].

فانظر إلى التفاوت الكبير في المقاصد ، والتباين العظيم في الحظوظ ، والمفارقة الجليلة بين المؤمنين وغيرهم ، حيث ميّز سبحانه أهل الإخلاص بقوله: « وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ » مما يكون له من الأثر الكبير في تحقيق الإخلاص ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ... ﴾ [التوبة: ٥٢] .

ففي قوله تعالى : « وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ » تشجيع لنفوس المؤمنين ، ينبغي أن تقوي رغبته في الجهاد ابتغاء ما عند الله من الثواب . (١)

فإن المؤمنين يرجون الفوز بثوابه والنَّجاة من عقابه ، مما يوجب زيادة القوة ، وتضاعف النشاط ، وسلامة المقصد ، وتحقيق الإخلاص .

ومن خلال هذه الآيات يتبين أثر استحضار الأجر واحتسابه عند الله تعالى في تحقيق الإخلاص .



المبحث الثامن

(١) ينظر المحرر الوجيز [٢١٥/٤] بتصرف يسير .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

الدُّعَاءُ

الدُّعَاءُ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ وَأَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ ، بَلْ هِيَ الْعِبَادَةُ كَمَا سَمَّاهَا اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وقد صرَّحَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ بقوله : « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ، ثُمَّ قَرَأَ : وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي » . (١)

قال ابن كثير : " هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه ، أنه ندب عباده إلى دعائه ، وتكفل لهم بالإجابة " .هـ (٢)

فالدُّعَاءُ سَبَبٌ عَظِيمٌ مِنْ أَسْبَابِ حُصُولِ الْمَطْلُوبِ وَانْدِفَاعِ الْمَرْهُوبِ ، وَخَيْرٌ مَعِينٍ عَلَى تَحْقِيقِ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى .

والقرآن والسُّنَّةُ دَالَانِ عَلَى فَضْلِ الدُّعَاءِ وَعَظِيمِ أَثَرِهِ ، مُشْتَمِلَانِ عَلَى جُمْلٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْ سُؤَالِ اللَّهِ الْإِعَانَةَ وَالتَّوْفِيقَ وَالهُدَايَةَ وَالتَّسْهِيدَ ، فَقَدْ افْتَتَحَ اللَّهُ كِتَابَهُ بِالدُّعَاءِ بِأَجْلِ الْمَطْلُوبِ وَأَكْمَلَ الْمَقْاصِدَ ، وَهُوَ سُؤَالُ اللَّهِ الْهُدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَوْصِلِ إِلَى جَنَاتِ النَّعِيمِ ، وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ سُؤَالَ اللَّهِ الْإِخْلَاصِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ بَلْ الْإِخْلَاصِ عَيْنَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَأَصْلِهِ .

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات عن النعمان بن بشر برقم (٣٣٧٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه أبو داود برقم (١٤٨١) ، والنسائي في الكبرى برقم (١١٤٦٤) ، وابن ماجه برقم (٣٨٢٨) ، وأحمد في مسنده برقم (١٨٣٧٨) ، وابن حبان في صحيحه برقم (٨٩٠) ، وغيرهم ، والحديث صححه الألباني ، ينظر صحيح الجامع الصغير وزياداته [ص/٦٤١] .

(٢) تفسير القرآن العظيم [٤/٨٦] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

قال ابن سعدي : " والهداية إلى الصِّراط تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً " .

فهذا الدُّعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد ، ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته ، لضرورته إلى ذلك .هـ^(١)

ولهذا فرغ أنبياء الله ورسله إلى ربهم يسألونه السَّلامَةَ من الشُّرك وتُحقيق التوحيد فهذا إبراهيم إمام الخنفاء يقول الله عنه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا صَنَامًا ﴾ [إبراهيم: ٣٥] .

فقد خاف الشُّرك على نفسه وعلى بنيّه مع تزكية الله له بقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣] . قال إبراهيم التيمي^(٢) : " ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم " .^(٣)

بل قال الله عنه وعن إسماعيل : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨] .

قال ابن أبي حاتم في تفسيره : " حدَّثنا أبي ، حدَّثنا إسماعيل بن رجاء بن حيان الحِصْني القرشي ، حدَّثنا معقل بن عبيد الله ، عن عبد الكريم : « وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ » قال : مُخْلِصِينَ لَكَ ، « وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ » قال : مُخْلِصَةً " .^(٤)

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٢٧] .

(٢) هو : إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي ، أبو أسماء الكوفي العابد ، ثقة ، أخرج حديثه أصحاب الكتب الستة ، مات سنة (٩٢) . ينظر تقريب التهذيب [ص/١١٨] .

(٣) ينظر جامع البيان [٦٨٨/١٣] .

(٤) ينظر تفسير القرآن العظيم [٩٤/٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

وفائدة تكرير النداء بقوله : « رَبَّنَا » إظهار الضراعة إلى الله تعالى ، وإظهار أن كل دعوى من هاته الدعوات مقصودة بالذات . (١)

وهذا يوسف عليه السلام يدعو ربه أن يتوفاه على التوحيد الخالص لله رب العالمين في قوله تعالى : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] ، وهذا غاية العناية بالإخلاص والحرص على ملازمته فكيف الحال بغيرهم !

لا شك أن غيرهم أحوج إلى سؤال الله التوفيق للإخلاص ، والإعانة عليه والثبات عليه . ولهذا كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي علمه أمته في التَّعوذ من الشُّرك الأصغر قوله : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ » . (٢)

وكان من دعاء عمر رضي الله عنه : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي صَالِحًا ، واجعله لك خالصًا ، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئًا » . (٣)

مما يدل على أهمية الدعاء ، وأثره في تحقيق الإخلاص لله تعالى .

قال ابن القيم : " العجب ممن تعرّض له حاجة فيصرف رغبته وهمته فيها إلى الله ليقضيها له ، ولا يتصدى للسؤال لحياة قلبه من موت الجهل والإعراض ، وشفائه من داء الشهوات والشبهات " هـ . (٤)

(١) ينظر التحرير والتنوير [٧٠٠/١] .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧١٦) ، وهناد في الزهد برقم (٨٤٩) ، وأبو يعلى في مسنده برقم (٥٨-٦٠-٦١) ، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٢٨٦) وأبو بكر المروزي في مسند أبي بكر الصديق برقم (١٨) ، كلهم من حديث أبي بكر الصديق ، وقد أورده الضياء المقدسي في المختارة برقم (٦٣) وقال : إسناده ضعيف . وصححه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد برقم (٥٥٤) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد [ص/١٧٤] .

(٤) الفوائد [ص/٣١٥] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

فالدُّعاء سبب جامع لصلاح القلب واستقامته وإخلاصه لله وإحبابه ، يقول مُطَرِّف بن عبد الله^(١) : تذاكرت ما جماع الخير ؟ فإذا الخير كثير : الصَّيام ، والصَّلَاة ، وإذا هو في يد الله ، وإذا أنت لا تقدر على ما في يد الله ، إِلَّا أَنْ تَسْأَلَهُ فَيُعْطِيكَ ، فإذا جماع الخير الدُّعاء . هـ^(٢)

فَمَنْ لَجَأَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ بِصِدْقٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ مُتَحَرِّباً أَوْقَاتَ الْإِجَابَةِ ، فَمَا أَسْرَعَ أَنْ يُجَابَ ، وَمَا أَقْرَبَ أَنْ يُعْطَى ، وَقَدْ قَالَ ﷺ : « إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبَ الْخَلِيقَ ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ » .^(٣)

فتبيّن بهذا ما للدُّعاء من أثر كبير في تحقيق الإخلاص لله تعالى ، إذ قلوب العباد بيد الله يصرفها كيف يشاء .

وإذا تبيّن هذا عُلم ضرورة سؤال العبد ربّه أن يصلح قلبه ، ويرزقه الإخلاص لله سبحانه وتعالى ، فإن كثيراً من النَّاس يغفلون عن سؤال الله صلاح قلوبهم ، وحسن نياتهم مع أنّها من أعظم الحاجات وأسمى المطالب .

وبهذا يُعلم أثر الدُّعاء في تحقيق الإخلاص ، وأنّه سلاح مضاعف نافع بإذن الله ، والسلاح بضاربه لا يجده ، فمتى ما صدر من قلب خاشع ، متضرّع مفتقر إلى الله ، موقن بالإجابة ، فما أسرع أن يُجاب .



(١) هو : مطرف بن عبد الله بن الشخير ، تابعي ثقة ، ولد في حياة الرسول ﷺ ، وهو من عبّاد البصرة وزهادهم ، ومناقبه كثيرة ، مات في إمارة الحجاج بعد الطاعون الذي كان سنة ٨٧ هـ . ينظر الإصابة لابن حجر [٢٦١/٦] .

(٢) مدارج السالكين [١٠٤/٣] .

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه [٤/١] وقال : رواه مصريون ثقات ، ووافقه الذهبي . وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة برقم (١٥٨٥) .

المبحث التاسع

﴿ التأمّل والنّظر في عاقبة المرئيين ﴾

الرّياء مرض خطير وشرك خفي مناقض للإخلاص محبط للأعمال مبطل للأجور ، وقد بيّن الله في كتابه حال المرئيين في الدنيا وسوء عاقبتهم في الآخرة ، ليعتبر أولو الألباب فينفروا من هذا الخلق المشين ، ويسعوا إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له .

فإنّ التّأمّل في أحوال أهل الرّياء ، والتأمّل في عاقبة صنيعهم من أعظم الوسائل المعينة على تحقيق الإخلاص ، فمن الآيات التي عرضت حال المرئيين في الدنيا ، وعاقبة أمرهم في الآخرة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢-١٤٣] .

إنّ المتأمّل لهذا الوصف القرآني لحال المرئيين المشابه للمنافقين يدرك خطر الرّياء وشناعته وبشاعة في كونه صفة من صفات المنافقين تحمل المؤمن على النفور منه ، والحرص على تحقيق الإخلاص فضلاً عن مصير المرئيين وعاقبة أمره في الآخرة .

ومن الآيات التي تصور حال المرئيين وضياع سعيه وذهاب عمله قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

صَلَدًا ۖ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿

[البقرة: ٢٦٤] .

فشبّه تعالى المرائي في صدقته المبتغي مدح الناس له بصخرٍ أملس عليه تراب ، فأصابه مطر شديد فذهب بذلك التراب كله ، فكذلك عمل المرائي يذهب ويضمحل كذهاب ذلك التراب لا ينتفع منه بشيء ، فإذا تأمل العبد هذه الصورة لحقيقة عمل المرائي دفعه إلى الحذر من هذا الخلق ، والملازمة للإخلاص لله تعالى القائل في الحديث القدسي : « أنا أغني الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » .^(١) فأبي خير يرجوه المرائي بعد هذا ؟ !

بل إنَّ المرائي أول من تُسعر به النَّار يوم القيامة ، فقد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ أوَّل النَّاس يُقضى يوم القيامة عليه ، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرّفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النَّار . ورجل تعلّم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمه فعرّفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلّمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلّمت العلم ليُقال : عالم ، وقرأت القرآن ليُقال : هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النَّار . ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به فعرفه نعمه فعرّفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحبُّ أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك ، قال : كذبت ،

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٨٥) ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب الرياء والسمعة برقم

(٤٢٠٢) ، وابن خزيمة في صحيحه برقم (٩٣٨) ، وأبو يعلى في مسنده برقم (٦٥٥٢) .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم

ولكنك فعلت ليقال : هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به ، فسحب على وجهه ، ثم ألقى في النار . (١)

فهذا الحديث كافٍ في بيان حال المرئيين في الدنيا ، وسوء عاقبتهم في الآخرة ، فأبي عاقبة أسوأ ؟ ! وأبي حال أفضع ؟ ! وأي تنفير من الرياء أبلغ من هذا ؟ ! فيكفيه سوءاً وفضيحة تكذيب الله تعالى له يوم القيامة ، فضلاً عما يلحقه من العذاب الأليم .
ففي هذا الحديث الشريف أبلغ زجرٍ عن الرياء ، وأعظم داعٍ إلى الإخلاص .
فإن تصور فضيحة المرئيين يوم الأشهاد نفر منهم ، وحذر من صنيعهم ، وسعى في إخلاص نيته ، وإصلاح قلبه ، ومجاهدة نفسه .

وقد توعد الله المرئيين بالويل والثبور ، يوم يُعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ، فقال سبحانه : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ [الماعون : ٤-٧] .

قال ابن جرير : " الذين هم يراءون الناس بصلاتهم إذا صلوا ، لأنهم لا يصلون رغبة في ثواب ، ولا رهبة من عقاب ، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم " . (٢)
فانظر سوء صنيعهم ، وعاقبة أمرهم ، وضياح أعمالهم الباطلة ، لما كانت لغير الله تعالى ، مما يحذر المؤمن من الرياء ، ويحمله على الاجتهاد في تحقيق الإخلاص .
وبهذا يُعلم أثر النظر في عاقبة المرئيين في التنفير من حالهم والحث على تحقيق الإخلاص لله ربّ العلمين .



(١) أخرجه مسلم في كاب الجهاد والسير برقم (٤٩٢٣) ، وأخرجه أيضاً النسائي في المجتبى برقم (٣١٣٧) ، وفي السنن

الكبرى له برقم (٤٣٤٥-٨٠٨٣-١١٥٥٩) .

(٢) جامع البيان [٦٦٤/٢٤] .

الفصل الخامس

النهى عما يضاد الإنقاذ

وفيه ستة مباحث :

- المبحث الأول : النهى عن الشرك .
- المبحث الثاني : بيان حال المشرك .
- المبحث الثالث : التحذير من النفاق .
- المبحث الرابع : تحريم الرياء .
- المبحث الخامس : ضرب الأمثال .
- المبحث السادس : الترهيب من إرادة الإنسان بعمله الدُّنيا .

المبحث الأول

﴿ النهي عن الشرك ﴾

الشرك لغة : مادة شرك تدل على أصليين : على مقارنة وخلاف انفراد ، وعلى امتداد واستقامة . (١)

والشُّرْكَه والشَّرْكَه سواء : مخالطة من الشريكين ، يقال : اشتركنا بمعنى تشاركنا وقد اشترك الرجلان وتشاركوا وشارك أحدهما الآخر ، والشَّرِيْكُ المِشَارِكُ والشُّرْكُ كالشَّرِيْكِ ، والجمع أَشْرَاكُ وشُرَكَاء ، وَأَشْرَكَ بِاللَّهِ جَعَلَ لَهُ شَرِيْكَاً فِي مَلِكِهِ تَعَالَى اللهُ عَن ذَلِكَ وَالاسْمُ الشُّرْكُ . (٢)

قال الراغب : الشُّرْكَهُ وَالْمِشَارْكَهُ : خلط الملكين . (٣)

والشرك شرعاً : أن تجعل لله نداً وهو خلقك . (٤)

وعرّفه ابن القيم بقوله : " هو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، وهو

الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين " . (٥)

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، مادة شرك [ص/٥٣٤] .

(٢) ينظر لسان العرب [٣٣٣/٦] .

(٣) المفردات [ص/٢٥٩] . وقد ذكر ابن الجوزي : إن الشرك في القرآن على ثلاثة أوجه : أحدها : أن يعدل بالله غيره وهو الأعم . الثاني : إدخال شريك في طاعته دون عبادته ومنه قوله تعالى : « جعلنا له شركاء ... » . الثالث : الرياء في الأعمال . ينظر نزهة الأعين النواظر [ص/١٦٧] .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب قول تعالى : (فلا تجعلوا لله أنداداً) برقم (٤٤٧٧) ، من حديث عبد الله بن مسعود ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (١٤١) .

(٥) مدارج السالكين [٣٤٨/١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

وقد قال في الكافية الشافية :

والشُّرك فاحذره فشرك ظاهر *** ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخذ النَّد للرحمن *** أياً كان من حجرٍ ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخاف *** ويحبه كمحبة الديان . (١)
ويمكن أن يقال : هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله تعالى ، ومنه قوله
تعالى : « إِذْ نُسَوِّئُكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ » [الشعراء: ٩٨] .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : هو صرف نوع من العبادة إلى غير الله .هـ (٢)
ويوضح هذا ويبيّنه قول الشيخ سليمان بن عبد الله : " تشبيهه للمخلوق بالخالق تعالى
وتقدس في خصائص الإلهية من ملك الضُّر والنَّفْع ، والعطاء والمنع الذي يوجب تعلق الدعاء
والخوف والرجاء والتوكل ، وأنواع العبادة كلها بالله وحده " .هـ (٣)
ومن أجمع التعاريف في هذا قول الشيخ ابن سعدي : " وحقيقة الشرك بالله : أن يعبد
المخلوق كما يعبد الله ، أو يعظم كما يعظم الله ، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية
والإلهية " .هـ (٤)

فهذا التعريف جامع لمدلولات الشرك ، شامل لمعناه .

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد شرح الكافية الشافية [٢٦٣/٢] .

(٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قسم العقيدة [ص/٢٨١] .

(٣) تيسير العزيز الحميد [ص/٨٣] .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٢٤٢] ، وللاستزادة ينظر : القول السديد في مقاصد التوحيد

[ص/٢٤] ، والدر النضيد للشوكاني [ص/٣٤] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

وثمة تعاريف أُخر تدور في فلك هذه المعاني ، وبعضها مقصور على جانب من جوانب الشرك دون آخر .

والذي يظهر أنه لا أحسن ولا أجمع ولا أمتع من بيان القرآن لحقيقة الشرك ، فقد أوضح معناه وجلّى حقيقته بأوجز بيان وأفصح عبارة ، فقال تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢] ، وهو أيضاً تعريف من أوتي جوامع الكلم حيث قال ﷺ : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك ... » .

فإن أصل الشرك هو اتخاذ النّد والشبيه لله تعالى فيما هو من خصائصه سبحانه التي لا يشاركه فيها أحد .

وبهذا التعريف المختار يظهر خطأ من قصره على الربوبية فقط من التشريك في الخلق والرّزق والإحياء والإماتة ونحوها ، الناتج عن الخطأ في بيان معنى لا إله إلا الله بأنه : لا خالق إلا الله .

ومن عناية القرآن بالإخلاص واهتمامه به والدعوة إليه النهي عن ضده والتحذير منه . فالضد يُظهرُ حُسْنَه الضد *** وبضدها تتميز الأشياء . (١) فمن عرف الشُّركَ وحقيقته التي بيّنها الله في كتابه ظهر له حُسن التوحيد والإخلاص ، وموافقته للعقل الصريح والفطرة السليمة وفضيلة الشيء تُعرف بضده .

(١) هذا البيت مكون من شطرين ، فالشطر الأول عجز بيت في قصيدة طويلة ، وصدورها : ضدان لما استحقا حُسنا ، وقد اختلف في قائلها ، فقيل : إنها لشاعر جاهلي ولم يُذكر من هو ، وقيل : إنها لذي الرمة ، وقيل : غيرها . ينظر التبيان في شرح الديوان للعكبري [٢٢/١] ، وشرح الديوان للواحيدي [١٩٧/١] . والشطر الثاني للمنتبي ، وصدوره : ونديمهم وبه عرفنا فضلهم . ينظر ديوان المنتبي [ص/١٩٧] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

ولهذا قال حذيفة ^(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « كان النَّاسُ يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنْتُ أسأله عن الشرِّ مخافة أن يدركني ... » . ^(٢)

ولهذا كان الشرك بالله أعظم ما نهى الله عنه ، قال تعالى : ﴿ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] ، فسَمَّاهُ ظُلْمًا وجعله عظيمًا لشناعته وقبحه ، فأَيُّ ظلمٍ أعظم وأشنع من صرف العبادة لغير الله تعالى ، ولذا قال سبحانه : ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٤] .

وقد جاءت آيات القرآن صريحة في النهي عن الشرك ، وبيان شناعته والتنفير منه .
فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَنْبِئُ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ١٦] .

فقد نهى سبحانه نبيه محمداً ﷺ أن يشرك مع الله أحداً فيدعوه من دون الله ، وحاشاه ﷺ أن يفعل ، وإنما هذا تأكيد للنهي عن الشرك ، فإنَّ نهي النبي ﷺ عن الشرك مع نزاهته منه وبُعده عنه دليل بيِّن على تأكيد النهي عن الشرك ، فإذا نُهي عنه خير الخلق وأحشاهم وأتقاهم له فغيره من باب أولى وأحرى .

(١) هو : حُذَيْفَةُ بن اليمَان ، واليمان لقب واسمه : حُسَيْلٌ ، ويقال : حِشَل بن جابر بن عمرو العبَّسي القطيعي ، من بني عبس بن بغيص بن ريث بن غطفان ، حليف بني عبد الأشهل من الأنصار ، يُكنى أبا عبد الله ، ويُعرف بصاحب سر النبي ﷺ ، مات في أول خلافة علي سنة (٣٦) ، بعد مقتل عثمان . ينظر الاستيعاب [٢٠٠/١] .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام برقم (٣٦٠٦) ، وفي كتاب الفتن ، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة برقم (٧٠٨٤) . وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة برقم (٤٧٨٤) .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

قال ابن عطية : " وهذا الأمر والمخاطبة للنبي ﷺ إذا كانت هكذا فأحرى أن يتحرز من ذلك غيره " . هـ (١) والمقصود من هذا الخطاب التعريض بغيره . (٢)

والمقصود من هذا الفرض تنبيه الناس على فظاعة عظم هذا الفعل حتى لو فعله أشرف المخلوقين لكان من الظالمين ، على حد قوله تعالى : « وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ » [الزمر: ٦٥] . (٣)

فانظر إلى هذا التحذير الشديد ، والنهي الأكيد عن الشرك والتنديد برب العبيد . فإذا كان خير الخلق لو دعا مع الله غيره لكان من الظالمين المشركين فكيف بغيره !؟ (٤) وقد أكد سبحانه هذا النهي العظيم ، وأوضح هذا المعنى الجليل بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨] .

فهذا النهي متوجه لخير الخلق ﷺ بأن لا يدعو مع الله إلهاً آخر ، إذ الدعاء هو العبادة ، ثم قرر سبحانه أنه لا معبود حق إلا هو فقال : « لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » فكيف يدعى معه غيره وهو غير مستحق .

ثم أكد هذا المعنى الجليل بقوله : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ » ، ومن صفات المستحق للعبادة الحياة، ولا باق إلا وجهه سبحانه ، ولهذا قال في موضع آخر : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ... ﴾ [الفرقان: ٥٨] .

(١) المحرر الوجيز [٢٢٩/٧] .

(٢) ينظر فتح القدير [٤٧٧/٢] .

(٣) ينظر التحرير والتنوير [٣٠٥/١١] .

(٤) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٤٣١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

قال أبو السعود في قوله : « وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ » : " هذا وما قبله للتهييج والإلهاب وقطع أطماع المشركين عن مساعدته ﷺ لهم ، وإظهار أن المنهي عنه في القبح والشربة ، بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه أصلاً " .^(١)

فتأمل هذا النهي الأكيد عن الشرك والتنديد الدال على خطورة الشرك وعظمه ، وأنه لا أحد يستحق العبادة إلا الله سبحانه الحي القيوم ، وانظر كيف جاء النهي عاماً شاملاً لجميع المعبودات من دونه أياً كانت ومهما بلغت فغايتها الفناء والهلاك ، حيث قال في سياق النهي « إلهاً آخر » ليعم كل معبود من دون الله تعالى .

فالمقصود به إبطال الشرك وإظهار ضلال أهله ، إذ يزعمون أنهم معترفون بإلهية الله تعالى وأنهم إنما اتخذوا له شركاء وشفعاء ، فبيّن لهم أن الله لا إله غيره ، وأن انفراده بالإلهية في نفس الأمر يقضي ببطلان الإشراف في الاعتقاد ولو أضعف إشراف ، فجملة : « لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » في معنى العلة للنهي الذي في الجملة قبلها .

وجملة : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ » علة ثانية للنهي ؛ لأن هلاك الأشياء التي منها الأصنام وكل ما عُبد مع الله وأشرك به دليل على انتفاء الإلهية عنها ؛ لأن الإلهية تنافي الهلاك وهو العدم .^(٢)

فدلّت الآية دلالة قاطعة على النهي عن الشرك صغيره وكبيره ، دقيقه وجليله المتضمن الأمر بالإخلاص والحث عليه ووجوب تحقيقه .

ومن المواضع القرآنية التي جاءت بالنهي عن الشرك قوله تعالى : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا

تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... ﴾ [النساء : ٣٦] .

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم [٢٤٨/٤] .

(٢) ينظر التحرير والتنوير [١٢٤/٢٠] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

فإنَّ الله تعالى أمر عباده جميعاً بعبادته وحده لا شريك له ، ونهاهم عن الشرك ، فهذا أول أمر في القرآن وهو الأمر بعبادته وحده لا شريك له ، والنَّهي عن الشرك كما في قوله : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » ، وتأمل كيف أمر تعالى بعبادته ، أي : فعلها خالصة له ، ولم يخص بذلك نوعاً من أنواع العبادة ، لا دعاء ولا صلاة ولا غيرهما ، ليعم جميع أنواع العبادة ، ونهى عن الشرك به ولم يخص أيضاً نوعاً من أنواع العبادة بجواز الشرك فيه .^(١)

ولذا عدَّ النَّبي ﷺ الشرك من أكبر الكبائر فقال : « أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ثَلَاثًا؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعَقُوقُ الْوَالِدِينَ ... الْحَدِيثُ » .^(٢)

وفي هذا أبلغ النَّهي عن الإِشْرَاك بالله المضاد للإِخْلَاص والتوحيد لله ربَّ العالمين . فعمَّ نهيه تعالى عن جميع أنواع الشرك ، لا شركاً أكبر ولا أصغر ، ولا يشرك معه في عبادته ملكاً مُقَرَّباً ، ولا نبياً مُرْسِلاً ، ولا ولياً صَاحِلاً ، ولا غيرهم .

ولهذا كانت الوصية الأولى من الوصايا العشر في آخر سورة الأنعام النهي عن الشرك ، قال تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : من سرَّه أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمة فليقرأ هؤلاء الآيات : « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ... » الآيات الثلاث .^(٣)

(١) ينظر تيسير العزيز الحميد [ص/٤٣] .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور ، برقم (٢٦٥٤) . وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (٨٧) ، وغيرهما .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الأنعام ، برقم (٣٠٧٠) ، وقال حديث حسن غريب . وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٧٥٤٠) ، والطبراني في معجمه الكبير برقم (١٠٠٦٠) ، وغيرهم .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

ولهذا ختم الآيات بقوله : « ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » .
وكأنَّ في الكلام محذوفاً دلَّ عليه السياق وتقديره: وأوصاكم « أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا » .^(١)
فابتدأ تعالى هذه الآيات المحكمات بتحريم الشرك والنَّهي عنه ، فحرم علينا أنْ نشرك به
شيئاً ، فشمّل ذلك كلُّ مُشْرِكٍ به وكلُّ مُشْرِكٍ فيه من أنواع العبادة ؛ فَإِنَّ « شَيْئاً » من
النكرات فيعم جميع الأشياء .^(٢)

فهذه الوصية هي أعظم الوصايا وأجلّها وأنفعها ، فَإِنَّ من سَلِمَ من الشرك سَلِمَ من شرِّ
عظيم ، وظلِّم شنيع ، وخطرٍ كبير .
فإذا ترك العبد الشُّرك كله صار موحداً مخلصاً لله في جميع أحواله ، فهذا حق الله على
عباده ، أنْ يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً .^(٣)

ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ^ط
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢] .

فيا لها من آية ما أعظمها ! ويا له من وعيد ما أشده ! فماذا يرجو العبد إذا حرم من
الجنة واستحق النار ؟ ! مَنْ ذا الذي يجيره من النار ؟ ! وَمَنْ الذي ينجيه منها ؟ !
ففي هذه الآية دلالة على التنفير من الشرك والتحذير منه والترهيب من التلبُّس به ، وأنَّه
لا أشنع ولا أفظع ولا أعظم من ذنب يوجب الحرمان من الجنة ودخول النار .

فمن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار .^(٤)

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم [٢٠٧/٦] .

(٢) ينظر تيسير العزيز الحميد [ص/٣٧] .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٣١٣] .

(٤) نص حديث أبي ذر الذي أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ما جاء في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا
الله ، برقم (١٢٣٧) ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (١٥١) من حديث جابر ، ومن حديث أبي ذر أخرجه أيضاً
الترمذي في كتاب الإيمان باب افتراق الأمة برقم (٢٦٤٤) ، وغيرهم .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

والآيات في بيان الشرك في العبادة ، وأنه دين المشركين ، وما تضمنه القرآن من الرد عليهم ، وبيان ضلالهم ، وضياع أعمالهم أكثر من أن تحصر . (١)

وقد أتيت على جملة من الآيات الدالة على النهي عن الشرك ، المبيّنة أنه أعظم الذنب ، وأشنع الظلم ، فما غصبي الله بذنوب أعظم من الشرك ، ممّا يبين خطورته ، ودعوة القرآن إلى اجتنابه والحذر منه لأنه مناقض للإخلاص منافٍ للتوحيد مخالف للفطرة .

فوجب على أهل الإسلام الرجوع إلى كتاب الله المبين في بيان الشرك العظيم ، ومعرفة حقيقته وأنواعه حتى لا يقعوا في شيء منها وهم لا يشعرون .

فإن النبي ﷺ أمر بالإنذار عن الشرك منذ أن نزل عليه قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا

الْمُدْتِرُّونَ ﴿۱﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿۲﴾ [المدثر: ١-٢] ، أي : أنذر عن الشرك وأمر بالتوحيد .

فصدع بالحق ودعا إلى التوحيد ونهى عن الشرك ، وحارب مظاهره ووسائله ، فلم يترك التنديد بالأصنام وهو وحيد ، ولا ذهل عنه وهو محصور بالشعب ، ولا نسيه والعدو مشتد في طلبه يوم الهجرة ، ولا قطع الحديث عنه وهو ظاهر بالمدينة بين أنصاره ، ولا غلق باب الخوض فيه بعد فتح مكة ، ولم يكتف بطلب البيعة على الجهاد عن تكرير عرض البيعة على التوحيد ونبد الشرك .

كل هذا وغيره يبين خطورة الشرك بالله وضرورة التوحيد والإخلاص لله رب العالمين . ولعلّ من المناسب ذكر أنواع الشرك المنافية للتوحيد والإخلاص إتماماً للفائدة ، وبياناً لتشعب الشرك ودقته وخطورة مسالكه .

(١) ينظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية [٢٦٨/٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

وهذه الأنواع للشرك إنما عرفت بالتبُّع والاستقراء^(١) ، والتأمل والنظر في نصوص القرآن والسُّنة ، وتدبُّر سياق الآيات ودلالات الألفاظ ، وقد تنوَّعت تقاسيم أهل العلم في بيان أنواع الشرك ، تبعاً لتنوع تعريفاتهم ، فهي من اختلاف التنوع يوافق بعضها بعضاً^(٢) .
ولن أستطرد في هذه التقاسيم المتنوعة ، وإنما أكتفي بالتقسيم المختار الذي يجمع بينها فترجع إليه عن التأمل فيقال :

الشرك على نوعين : أكبر ، وأصغر .

أمَّا الأكبر : فهو أن يُتخذ شريكاً أو نداً مع الله تعالى في ذاته أو في أسمائه وصفاته .^(٣)

أو يقال : أن يُجعل لله تعالى نداً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته .^(٤)

ومن الآيات الدالة على هذا القسم قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ

أُنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ... ﴾ [البقرة: ١٦٥] ، وقوله تعالى : ﴿ تَأْتِيهِمْ لِيْفَى ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴾ [٤٧] إِذْ نَسُوا اللَّهَ رَبَّهُمْ أَلْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨] ، وغيرها من الآيات .

قال في سلم الوصول :

وَالشِّرْكَ نَوْعَانِ : فَشِرْكُ أَكْبَرُ *** بِهِ خُلُودُ النَّارِ إِذْ لَا يُعْفَرُ

(١) هو تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً ، وهو قسمان : ١- تام ، ٢- ناقص .
ينظر للاستزادة ضوابط المعرفة للميداني [ص/١٩٣-١٩٥] .

(٢) ينظر للاستزادة : مدارج السالكين [٣٩٩/١] ، والدرر السنية [٨٥/٢] ، وتيسير العزيز الحميد [ص/٤٣] ، ورسالة في أنواع التوحيد وأنواع الشرك ضمن الجامع الفريد [ص/٣٤١] .

(٣) ينظر الاستقامة لابن تيمية [٣٤٤/١] ، ومدارج السالكين [٣٣٩/١] .

(٤) ينظر معارج القبول [٤٨٣/٢] ، وفتاوى اللجنة الدائمة [٥١٦/١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

وَهُوَ اتِّخَاذُ الْعَبْدِ غَيْرَ اللَّهِ *** نِدَاءٌ بِهِ مُسَوِّباً مُضَاهِي . (١)

أمَّا الشرك الأصغر : فكيسير الرياء ، والتصنع للخلق ، والحلف بغير الله ، ونحوها . (٢)

وقيل : هو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك . (٣)

وقيل : كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه ، وجاء

في النصوص تسميته شركاً . (٤)

وبالنظر إلى التعاريف السابقة وغيرها نجد أنَّ الشرك الأصغر لا يمكن حده بتعريف جامع

منضبط ؛ لأنَّ منه ما قد يصل إلى الشرك الأكبر بحسب النيَّة والاعتقاد . (٥)

فالفرق بين القسمين مناطه قصد المكلف ونيَّته ، وقد يوجد أعمال لم تسمَّ شركاً وهي

شرك أصغر ، وهناك أعمال وأقوال يتوصل بها إلى الشرك الأكبر وليست شركاً أصغر كالتصوير

مثلاً ، وقد ورد في السُّنة إطلاق الشرك الأصغر على بعض الصور .

ولهذا فالذي يظهر أنَّ الشرك الأصغر لا يمكن حده بتعريف جامع منضبط ، وإنَّما ينظر

في كل صورة من صوره على حده حسب نيَّة صاحبها .

والكلام حول الشرك وأنواعه وصوره، وحديث القرآن عنه نهيًا وتحذيرًا وتنفيراً يطول ذكره،

وفيما أوردت من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية كفاية في بيان المقصود .



(١) ينظر معارج القبول [٤٧٥/٢] .

(٢) ينظر مدارج السالكين [٣٤٤/١] .

(٣) ينظر القول السديد في مقاصد التوحيد [ص/١٥] .

(٤) ينظر فتاوى اللجنة الدائمة [٥١٧/١] .

(٥) ينظر مدارج السالكين [٣٥٢/١] .

المبحث الثاني

﴿ بيان حال المشرك ﴾

من الأساليب البديعة التي سلكها القرآن في النهي عما يضاد الإخلاص ، والتحذير من الشرك بيان حال المشرك بالله ، وحقيقة أمره ، وتصوير حياته الدنيوية ، وأنه يعيش حياة بئيسة في حرج وضيق ، واضطراب وتوهان مهما كان وضعه المادي ، ومركزه الاجتماعي ، ليكون في ذلك أبلغ الزجر ، وأعظم التنفير من سوء صنيعه وقبح فعله .

وقد تنوعت الآيات وتعددت في هذا الشأن تحذيراً وتنفيراً ، فمن ذلك قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، تَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ^ج

كَذَلِكَ تَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

فهذا تصوير رائع لحال المشرك الذي فقد أعظم مقومات الحياة الطيبة ، وهو الإيمان بالله وتوحيده وإخلاص الدين له ، فضايق صدره عن قبول الهدى والإيمان فوصفه تعالى بالحرَج وهو أشد الضيق فيشغله بكفره وصدده عن سبيله ، ويغل صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه حرجاً .

والحرَج جمع حَرْجَة ، وهي : الشجرة الملتف بها الأشجار ، لا يدخل بينها وبينها شيء

لشدّة التفافها بها .^(١)

قال ابن عباس : " إذا سمع ذكر الله اشتمأَّ قلبه ، وإذا ذكر شيئاً من عبادة الأصنام ارتاح

إلى ذلك " .^(٢)

(١) ينظر جامع البيان [١٠٤/١٢] .

(٢) ينظر معالم التنزيل [١٦٨/٣] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِالْآخِرَةِ ^ط وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥] .

وهذا مثل من الله تعالى ذكره ، ضربه لقلب هذا الكافر في شدة تضييقه إياه عن وصوله

إليه ، مثل امتناعه من الصعود إلى السماء وعجزه عنه ، لأن ذلك ليس في وسعه وطاقته . (١)

فظهر بهذه الآية حال المشرك بالله ، وضييقه بالإسلام ، وشدة حرجه ، مما فيه التنفير من

حاله ، والدعوة إلى سبب الانشراح والسعة والسعادة وهو توحيد الله والإخلاص له سبحانه .

ومن المواضع الدالة على هذا المعنى المبينة لحال المشرك بالله تعالى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ

يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ

سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣١] .

فشبه سبحانه الإيمان بالسماء في علوه وسموه وارتفاع شأن حامله ، فمن ترك الإيمان فهو

بمنزلة الساقط من السماء ، عرضة للآفات ، فكذلك المشرك عرضة للشياطين تتخطفه من كل

جانب ، وتهوي به في كل وادٍ من أودية الضلال .

فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه ، مثل من خرّ من السماء

فتخطفه الطير فهلك ، أو هوت به الريح في مكان سحيق ، يعني من بعيد . (٢)

فتأمل هذا المثل ومطابقتها لحال من أشرك بالله ، وتعلق بغيره . (٣)

فما أسوء حال المشرك ! وما أشنع صورته ! وما أشقى حياته !

(١) ينظر جامع البيان [٣٠/٨] .

(٢) ينظر المصدر السابق [٥٥/١٧] .

(٣) ينظر بدائع التفسير [٤٠٩/٣] ، والكشاف [١٣/٣] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يصاد الإخلاص

وهذا يدعو كل عاقل إلى اجتناب الشرك ولزوم التوحيد والإخلاص ، ولهذا شبّه سبحانه حال المشرك بحال من انغمس في الظلمات فأحاطت به من كل جانب فلا يستطيع الخروج منها، وذلك أنه منغمس في الكفر والضلال فَعَطَى قلبه وحالت بينه وبين نور الإيمان فقال سبحانه : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ... ﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

فقوله : « كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ » أي : لا يدري كيف يتوجه ، وأي طريق يأخذ ، لشدة ظلمة الليل وإضلاله الطريق ، فكذلك هذا الكافر الضال في ظلمات الكفر ، لا يبصر رشداً ولا يعرف حقاً . (١)

ففي هذا الوصف لحال المشرك أعظم عبرة لمن اعتبر بهذه الحال فنفر منها أشدّ النفور واستعاذ بالله منها ، وسأله الهداية والرّشاد .
فقد نبّه تعالى العقول لما تدركه وتعرفه ، فكيف يؤثر من له أدنى مُسْكَة من عقل أن يبقى في الظلمات متحيّراً . (٢)

ومثل هذا الوصف المنفّر عن حال المشرك في القرآن كثير ، فمن ذلك قوله تعالى :
﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦] .

ولهذا قال سبحانه لنبيه محمد ﷺ : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ ... ﴾ [الأنعام: ٧١] .

(١) ينظر جامع البيان [٢٢/٨] .

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٣٠٤] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

فيأمر جل وعلا نبيّه محمّداً ﷺ أن يقول للكفار أنخص بالعبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر وندع عبادة الله وحده الذي بيده النفع والضر ، فارجع القهقري لم نظفر بجاحتنا ؟ فنكون كالذي سيرته الشياطين في الأرض حيران ضالاً عن الحجة تائهاً عن الطريق الحق والصراط المستقيم .

وهذا المثل في غاية الحسن ، وذلك لأنّ الذي يهوي من المكان العالي إلى الوهدة العميقة يهوي إليها مع الاستدارة على نفسه كالحجر حال نزوله من أعلى فإنّه لا ينزل إلا مع الاستدارة، وذلك يوجب كمال التردد والحيرة ؛ لأنه عند نزوله من أعلى إلى أسفل لا يعرف على أي شيء يسقط .

ولا تجد للخائف الحائر أكمل ولا أحسن من هذا المثل . (١)

وعن مجاهد قال : " حيران : هذا مثل ضربه الله للكافر ، يقول : الكافر حيران ، يدعوه المَلَك إلى الهدى فلا يجيب " . (٢)

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه : ١٢٤] .

فلمّا أعرض عن الهدى والنور الذي هو الإيمان ولوازمه ومقتضياته أصابته المعيشة الضنك، أي : الضيقة .

والضنك من المنازل والأماكن والمعاش : الشديد . يقال : هذا منزل ضنك : إذا كان ضيقاً . (٣)

(١) ينظر البحر المحيط [١٥٦/٤] .

(٢) ينظر جامع البيان [٢٣٧/٧] .

(٣) ينظر المصدر السابق [٢٢٥/١٦] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

ففي هذا الوصف البين دعوة واضحة للبعد عن الشرك ، والحذر من أسبابه ووسائله ، والترغيب في التوحيد والإخلاص المثمر الطمأنينة والسعادة وانشرح الصدر وسعة الحياة .
وبهذا يظهر تصوير القرآن لحال المشرك الكافر المضطرب الحائر المنغمس في الكفر والضلال ، فلا يدري إلى أي وادٍ منها يهوي ، ولا إلى أي طريق ينحرف .
فقد غطى الكفر والضلال قلبه فحال بينه وبين قبول الهدى والإيمان ، وحالت ظلمات الجهل والشك والشك دون رؤية الحق وإبصاره ، فسقط هاوياً على وجهه قد أسلم نفسه لشياطين الجحيم والانس يقذفون به في كل جانب ، فهذا حاله في الدنيا .
أمّا في الآخرة فحالته أعظم سوءاً ، وأكبر خسارة ، حيث يخسر نفسه وأهله يوم القيامة إلا ذلك هو الخسران المبين .

وأى خسارة أعظم من حرمان الجنة ، ودخول النار ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .
فقد أوضحت الآية الكريمة حال المشرك ومصيره في الآخرة ، وأنه في النار وبئس القرار ، وما له من دون الله من أنصار ، ويمنع من دخول الجنة ، فإنها دار الموحدين ، مُحَرَّمَةٌ عَلَى كُلِّ مُشْرِكٍ .

ويصوّر القرآن حال المشرك عند الاحتضار ومعاناة الموت فيقول تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٣] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

" يقول تعالى ذكره لنييِّه محمد ﷺ : ولو ترى يا محمد حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين العادلين برجم الآلهة والأنداد ، والقائلين : « ما أنزل الله على بشرٍ من شيء » ، والمفترين على الله كذباً ، الزاعمين أن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء ، والقائلين : « سأُنزلُ مثلَ ما أنزلَ الله » ، فتعابنهم وقد غشيتهم سكرات الموت ، ونزل بهم أمر الله ، وحن فناء آجالهم ، والملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم ، كما قال جل ثناؤه : « فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ » [سورة محمد : ٢٧-٢٨] . (١)

وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال : ٥٠] .

وهذا في غاية الدُّل والهوان جزاءً وفاقاً وما رُك بظلام للعبيد .
وبهذا يظهر حال المشرك عند احتضاره ومعاينة الموت ، وأنه يرى من شدة نزع الروح ، والتفريع والتوبيخ من الملائكة ، والضرب والتعذيب ما يدعو المرء النَّاصِح لنفسه ، الراجي نجاتها وسلامته إلى البُعد عن الشرك ، والخوف منه ، واجتناب الوسائل الموصلة إليه .



(١) ينظر جامع البيان [٢٧٤/٧] .

المبحث الثالث

﴿ التحذير من النفاق ﴾

النَّفَاق : اسم مأخوذ من مادة (ن ف ق) التي تدل على الخروج ، فالنفاق سِرْبٌ في الأرض له مَخْلَصٌ إلى مكان . والنفاق : المسلك الذي يمكن الخروج منه . (١)

وعلى ذلك نبّه القرآن بقوله : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧] ، أي : الخارجون من الشرع . (٢)

قال ابن رجب : " والذي فسره به أهل العلم المعتبرون أنّ النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير ، وإبطان خلافه " . (٣)

فالنفاق هو الداء العُضال الباطن ، والمرض الخطير المناقض للإخلاص أشد المناقضة ، والمباين له أعظم مباينة ، قد يكون الرجل مُمتلئاً منه ولا يشعر ، فإنّه أمر خفي على الناس . وكثيراً ما يخفى على من تلبّس به ، فيزعم أنّه مُصلح وهو مُفسد ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١-١٢] .

(١) معجم مقاييس اللغة [٤٥٤/٥-٤٥٥] .

(٢) ينظر المفردات [٦٥٠/٢] .

(٣) جامع العلوم واحكم [٤٨١/٢] .

الإخلاص في القرآن = الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

قال ابن قيم الجوزية : " وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين ، وكشف أسرارهم في القرآن ، وجلّى لعباده أمورهم ؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حذر ، فخصهم بثلاث عشرة آية في مطلع سورة البقرة ، وفضحهم في سورة الفاضحة .^(١)

وأُنزل سورة في شأنهم وصفاتهم ، لكثرتهم وعموم البلوى بهم ، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله . فإنَّ بليّة الإسلام بهم شديدة جداً ؛ لأنَّهم منسوبون إليه ، وإلى نصرته وموالاته ، وهم أعداؤه في الحقيقة ، يخرجون عداوته في كل قلب ، يظنُّ الجاهل أنَّه علم وإصلاح ، وهو غاية الجهل والإفساد

إلى أن قال : كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم لكثرتهم على ظهر الأرض وفي أجواف القبور . سمع حذيفة رضي الله عنه رجلاً يقول : اللهم أهلك المنافقين ، فقال : يا ابن أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في طرقاتكم من قلة السالك .^(٢)

تالله لقد قطع خوف النفاق قلوب السابقين الأولين ، لعلمهم بدقّه وجلّه ، وتفصيله وجمله .

قال عُمر بن الخطاب لحذيفة رضي الله عنهما : يا حذيفة : « نشدتك بالله هل سمّاني لك رسول الله منهم ؟ قال : لا ، ولا أُرْكِي بعدك أحداً » .^(٣)

وقد بوّب البخاري في صحيحه : باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر .

وقال إبراهيم التيمي : " ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً " .

(١) هو اسم من أسماء سورة التوبة ، ينظر للاستعادة الإتيان [١٥٥/١] .

(٢) قد أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣٧٣٩٣) ، ولفظه : قال رجل : اللهم أهلك المنافقين ، فقال حذيفة : لو هلكوا ما انتصفتم من عدوكم . وباللفظ نفسه أخرجه الخرائطي في مساوي الأخلاق برقم (٣٠٤) .

(٣) مدارج السالكين [٣٤٧/١-٣٥٨] بتصرف ، وقد أطال رحمه الله في وصفهم ، وذكر صفاتهم في استقراء نفيس لنصوص الكتاب والسنة .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

وقال ابن أبي مليكة ^(١) : " أدركت ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل " .

وذكر عن الحسن البصري : " ما أمنه إلا منافق وما خافه إلا مؤمن " . ^(٢)

فانظر إلى شدّة خوفهم من هذا الداء العظيم ، والخطر الجسيم ، ممّا يوجب الحذر منه ، والسعي في الخلاص منه .

قال ابن حجر : " فقلوه : « أن يجبط عمله » ، أي : يحرم ثواب عمله لأنّه لا يثاب إلا على ما أخلص فيه " . ^(٣)

وقد وردت آيات صريحة في بيان حال المنافقين ، وذكر صفاتهم ، تحذيراً للمؤمنين ، وتنفيراً من المنافقين ، ودعوة لسلوك طريق المخلصين .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : " يكاد مُحكم القرآن يدل على عورات المنافقين " . ^(٤)

فإنّ سورة التوبة فضحت المنافقين ، وبينت عوارهم ، وكشفت أسرارهم ، وهتكت أستارهم ؛ ليكون المؤمنون على حذر منهم ومن صفاتهم .

(١) هو : عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو التيمي ، أدرك ثلاثين من الصحابة ، ثقة فقيه ، ولّاه ابن الزبير قضاء الطائف ، توفي سنة ١١٧ هـ . ينظر : تهذيب الكمال [٢٥٦/١٥] ، والتقريب [ص/٥٢٤] .

(٢) أخرجه والأثر قبله البخاري تعليقاً في كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن أن يجبط عمله ، ووصله ابن أبي خيثمة في تاريخه ، ينظر فتح الباري لابن حجر [١٣٥/١] .

(٣) فتح الباري لابن حجر [١٣٥/١] .

(٤) ذكره علي بن أبي طلحة (الوالي) في صحيفته عن ابن عباس [ص/٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

فمن الآيات التي جاءت صريحة في وصفهم ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢-١٤٣] .

فالمنافقون يخادعون الله بإحرازهم بنفاقهم دماءهم وأموالهم ، والله خادعهم بما حكم فيهم من منع دماءهم ، بما أظهروا بألسنتهم من الإيمان ، مع علمه بباطن ضمائرهم واعتقادهم الكفر ، استدراجاً لهم في الدنيا حتى يلقوه في الآخرة ، فيوردهم بما استبطنوا من الكفر نار جهنم . (١)

ففي هذه الآية الكريمة أبلغ التحذير من الاغترار بما عليه أهل النفاق من أمن على أنفسهم وأموالهم بما يلوح لبعض الناس فيغتر بما هم عليه من المخادعة ، وفيها إشارة لبعض صفاتهم التي يعرفون بها من كسلهم عند القيام إلى الصلاة ، لعدم الباعث الحقيقي إليها وهو الإيمان بالله واليقين بوعدته وثوابه .

قال قتادة : " والله لولا الناس ما صلى المنافق ، ولا يصلي إلا رياءً وشمعة " .
ومن صفاتهم التي يعرفون بها أنهم لا يذكرون الله إلا رياءً ، ليدفعوا بها عن أنفسهم القتل والسبأ وسلب الأموال ، لا ذكر موقن مُصدّق بتوحيد الله .

قرأ الحسن : « وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا » ، فقال : " إِنَّمَا قَلٌّ ؛ لِأَنَّهُ لَغَيْرِ اللَّهِ " .

(١) ينظر جامع البيان [٣٣٤/٥] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

وقال قتادة : " إِمَّا قَلَّ ذَكَرَ الْمُنَافِقَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبَلْهُ ، وَكُلَّ مَا رَدَّ اللَّهُ قَلِيلًا ، وَكُلَّ مَا قَبِلَ اللَّهُ كَثِيرًا " . (١)

ومن أقبح صفاتهم التي تدل على سوء صنيعهم ، وقُبْحُ فعالهم ، التذبذب والاضطراب وعدم الثبات ، فهم متحيرون في دينهم ، لا يرجعون إلى اعتقاد صحيح ، فليسوا مع المؤمنين على بصيرة ويقين ، ولا مع المشركين على جهالة ، بل حيارى بين ذلك .
وقد شبَّههم رسول الله ﷺ بتشبيهه بليغ يصوّر حالهم وما هم عليه فقال ﷺ :
« مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً ، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً ، لَا تَدْرِي أَيْتَهُمَا تَتَّبَعُ » . (٢)

ولهذا أعقب سبحانه هذه الآية بالتحذير من اتباع المنافقين ، والتخلُّق بأخلاقهم حتى لا يكونوا مثلهم فقال تعالى : ﴿ يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكٰفِرِينَ اءُولِيَا ءَ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ ؕ اءُرِيْدُوْنَ اَنْ تَجْعَلُوْا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا مُّبِيْنًا ﴾ [النساء : ١٤٤] .

وهذه آية جامعة للتحذير من موالاته الكافرين والمنافقين ، ومن الوقوع في النفاق ، لأنَّ المنافقين تظاهروا بالإيمان ووالوا الكافرين . (٣)

فتبيّن بهذا خطر النفاق ، وحقيقة أهله ، ممَّا يوجب الحذر منهم ومن صفاتهم القبيحة ، وممَّا يزيد الأمر تحذيراً من النفاق ، وتنفيراً من حال أهله ، بيان عاقبتهم في الآخرة ، وأنهم في الدرك الأسفل من النار جزاءً وفاقاً .

(١) ينظر في هذه الأقوال جامع البيان [٣٣٤/٥] .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم برقم (٧٢٢٠) ، والنسائي في كتاب الإيمان وشرايعه ، باب مثل المنافق برقم (٥٠٣٧) ، وأحمد في مسنده برقم (٥٠٧٩) ، والبخاري في مسنده برقم (٥٦١٥) ، وغيرهم .

(٣) ينظر التحرير والتنوير [٢٩١/٤] بتصرف يسير .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾

[النساء: ١٤٥] .

فقد بيّن سبحانه أنّ المنافقين في الطبّق الأسفل من أطباق جهنّم ، وكل طبّق من أطباق جهنّم درك . وفيه لغتان : بفتح الراء ، وتسكينها ، وهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، لاتفاق معناهما . (١)

وكفى بهذا الوعيد الشديد تزهيباً من النفاق وتحذيراً من صفات أهله ، وداعياً إلى الإخلاص ومرغباً فيه ، لمن نور الله قلبه وفتح بصيرته فتدبرّ كلام ربّه ، وانقاد لأمره ، وأخلص دينه لله .

وإنّما كانت هذه الطبقة في الدرك الأسفل لغلظ كفرهم ، فإنّهم خالطوا المسلمين وعاشروهم ، وباشروا من أعلام الرسالة وشواهد الإيمان ما لم يباشره البعداء ، ومن تأمل ما وصف الله به المنافقين في القرآن من صفات الذم ، علم أنّهم أحق بالدرك الأسفل . (٢)

ومن المواضع القرآنية المحذرة من النفاق ، المبيّنة صفات المنافقين ، قوله تعالى :

﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ هِيَ حَسْبُهُمْ

﴿ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٧-٦٨] .

(١) ينظر جامع البيان [٣٣٨/٥] بتصرف ، وللاستزادة ينظر : التيسير في القراءات السبع [ص/٨١] ، وشرح طيبة

النشر في القراءات العشر لعبد الفتاح القاضي [ص/٢١٨] .

(٢) ينظر طريق المحرّتين [ص/٧١٣] ، بتصرف .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يصاد الإخلاص

فقد ذكر سبحانه بعض صفاتهم السيئة التي فارقوا بها أهل الإيمان ، وباينوا دين الإسلام أعظم مباينة ، وبين مصيرهم في الآخرة من الخلود في النار واستحقاق العذاب المقيم .
قوله : « بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ » ، قال ابن عباس رضي الله عنه : " بعضهم على دين بعض " .^(١)
ثم أوضح أمرهم وبين كفرهم فقال : « يأمرن بالمنكر » وهو الكفر والنفاق ، « وينهون عن المعروف » وهو الإيمان والإخلاص ، « ويقبضون أيديهم » عن الإنفاق في سبيل الله أو عن جهاد أعدائه .^(٢)

فذكر هذه الصفات لينفر منها ، وليعلمها أهل الإيمان فيحذروها أشد الحذر ، وبين فيها أن مصيرهم في الآخرة نار جهنم خالدين فيها ، وفي هذا تحذير بليغ لمن خاف عذاب الآخرة أن يتصف بصفاتهم ، أو يسلك طريقتهم .
وما من شك أن الكفر والنفاق أصل المنكر الذي يأمر به المنافقون ويدخل فيه كل ما عُرف في الشرع قبحه من سائر المعاصي ، وهكذا في المعروف الذي ينهون عنه يدخل فيه كل ما عُرف في الشرع حسنه .

ومن المواضع التي سقت للتحذير من النفاق وأهله قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُرَبَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿٣٣﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ

(١) ينظر زاد المسير لابن الجوزي [٤٦٧/٣] .

(٢) ينظر رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز [٥٣٩/٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

وَأَرْتَبْتُمْ وَعَزَّيْتُمْ الْأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَانُكُمْ النَّارُ ۗ هِيَ مَوْلَانُكُمْ ۗ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

[الحديد: ١٣-١٤] .

فقد بين سبحانه في هذه الآيات الكريمة حال المنافقين في الآخرة ، وما آل إليه تذبذبهم في الدنيا ، وتلوئهم وخداعهم ومكرهم في صورة تظهر أن الجزء من جنس العمل ، حيث حال السور بينهم وبين المؤمنين ، وظهر الفيصل والمباينة ، فبُلو بالحسرة والخسران والعذاب والنكال جزاءً وفاقاً ، وما رُبُّك بظلام للعبيد .

وهذا أشد ما يكون من الحسرة والبلاء أن يفتح للعبد طريق النجاة والفلاح حتى إذا ظنَّ أنه ناجٍ ورأى منازل السعداء انقطع عنهم وضربت عليه الشقوة .^(١)

فإن من تدبر هذه الآيات ، وتصوّر مآل هؤلاء المنافقين ، أوجب له الحذر الشديد من التشبه بهم ، أو الوقوع فيما وقعوا فيه .

ولمّا كان النفاق بهذه الخطورة وأعظم ، أنزل سبحانه سورة في شأنهم وبيان صفاتهم ، وكذبهم وخداعهم ، والتأكيد على عداوتهم لأهل الإسلام ، والتحذير منهم .^(٢)

سمّيت هذه السورة في كتب السنة وكتب التفسير (سورة المنافقين) اعتباراً بذكر أحوالهم وصفاتهم فيها . وكان رسول الله ﷺ يقرأ بها في صلاة الجمعة ، فيقرع بها المنافقين ، ويحذر المؤمنين .^(٣)

(١) ينظر : بدائع التفسير [٣٨٥/٤] ، وطريق المحرّتين [ص/٧١٢] .

(٢) ينظر في ذكر أغراض السورة التحرير والتنوير [٢٠٩/٢٨] .

(٣) ينظر التحرير والتنوير [٢٠٩/٢٨] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

وسبب نزول السورة ما أخرجه البخاري بسنده عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه قال : كنت في غزاة مع رسول الله ﷺ ، فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول : لا تنفقوا علي من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ، ولو رجعنا من عنده ليخرجنَّ الأعزَّ منها الأذل .

فذكرت ذلك لعمي ، فذكره لنبي الله ﷺ ، فدعاني فحدثته ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه ، فحلفوا أنهم ما قالوا ، فكذبني رسول الله ﷺ وصدَّقه ، فأصابني همٌّ لم يصبني مثله قط ، فجلست في البيت ، فقال لي عمي : ما أردت إلى أن كذبتك رسول الله ﷺ ومفتك ، فأنزل الله : « إذا جاءك المنافقون » فبعث إلي النبي ﷺ ، فقرأ فقال : « إن الله صدقك يا زيد » .^(١)

وقد صرَّح جلَّ وعلا بالتحذير منهم ، وأكد على عداوتهم للإسلام والمسلمين ، ولم يرد هاهنا حصر العداوة فيهم ، وأهم لا عدو للمسلمين سواهم ، بل هذا من إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف ، وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهراً وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم ، بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم في الدار ، ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها ، فإنَّ ضرر هؤلاء المخالطين لهم المعاشرين لهم وهم في الباطن على خلاف دينهم أشدَّ عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم .^(٢)

وإذا حدَّر منهم وأثبت عداوتهم ؛ فإنه دالٌّ على التحذير منهم ومن التخلُّق بأخلاقهم والتشبه بهم ؛ لأنَّ شأن العدو أن يُتقى ويُحدَّر منه أن يُحدث انشقاقاً أو خللاً في صفوف المسلمين ، فإنَّ عداوة المنافقين عداوة خفية ، وهي أشدَّ وأخطر ما تكون من العداوات .

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب قوله : « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ... » ، برقم (٤٩٠٠) . وينظر أيضاً : أسباب النزول للواحدى [ص/٢٧٨] ، ولباب النقول [ص/١٩٦] ، والصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي [ص/٢٧٢] .

(٢) ينظر طريق المحررتين [ص/٧١٠-٧١١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

والحديث عن النِّفاق والتحذير منه في القرآن كثير ، ومن تدبَّر القرآن وجد فيه ما يحذره من هذا الدَّاء العُضال ، وتبيَّن له أنَّه دَرَكَات بعضها أفضح من بعض .
ولهذا يحسُن ذكر أقسام النِّفاق في الجملة وأنَّه ينقسم إلى قسمين :
أحدهما : النِّفاق الأكبر ، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويُبطن ما يُناقض ذلك كلَّه أو بعضه ، وهذا هو النِّفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ، ونزل القرآن بدمِّ أهله وتكفيرهم ، وأخبر أنَّ أهله في الدَّرَكِ الأسفل من النار .

والثاني : النِّفاق الأصغر ، وهو نفاق العمل ، وهو أن يُظهر الإنسان علانيةً صالحَةً ، ويُبطن ما يُخالف ذلك .

وأصولُ هذا النِّفاق ترجع إلى الخصال المذكورة في هذه الأحاديث .^(١)



(١) ينظر جامع العلوم والحكم [٤٨١/٢] .

المبحث الرابع

تحريم الرِّياء

الرِّياء لغة : مصدر راءه يرائيه رياءً ومراءاة ، مأخوذ من مادة (رأى) الدالة على نظير وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرة ، يقال : راءى فلان ، وهو : أن يفعل شيئاً ليراه الناس .^(١)

وفي القاموس المحيط : من رآيته مراءاة ورياء : أريته على خلاف ما أنا عليه .^(٢)

واصطلاحاً : إرادة العبد العباد بطاعة الله عزَّ وجلَّ .^(٣) وهذا تعريف مجمل .

وقال العزَّ بن عبد السَّلام : " إظهار عمل العبادة لينال مُظَهَّرُها عَرَضاً دنيوياً ، إما لجلب نفع دنيوي ، أو لدفع ضرر دنيوي ، أو تعظيم أو إجلال " .^(٤)

وقال ابن حجر : " هو إظهار العبادة لقصد رؤية النَّاس لها فيحمدوا صاحبها " .^(٥)

وهذا التعريف أقرب من حيث علاقته بالمعنى اللغوي ، وأخص بالمقصود ، وأمَّا تعريف العزَّ بن عبد السَّلام ففيه توسُّع وعموم .

وعرَّفَه الإمام محمَّد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - بأنَّه : " إظهار العمل الصالح للنَّاس لِيُعْظَمَ عندهم " .^(٦)

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة [ص/٤١٥] .

(٢) القاموس المحيط [١٦٨٧/٢] .

(٣) الرعاية [ص/١٦٠] .

(٤) قواعد الأحكام [١٢٤/١] .

(٥) فتح الباري [١٣٦/١٣] .

(٦) كتاب الكبائر [ص/٦] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله : " هو أن يُرى النَّاسُ أَنَّهُ يعمل عملاً على صفة ، وهو يُضمَر في قلبه صفة أخرى " . (١)

والرِّياء خلق ذميم ، وهو من صفات المنافقين ، قال الله عنهم : ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ .. ﴾ [النساء : ١٤٢] .

وهو من الشرك الأصغر ؛ لأنَّ الإنسان قصد بعبادته غير الله ، وقد يصل إلى الأكبر . (٢)
فليس على درجة واحدة ، وإنما هو درجات بعضها أشدَّ من بعض بحسب ما قام بقلب
الفاعل ، وبحسب موقعه .

وقد ورد ذكر الرِّياء في القرآن الكريم في مواضع عدَّة ، وجعله صفة من صفات المنافقين ،
بياناً لتحريمه والنَّهي عنه ، وتنفيراً للمؤمنين منه .

فجاءت آيات عامة تنص على تحريم الشُّرك والنَّهي عنه ، فيدخل فيها الرِّياء ، قال
تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ
أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

فقوله : « ولا يُشرك بعبادة ربِّه أحداً » يشمل الشرك كله صغيره وكبيره دقيقه وجليله .
ومعنى الآية : " ولا يجعل له شريكاً في عبادته إياه ، وإنما يكون جاعلاً له شريكاً بعبادته
إذا رأى بعمله الذي ظاهره أنَّه لله وهو يريد به غيره " . (٣)

وقال القرطبي : " أي : لا يُرائي بعمله أحداً " . هـ (٤)

(١) ينظر تيسير العزيز الحميد [ص/٣٩٤] .

(٢) ينظر القول المفيد على كتاب التوحيد [١٢٤/٢] .

(٣) ينظر جامع البيان [٤٠/١٦] .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن [ص/٣٩٤] ، والنكت والعيون [٣٥٠/٣] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

قال ابن القيم : " أي : كما أنه إله واحد لا إله سواه ، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده ، فكما تفرّد بالإلهية يجب أن يُفرد بالعبودية ، فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء المقيد بالسُنّة " .هـ (١)

فإذا كان هو سبحانه الإله الحق الذي تألمه القلوب حُبّاً وتعظيماً وخوفاً ورجاءً ، وجب أن يُفرد بجميع أنواع العبادة .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » . (٢)
قوله : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك » لما كان المرئي قاصداً بعمله الله تعالى وغيره ، كان قد جعل الله تعالى شريكاً ، فإذا كان كذلك فالله تعالى هو الغني على الإطلاق . (٣)

وقال النووي : " المراد أن عمل المرئي باطل لا ثواب فيه ويأثم به " .هـ (٤)
ولهذا عدّ سبحانه الرياء صفة من صفات المنافقين كما سبق ذكره ، وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] .

فلولا الناس ما صلى المنافق ، ولا يصلي إلا رياءً وسمعة . (٥)
فهم يصلون مراءاة وهم متكاسلون متشاقلون لا يرجون ثواباً ولا يعتقدون عقاباً . (٦)

(١) الجواب الكافي [ص/٩١] .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد برقم (٢٩٨٥) ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، برقم (٤٢٠٢) ، وغيرهم .

(٣) ينظر تيسير العزيز الحميد [ص/٣٩٦] .

(٤) ينظر شرح صحيح مسلم [٣١٦/١٨] .

(٥) ينظر : جامع البيان [٣٣١/٩] ، والدر المنثور [٧١٩/٢] .

(٦) ينظر الجامع لأحكام القرآن [٤٢٢/٥] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

وبهذا يظهر تحريم الرِّياء ومنافاته للإخلاص ، حيث كان صفة من صفات المنافقين الذين نُهِينا عن التشبه بهم .

ولذا قال ابن كثير : " (يُرَأُّوْنَ النَّاسَ) أي : لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله ، بل إنّما يشهدون النَّاسَ تَقِيَّةً من النَّاسِ ومُصَانَعَةً لهم " .^(١)

فهذا ما انطوت عليه سرائرهم وهذا مصدر أعمالهم ، مراعاة النَّاسِ ، يقصدون رؤية النَّاسِ وتعظيمهم واحترامهم ولا يخلصون لله .^(٢)

ومن المواضع التي ورد فيها ذكر الرِّياء قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [النساء: ٣٨] . أي : ينفقه مراعاة النَّاسِ في غير طاعة الله أو غير سبيله .^(٣)

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد ومقاتل : " إنّ هذا في صفة اليهود " .^(٤)
وقال الجمهور : إنّها نزلت في المنافقين لقوله : « رِئَاءَ النَّاسِ » ، والرِّياء من النفاق .^(٥)

والصواب ما رجحه ابن جرير أنّها في المنافقين ، حيث غاير سبحانه بينهما بالواو ما يُنبئ أنّهما صفتان من نوعين من النَّاسِ مختلفي المعاني ، وإن كان جميعهم أهل كفر بالله .^(٦)

وأياً كان المراد بها فإنَّ الله ساقها في سياق الذم ، وأنَّه لا يجب فاعلها فدلَّ على تحريم الرِّياء والنَّهي عنه على وجه العموم ، وفي التَّفقُّة على وجه الخصوص .

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم [٤٣٨/٢] .

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٢١٠] .

(٣) ينظر جامع البيان [٢٦/٧] .

(٤) المصدر السابق .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [١٩٣/٥] .

(٦) ينظر جامع البيان [٢٧/٧] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يصاد الإخلاص

فظهر بهذا ذم الرِّياء والنهي عنه ؛ فإنَّ من صيغ النهي ذم الفعل وضم فاعله للتنفير منه والترهيب من فعله .

ومن المواضع التي جاء فيها النَّهي عن الرِّياء قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال: ٤٧] .

وهذا تقدُّم من الله جلَّ ثناؤه إلى المؤمنين به وبرسوله ﷺ ، أن لا يعملوا عملاً إلا لله خاصة، وطلب ما عنده، لا رِئاء النَّاس ، كما فعل القوم من المشركين في مسيرهم إلى بدر .^(١) وحيء في نهيهم عن البَطَر والرِّئاء بطريقة النَّهي عن التشبُّه بالمشركين إدماجاً للتشيع بالمشركين وأحوالهم ، وتكريهاً للمسلمين ؛ لأنَّ تلك الأحوال ذميمة من أقوام مذمومين ، وذلك أبلغ في النَّهي ، وأكشف لقبح المنهي عنه .^(٢)

وبهذا يظهر تحريم الرِّياء وقبحه ، وأنَّه من صفات الكافرين التي يجب أن ينفر منها المؤمنون فيخلصوا أعمالهم لله تعالى .

ومَّا يدل على تحريم الرِّياء والترهيب من الاتصاف به قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٦٠﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦١﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٤-٧] .

أي : " الذين هم يُراءون الناس بصلاتهم إذا صلوا ؛ لأنَّهم لا يُصلون رغبة في ثواب ، ولا رهبة من عقاب ، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم " .^(٣)

(١) ينظر جامع البيان [٦٦٤/٢٤] بتصرف .

(٢) ينظر التحرير والتنوير [٢٣/١٠] بتصرف .

(٣) ينظر جامع البيان [٤٠٤/٣٠] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يصاد الإخلاص

فقد توعّد سبحانه بالويل للمرائين في صلاتهم ، وهو وادٍ في جهنّم يسيل من صديد أهل النار ، وفي هذا أبلغ الزجر وأعظم التحذير من الرياء في الأعمال .

ولهذا جاء في الحديث تسميته شركاً خفياً ، لخبائثه ودقته وشدة التحرّز منه ، فقال عليه السلام : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قال : قلنا بلى .

فقال : الشرك الخفي ، أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » .^(١)
فسمّاه شركاً أصغر ، إذ المرائي جعل مع الله شريكاً في عبادته التي رآى بها ، إذ كان

عليه السلام يخاف الرياء على أصحابه مع علمهم وفضلهم فغيرهم أولى بالخوف .^(٢)

فهو من أضر غوائل النفس وبواطن مكائدها ، وبيتلى به العلماء والعباد .

وللرياء أحوال إذا خالط العمل من حيث البطلان وعدمه .

" فتارةً يكون رياءً محضاً ، بحيث لا يُرادُ به سوى مرآة المخلوقين لغرضٍ دُنويٍّ ، كحال المنافقين ، وحال الكفار ، فهذا لا يكاد يصدُرُ من مؤمنٍ في فرض الصلّاة والصيام ، وقد يصدُرُ في الصدقة الواجبة أو الحجّ ، وغيرهما من الأعمال الظاهرة ، أو التي يتعدّى نفعها ، فإنّ الإخلاص فيها عزيزٌ ، وهذا العمل لا يشكُّ مسلمٌ أنّه حابِطٌ ، وأنّ صاحبه يستحقُّ المقت من الله والعقوبة " .^(٣)

فهذه هي الحالة الأولى ، ووجه بطلان العمل فيها أنّه لم يقصد وجه الله البتّة والله لا

يقبل من الأعمال الصالحة إلّا ما أُريد به وجهه .

الحالة الثانية : أن يكون العمل لله ابتداءً ثم يشاركه الرياء من أصله ، فالنصوص

الصحيحة تدل على بطلانه وحبوطه أيضاً لأنّه غلب على العمل من أصله فأبطله .

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد ، باب الرياء والسمعة (٤٢٠٤)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة برقم (٣٤٠٨) .

(٢) ينظر تيسير العزيز الحميد [ص/٥٣٣-٥٣٤] بتصرف .

(٣) ينظر جامع العلوم والحكم [١/٧٩] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يصاد الإخلاص

الحالة الثالثة : أن يكون أصل العمل لله ثم طرأت عليه نيّة الرّياء واسترسلت معه ، فهذا محلّ خلاف بين العلماء من السلف .

والتحقيق في هذا التفصيل : أنّه إن كان في عبادة ينبيي آخرها على أولها ، بمعنى أنّها متصلة مثل الصلاة فإنّها تبطل لارتباط آخرها بأولها ، واستمرار نية الرياء .

وإن كان في عبادة لا يتصل آخرها بأولها كالصدقة مثلاً ، فما قارنه الرّياء باطل ، وما سلّم من الرّياء صحيح .

الحالة الرابعة : أن يكون أصل العمل لله ثم طرأت عليه النيّة للرّياء فدفعها ولم يسكن إليها، فلا أثر لها في بطلان العمل ؛ لأنّها طارئة مثل حديث النفس فلم تتمكن من القلب .

الحالة الخامسة : أن يطرأ الرّياء بعد العمل ، فلا يؤثر شيئاً ؛ لأنّ العمل خالص لله لم تشبه شائبة الرّياء .^(١)

أمّا إذا عمل العمل لله خالصاً ، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين ، ففرح بذلك واستبشر لم يضره ، ففي الحديث أنّ النبي ﷺ سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير، يحمده الناس عليه ؟ فقال : « **تلك عاجل بشرى المؤمن** » .^(٢)

وبهذا العرض القرآني يتبيّن خطورة الرّياء ، وشدّة حرّمته ، وأثره الكبير في بطلان الأعمال، ممّا يُوجب على المكلف الحذر منه والبعد عن أسبابه ، واستشعار مراقبة الله له وإطلاعه عليه ، وعلمه بما في قلبه ، فيخلص أعماله كلها لله .



(١) ينظر : المصدر السابق ، وتيسير العزيز الحميد [ص/٥٢٨] ، والقول المفيد [٢/١٢٥] ، وإعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد [٢/٩٠] .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والأدب برقم (٦٨٩١) ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب الثناء الحسن ، برقم (٤٢٢٥) ، وأحمد في مسنده برقم (٢١٣٨٠-٢١٤٠٠) ، وغيرهم من حديث أبي ذر الغفاري .

المبحث الخامس

﴿ ضرب الأمثال ﴾

المَثَلُ في اللغة : الشيء الذي يُضرب مثلاً فيجعل مثله . (١)

وهو مأخوذ من المثل ، قول سائر يُشَبَّه به الحال الثاني بالأول . (٢)

ويقال على وجهين : أحدهما : بمعنى المِثْل (بكسر الميم) ، نحو شِبهه وشبهه ...

والثاني : عبارة عن المشابه لغيره في معنى من المعاني . (٣)

وهو : اسم لنوع من الكلام ، وهو ما ترضاه العامة والخاصة لتعريف الشيء بغير ما

وضع له من اللفظ ، ويستعار لفظ المثل للحال ، كقول الله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي

أَسْتَوَقَدَ نَارًا ... ﴾ [البقرة: ١٧] . (٤)

وسُمِّي المثل مثلاً لأنه مائل بخاطر الإنسان يتأسى به ويتعظ ويخشى ويرجو .

فالأصل في المثل قائم على تمثيل شيء بشيء لوجود عنصر التشابه بينهما .

وهو إما بسيط أو مركب ، فالبسيط: هو المشتمل على تمثيل مفرد بمفرد .

والمركب : هو الذي يقَدَّم على شكل لوحة تصور أكثر من مفرد . (٥)

(١) ينظر تهذيب اللغة [٣٣٤١/٤] .

(٢) ينظر مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني [٥/١] .

(٣) ينظر المفردات [٥٩٧/٢] .

(٤) ينظر الكليات [٨٥٢/ص] .

(٥) ينظر المثل السائر [٣٨٨/١] ، وأمثال القرآن لعبد الرحمن حنبكة [ص/٢٢] ، والفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم

البيان لابن قيم الجوزية [ص/١٠٠] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

وللمثل معانٍ آخر ضربت صفحاً عن ذكرها لعدم تعلقها بالمبحث ، وسأقتصر على المثل القياسي من تشبيه شيء بشيء آخر لتقريب المعنى .

ولضرب الأمثال أغراض متنوعة من تقريب للمعاني ، أو إقناع بفكرة ، أو ترغيب في عمل أو تحذير من أمر قبيح وغير ذلك من الأغراض .^(١)

فهو أسلوب له أثره الكبير في نفس القارئ لكتاب الله تعالى ؛ لكنّه يحتاج إلى تأمل وتدبر وإمعان النظر فإنّ الله تعالى يقول : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣] .

وقد كان عمرو بن مُرّة^(٢) إذا قرأ مثلاً من أمثال القرآن فلم يفهمه بكى فقيل له في ذلك فقال : " إنّ الله يقول : « وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ... » ، ولستُ من العالمين " . ففي الأمثال من تأنس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره ؛ لتقريبها المعقول من المشهود وكلما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً ، فالأمثال شواهد المعنى المراد ، وهي خاصية العقل ولبه وثمرته .^(٣)

فقوله : « وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ » أي : لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم ، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم ، ولأنّها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة ، فيتضح المعنى المطلوب بسببها ، فهي مصلحة لعموم الناس .

(١) ينظر للاستزادة البرهان في علوم القرآن [٤٨٦/١] .

(٢) هو : عمرو بن مرة بن عبس بن مالك بن الحرث بن مازن بن سعد بن مالك بن رفاعة بن نصر بن غطفان بن قيس بن جهينة ، يُكنّى : أبا طلحة وأبا مريم ، كان في عهد النبي شيخاً كبيراً ، وشهد المشاهد معه ، مات في خلافة معاوية . ينظر الإصابة [٨٥٢/٧] .

(٣) ينظر إعلام الموقعين [٢٩١/١] بتصرف .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

وقوله : « مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ » هذا مدح للأمثال التي يضرها ، وحثُّ على تدبرها وتعقلها ، ومدح لمن يعقلها ، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم . (١)

وقد ضرب الله في القرآن لتقريب المراد ، وإيصال المعنى إلى أذهان النَّاسِ ، فإنَّ النفس تأنس بالنظائر والأشباه ، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير ، وقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلاً مضروباً . (٢)

فالله يذكر الأمثال ويصور الأشياء الغائبة بأشياء مشاهدة ليطهر الحق من الباطل ، ويتضح الحق . (٣)

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٢٧-٢٨﴾ [الزمر: ٢٧-٢٨] .

قال ابن جرير : " يقول تعالى ذكره : ولقد مثلنا لهؤلاء المشركين بالله من كل مثل من أمثال القرون للأمم الخالية ، تخويفاً منا لهم وتحذيراً ؛ ليتذكروا فينجزوا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله " هـ . (٤)

فقد بينَّ جلَّ وعلا الحكمة من ضرب الأمثال وهو التذكير والاعتبار من خلال تقريب المعاني ، وتنويع الأمثال .

قال ابن كثير : " أي بينا للناس فيه بضر الأمثال ، فإنَّ المثل يقرب المعنى إلى الأذهان " هـ . (٥)

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٧٩] بتصرف يسير .

(٢) ينظر : القصيدة النونية (الكافية الشافية) [ص/١٢] ، والأمثال في القرآن [ص/٥٧] .

(٣) ينظر التعليق المختصر على القصيدة النونية للشيخ صالح الفوزان [١/٢٨] .

(٤) جامع البيان [٢٣/٢٤٧] .

(٥) تفسير القرآن العظيم [٧/٩٦] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

ولهذا تنوعت أمثال القرآن وتعددت بتنوع المعنى المضروب له ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ

صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾

[الإسراء: ٨٩] .

وقال : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ

أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤] .

ففي أمثال القرآن الكريم أعظم بيان ، وأوضح معنى ، وأتم دلالة على المقصود لمن تدبَّره

وأمعن النظر فيه .

وخصت أمثال القرآن بالذكر من بين مزايا القرآن لأجل لفت بصائرهم للتدبر في ناحية

عظيمة من نواحي إعجازه وهي بلاغة أمثاله ، فإنَّ بلغاءهم كانوا يتنافسون في جودة الأمثال .

وهذا وصف القرآن في حدِّ ذاته إنَّ صادف عقلاً صافياً ونفساً مجرّدة عن المكابرة .^(١)

قال ابن جرير : " يقول عزّ ذكره : ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كلِّ مثل ،

ووعظناهم فيه من كلِّ عِظة ، واحتججنا عليهم فيه بكلِّ حجة ليتذكروا فينبوا ، ويعتبروا

فيتعظوا " هـ.^(٢)

والتصريف : أصله تعدد الصرف ، وهو النقل من جهة إلى أخرى ، ومنه تصريف الرِّيح ،

وهو هنا كناية عن التبيين بمختلف البيان ومتنوعة .^(٣) والتصريف يشمل تنوع الحجج والبراهين

على قضية واحدة ، فيؤتى بأكثر من دليل وبرهان للقضية الواحدة .

(١) ينظر التحرير والتنوير [٧٧/٢٤] .

(٢) جامع البيان [٢٦٦/١٥] .

(٣) ينظر التحرير والتنوير [٨٨/١٤] بتصريف يسير ، وللاستزادة ينظر زاد المسير [٣٨/٥] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

فالأمثال القرآنية جزء من البيان الربّاني ، تُسهم في إبراز حقيقة الإخلاص والتوحيد ، وقبح الشرك بالله وشناعته ، وسوء عاقبة النفاق وأهله ، وتصوّر حال المرئيين في أسلوب رفيع ، وسبك بديع ، والأمثال المضروبة في القرآن أكثرها في القضايا الكبار ، والمسائل الجلية ، والمطالب العالية المتعلقة بأصول الدين ، ومن ذلك تقرير التوحيد الإخلاص والدعوة إليه .

لما للأمثال من موقع في الأسماع ، وتأثير في القلوب ، لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ، ولا يؤثر تأثيرها ؛ لأنّ المعاني بها لائحة ، والشواهد بها واضحة ، والنفوس بها وامقة ، والقلوب بها واثقة ، والعقول لها موافقة ، فكانت من دلائل رسله ، وأوضح حججه ؛ لأنّها في العقول معقولة ، وفي القلوب مقبولة .^(١)

ومن حكّمته تعليم البيان وهو من خصائص هذه الشريعة والمثل أعون شيء على البيان وفي ضرب الأمثال من تقرير المقصود مالا يخفى إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والشاهد بالغايب والمحسوس بالمعقول .^(٢)

وسيكون الحديث مقصوراً على الأمثال القرآنية المتعلقة بالنهي عن ما يضاد الإخلاص من الشرك والنفاق والرياء ، والتنفير منها ، والأمثال الدالة على فضيلة الإخلاص الداعية إلى التخلق به .

أولها : أمثال في قبح النفاق .

فقد وردت أمثال قرآنية في بيان قبح النفاق ، والتحذير منه ، والتنفير من أهله ، وبيان حيرتهم وقلقهم وتخبطهم في الظلمات .

(١) ينظر أدب الدنيا والدين للماوردي [ص/٢٧٥] بتصرف .

(٢) ينظر البرهان في علوم القرآن [١/٤٨٧] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يصاد الإخلاص

فمن ذلك قوله تعالى في شأن المنافقين : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٧﴾ صُمُّ بَكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْءِ آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ تَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾ [البقرة: ١٧-٢٠] .

فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين مثلاً نارياً ومثلاً مائياً ، لما في الماء والنار من الإضاءة والإشراق والحياة ، فإنَّ النَّارَ مادة النور ، والماء مادة الحياة ، وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء متضمناً لحياة القلوب واستنارتها ، وجعل قابلية الحياة في النور ، فأخبر أنَّ حَظَّ المنافقين من الوحي أُنهم بمنزلة من استوقد ناراً لتضيء له وينتفع بها ، وهم دخلوا في الإسلام فاستضاءوا به وانتفعوا به ، فحقنوا دمايتهم ، وعصموا أموالهم في الدنيا . (١)

وتأمل قوله : « أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ » الذي يدل على أن انتفاعهم بضوء النار يسير ، وكذلك مؤقت بدلالة قوله : « اسْتَوْقَدَ نَارًا » ؛ ولهذا قال : « ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ » ، ولم يقل بنارهم فأذهب الضوء والنور النَّافِعَ ، وأبقى النَّارَ المحرقة ، وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، فهذا حال من أبصر ثم عمي ، وعرف ثم أنكر ، ودخل في الإسلام ثم فارقه ، فهو لا يرجع إليه ، ولهذا قال : « فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ » .

وفي هذا المثل أعظم زاجر وأبلغ مُنقِر عن النفاق وأهله ، وأبين دلالة على قُبْح النِّفاق

وسوء عاقبته .

(١) الأمثال في القرآن لابن قيم الجوزية [ص/١٧٤-١٧٦] بتصرف .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

وقد أورد ابن جرير تأويلات متعددة لهذا المثل النَّاري ، ثم قال : " وأولى التأويلات بالآية ما قاله قتادة ، والضحاك ، وما رواه علي بن أبي طلحة^(١) ، عن ابن عباس : هذا مثل ضربه الله للمنافقين ، أنهم كانوا يعتزون بالإسلام ، فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء ، فلمَّا ماتوا سلبهم الله العزَّ ، كما سلب صاحب النَّار ضوؤه وتركهم في ظلمات ، يقول في عذاب ، وذلك : أَنَّ الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا ضَرَبَ هَذَا الْمَثَلَ لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ وَقَصَّ قِصَصَهُمْ ، مِنْ لَدُنْ ابْتَدَأَ بِذِكْرِهِمْ بِقَوْلِهِ : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ » ، أي : لا المعلنين بالكفر المجاهرين بالشرك .

إلى أن قال : فأولى تأويلات الآية بالآية : مثل استتلاء المنافقين بما أظهروا بألسنتهم لرسول الله ﷺ من الإقرار به ، وقولهم : « آمنا » ، حتى حكم لهم بذلك في عاجل الدنيا بحكم المسلمين في حَقْنِ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ " هـ^(٢)

وخالف ابن كثير هذا التأويل فقال : " وزعم ابن جرير أَنَّ الْمَضْرُوبَ لَهُمُ الْمَثَلَ هَهُنَا لَمْ يُؤْمِنُوا فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ » .

والصواب : أَنَّ هَذَا إِخْبَارٌ عَنْهُمْ فِي حَالِ نِفَاقِهِمْ وَكُفْرِهِمْ ، وَهَذَا لَا يَنْفِي أَنَّ كَانَ حَصَلَ لَهُمْ إِيمَانٌ قَبْلَ ذَلِكَ ثُمَّ سَلِبُوهُ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وَلَمْ يَسْتَحْضِرْ ابْنُ جَرِيرٍ هَذِهِ الْآيَةَ هَهُنَا ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ » " هـ^(٣)

(١) هو : علي بن أبي طلحة سالم ، مولى بني العباس ، سكن حمص ، أرسل عن ابن عباس ولم يره ، صدوق يخطيء ، مات سنة (٤٣) ، وهو صاحب الصحيفة المشهورة التي يرويها عن ابن عباس بواسطة سعيد بن جبير ومجاهد ، وقد اعتمدها الأئمة كأحمد والبخاري ، وصححها الطحاوي والنحاس وابن حجر والسيوطي . ينظر تقريب التهذيب [ص/٦٩٨] .

(٢) جامع البيان [١/١٤٣-١٤٤] .

(٣) تفسير القرآن العظيم [١/١٨٦] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

والذي يظهر عند تأمل سياق هذه الآيات في هذه السورة ، رجحان رأي ابن جرير ، وذلك لأمر :

- ١ - دلالة السياق الدالة على نفي الإيمان عنهم بقوله تعالى : « وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ » .
- ٢ - حصول المخادعة منهم والاستهزاء .
- ٣ - وقوع التكذيب منهم وذلك في قوله : « وَهُمْ عَدَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يُكذِّبُونَ » ، على قراءة أهل سما وابن عامر .^(١)

وأما استدلال ابن كثير بقوله : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا » ، فلا يلزم منه ثبوت الإيمان لهم في وقت من الأوقات ، وإنما هو إيمان باللسان لم يصدقه القلب ، كما قال قتادة : أقروا بلا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله ﷺ ، وقلوبهم منكراً تأبى ذلك .^(٢) ويؤيد هذا سياق الآيات قبلها من سورة المنافقون من قوله تعالى : « اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ » .

كما يؤيده أيضاً قوله ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » .^(٣)

والمقصود من هذا بيان حال المنافقين ، وقُبْحُ فِعَالِهِمْ ، والتحذير من صفاتهم وأعمالهم .

(١) أهل (سما) هم : نافع وابن كثير وأبو عمرو . وينظر للاستزادة : السبعة في القراءات لابن مجاهد [ص/١٤١] ، والحجة للقراء السبعة لأبي الحسن الفارسي [٣٢٥/١] .

(٢) جامع البيان [١٠٧/٢٨] .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » برقم (٢٥) ، ومسلم في كتاب الإيمان برقم (٣٢) ، وأبو داود في كتاب الزكاة برقم (١٥٥٨) ، والترمذي في كتاب الإيمان برقم (٢٦٠٧) ، والنسائي في كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة برقم (٢٤٤٣) ، وغيرهم .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

وأما المثل المائي فإنَّ الله تعالى مَثَل استضاءةِ المنافقين بضوء إقرارهم بالإسلام ، مع استسراهم الكفر ، كمثل مَطَرٍ مُظْلِمٍ ، وَذُقُّهُ تَحَدَّرَ من السماء ، تحمله مُزْنَةٌ ظلماء في ليلة مُظْلَمَةٌ فهي تُنبئُ عن أَنَّ الله ضرب الصَّيْبَ لظاهر إيمان المنافق مثلاً ، ومثل ما فيه من ظلمات بضالته ، وما فيه من ضياء برق بنور إيمانه ، واتقاءه من الصواعق بتصيير أصابعه في أذنيه ، لضعف جنانه وتخيّر فؤاده من حلول عقوبة الله بساحته . (١)

فللنافقون في حيرة واضطراب ودُعر ، ﴿ تَحَسَّبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون : ٤] ، فحالمهم مع القرآن كحال قوم أصابهم مطر من السماء وهم في ظلمة ، ويكتنفهم صوت الرعد ، وضوء البرق يكاد يخطف أبصارهم ، وذلك مثل خوف المنافقين من فضيحة القرآن لهم ، والدلالة على عورتهم كما قال تعالى : ﴿ تَحَذِّرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا وَإِنَّ اللَّهَ لَمُخْرِجٌ مِمَّا تَحَذَرُونَ ﴾ [التوبة : ٦٤] .

فهذا مثل مطابق للصَّيْب الذي نزل به جبريل من عند الله على قلب رسوله ﷺ ليحيي به القلوب والوجود أجمع ، حظ المنافقين من ذلك الصيب سحابه وعوده وبروقه . (٢)

وبهذا يتبيّن أثر المثل القرآني في بيان حال المنافقين ، والتنفير من سوء فعالهم والدعوة إلى مجانبة طريقهم ، والحذر من صفاتهم ، والثبات على منهج المخلصين ، وطريق المؤمنين الموحدين .

الثاني : أمثال في سوء عاقبة الرِّياء .

من دعوة القرآن إلى التحذير ممَّا يضاد الإخلاص ضرب الأمثال في بيان سوء عاقبة الرِّياء ، ومنافاته للإخلاص ، وذهاب عمل المرائي وجبوطه .

(١) ينظر جامع البيان [١٤٩/١-١٥٦] بتصرف .

(٢) ينظر التفسير القيم (بدائع التفسير) [٢٨٦/١] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

فمن تلك الأمثال القرآنية في بيان الرياء ، وسوء عاقبته قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

فقد شبه سبحانه المنفق ماله رياءً وطلباً لثناء الناس ومدحهم بمطر غزير أصاب حجراً أملس عليه تراب ، فأزال ما عليه من تراب وتركه صلداً ، أي : لا شيء عليه ، فكذلك المنفق رياءً يحصل له ثناء الناس ومدحهم في الدنيا كما يرى التراب على الحجر الأملس فلا يثبت عليه بل يزول ، ولا ينتفع بنفقاته في الآخرة ، بل تكون هباءً منثوراً .

فأعمالهم بمنزلة الصفوان الذي كان عليه تراب ، فأصابه الوابل من المطر ، فذهب بما عليه من التراب ، فتركه نقياً لا تراب عليه ولا شيء ، يرى المسلمون في الظاهر أنّ لهم أعمالاً ، كما يرى التراب على هذا الصفوان ، بما يراؤونهم به ، فإذا كان يوم القيامة وصاروا إلى الله ، اضمحل ذلك كله ، لأنه لم يكن لله . (١)

قال ابن القيم : " وهذا من أبلغ الأمثال وأحسنها فإنه يتضمن تشبيه قلب هذا المنفق رياءً بالحجر ، لشدته وصلابته وعدم الانتفاع به .

وتشبيه ما علق به من أثر الصدقة بالغبار الذي علق بذلك الحجر ، والوابل الذي أزال ذلك التراب عن الحجر فأذهبه بالمانع الذي أبطل صدقته وأزالها " هـ . (٢)

(١) ينظر جامع البيان [٦٦/٣] بتصرف يسير .

(٢) ينظر بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم [٤٢٢/١] بتصرف يسير .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يصاد الإخلاص

فظهر بهذا المثل القرآني البديع سوء عاقبة الرياء ، وأثره في حبوط العمل ، وزوال الثواب ، مما يدعو إلى الحذر من الرياء ، والحرص على الإخلاص .

ومن الأمثال القرآنية في بيان سوء عاقبة الرياء قوله تعالى : ﴿ أَيُودُ أَحَدِكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٦] .

فهذا مثل آخر لنفقة الرياء ، أنه ينفق ماله يرائي به الناس فيذهب ماله منه وهو يرائي ، فلا يأجره الله فيه ، فإذا كان يوم القيامة واحتاج إلى نفقته ، وجدها قد أحرقتها الرياء فذهبت ، كما أنفق هذا الرجل على جنّته حتى إذا بلغت وكثر عياله واحتاج إليها عند ضعفه وكبره ، جاءتها ريح فيها سموم فأحرقتها فلم ينتفع منها بشيء ، فكذلك الرياء يحبط العمل ويذهب بالأجر . (١)

ولأهمية هذا المثل القرآني البليغ سأل عُمر بن الخطاب بعض من عنده عن هذا المثل ، ففي صحيح البخاري أن عُمر رضي الله عنه قال يوماً لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ : « أَيُودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ » . قالوا : اللَّهُ أَعْلَمُ ، فَعُضِبَ عُمرُ فَقَالَ : قُولُوا نَعْلَمُ ، أَوْ لَا نَعْلَمُ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ عُمرُ : يَا ابْنَ أَحِي قُلْ ، وَلَا تَحْقِرْ نَفْسَكَ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ضَرَبْتَ مَثَلًا لِعَمَلٍ . قَالَ عُمرُ : أَيُّ عَمَلٍ ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لِعَمَلٍ . قَالَ عُمرُ : لِرَجُلٍ غَيِّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَعْرَقَ أَعْمَالَهُ . (٢)

(١) ينظر جامع البيان [٧٥/٣] بتصرف يسير .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : « أَيُودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ... » برقم (٤٣٥٥) .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

وعند التأمل والنظر في هذا الحديث لا ترى فيه مخالفة لما ذكره إمام المفسرين فإنه مثل مضروب لرجل يعمل بطاعة الله في الظاهر لكن قلبه منطوٍ على مراعاة الناس وحب محمدتهم ، وهذا من أعظم المعاصي المحبطة للأعمال كما سبق تقريره في مبحث سابق .

لذا قال ابن جرير : " وقد تنازع أهل التأويل في تأويل هذه الآية ، إلا أن معاني قولهم في ذلك وإن اختلفت تصاريفهم فيها عائدة إلى المعنى الذي قلنا في ذلك " هـ^(١)

وصدق - والله - الحسن البصري - هذا مثل قل من يعقله من الناس - ، ولهذا نبه سبحانه وتعالى على عظم هذا المثل ، وحدا القلوب إلى التفكير فيه لشدة حاجتها إليه ، فقال تعالى : « كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ » .^(٢)

الثالث : أمثال في شناعة الشرك .

من الأساليب البيانية البديعة التي سلكها القرآن في التحذير من الشرك والنهي عنه المتضمن الدعوة إلى الإخلاص والأمر به ضرب الأمثال القرآنية التي تصور شناعة الشرك وتبين خطورته ، وتكشف حقيقته وسوء عاقبته ، مما يوجب الحذر منه والخوف من الوقوع فيه .

فمن تلك الأمثال البديعة الرفيعة ، قول الله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٩] .

فهذا مثل تصويري بديع شبه الله تعالى فيه المشرك المتخذ من دونه أنداداً وآلهة بعبدٍ اشترك في ملكه وسيادته شركاء مختلفون متنازعون ، هل يستويان هذا الرجل برجل سالم من الشركاء في ملكه وأمره ونهيهِ ؟ !

(١) جامع البيان [٧٥/٣] .

(٢) ينظر بدائع التفسير [٤٢٧/١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

وهذا في غاية التصوير للإخلاص والشرك ، والتباين بينهما لمن تأمل وتذكر وتدبر ، فإن من يتنازع فيه أشخاص ، ويستخدمونه بقدر نصيب كل واحدٍ منهم فيكون مضطرباً بالبال ، مشوش الفكر لا يهتدي إلى شيء ، فكذلك المشرك بالله .

فهل يستويان عند أهل العقول المنيرة والفطر السليمة ؟ !

هل يستوي مثلُ هذا الذي يخدم جماعة شركاء سيئة أخلاقهم مختلفة فيه لخدمته مع منازعته شركاءه فيه ، والذي يخدم واحداً لا ينازعه فيه منازع إذا أطاعه عرف له موضع طاعته وأكرمه ، وإذا أخطأ صفح له عن خطئه ، يقول : فأَيُّ هذين أحسن حالاً وأروح جسماً وأقلّ تعباً ونصباً ؟ . (١)

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : " هذه الآية ضربت مثلاً للمشرك والمخلص " . (٢)

فانظر وقارن بين هذا وذاك شتآن بينهما ، شتآن بين موحد ومشرك ، وبهذه المقارنة دعا يوسف عليه السلام صاحبي السجن إلى التوحيد ، ونهاهما عن الشرك ، فقال الله تعالى عنه : ﴿ يَصَدِّحِي السِّجْنَءَ رَبَّابٌ مُتَّفَرِّقُونَ . خَيْرٌ أَمِ اللّهِ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف : ٣٩] .

فعقدُ المقارنة من هذا الوجه وحده كافٍ في بيان شناعة الشرك وقُبْحه ، وفضيلة التوحيد والإخلاص وحسنه .

فكيف والتباين والاختلاف من وجوه كثيرة بين الإله الحق والمعبودات الباطلة ! ؟

لقد مثل الله الكافر العابد للأوثان والشياطين بعبدٍ لرجالٍ عدّة في أخلاقهم شكاسة ونقص وعدم مسامحة ، فهم يعذبون هذا العبد ، ويضايقونه بكثرة العمل ، فهو أبداً دائم

(١) ينظر جامع البيان [٢١٤/٢٥] بتصرف يسير .

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم [٩٦/٧] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

ناصب ، فكذلك عابد الأوثان ، فهو معذب الفكر بها ، ومتى أرضى صنماً منها بالذبح له في زعمه ، تفكر فيما يصنع مع الآخر ، فهو أبداً في نصب وضلال . (١)

ففي هذه الآية الكريمة والمثل القرآني الفريد مَفْعَ لكل ذي لبٍّ رشيد وعقل سديد في حسن التوحيد ، وقُبْحُ الشُّرْكِ والتنديد .

ومن الأمثال القرآنية في بيان قُبْحِ الشُّرْكِ وشناعته ، ومجانبته للعقل والفطرة قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤١] .

فهذا مثل قرآني بديع يصور حقيقة آلهة المشركين التي عبدوها من دون الله ، وأنها أضعف ما تكون إذ شبهها بيت العنكبوت الضعيف الواهي الذي لا يقي من حر ولا برد .

قال قتادة : " هذا مثل ضربه الله ، لا يغني أولياؤهم عنهم شيئاً ، كما لا يغني العنكبوت

بيتها هذا " . (٢)

فهؤلاء المشركون أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء ، فلم يستفيدوا بمن

اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً ، كما قال تعالى : « وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا

سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا » ، وقال تعالى : « وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ

يُنصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ » ، وهذا من أحسن الأمثال وأدلها على

بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده . (٣)

(١) ينظر المحرر الوجيز [٥٣١/١٢] بتصرف يسير .

(٢) ينظر جامع البيان [١٥٣/٢٠] .

(٣) ينظر بدائع التفسير لابن قيم [٣٧٥-٣٧٦] بتصرف .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

فإنَّ مَنْ تَفَكَّرَ وأَمَعَنَ النظرَ في هذا المثل القرآني ظهر له وجه الشبه بين المشبه والمشبه به، وهو حصول خيبة ويأس للعامل في وقت تمام الرجاء وإشراف الإنتاج فانقطع رجاءه ، وذهب عمله في وقت كبره وضعفه وحاجته .

وبهذا يتبين سوء عاقبة الرياء ، وأثره في حبوط العمل ، وذهاب الأجر ، فإنَّ الله استفهم استفهام إنكار وتحذير في مطلع الآية فقال : « أَيُّودٌ » : تنفيراً من هذا العمل وترغيباً في الإخلاص .

ومن الأمثال القرآنية الدالة على شناعة الشرك ، وقُبْحِه وضعف ما يدعى من دون الله قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ ^ج إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ^ط وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ^ج ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣] .

قال ابن كثير : يقول تعالى مُنْبِهاً على حَقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ » ، أي : لما يعبد الجاهلون بالله المشركون به ، « فَاَسْتَمِعُوا لَهُ » ، أي : أنصتوا وتفهموا ، « إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ » أي : لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك .

فهم عاجزون عن خلق ذباب واحد ، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئاً من الذي عليها من الطيب ، ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك، هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ، ولهذا قال : « ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ » ، قال ابن عَبَّاس : " الطالب الصنم ، والمطلوب الذباب ، واختاره ابن جرير ، وهو ظاهر السياق " هـ (١)

(١) تفسير القرآن العظيم [٤٥٣/٥-٤٥٤] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

فانظر إلى هذا المثل القرآني العجيب ، وإلى تصويره البديع ، وبيان حقيقة الشرك وبطلانه، فقد نادى الله سبحانه الناس وأمرهم بالإصغاء والاستماع لهذا المثل البليغ .
فحقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ، ويتدبره حق تدبره ، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه ، وذلك أن أقل درجات المعبود أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده ، ودفع ما يضره ، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ، ولو اجتمعوا كلهم لخلقها ، فكيف بما هو أكبر منه ، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله ؟ !
وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله ، وتقيح عقولهم .
فتأمل هذا المثل كيف تضمن إبطال الشرك وأسبابه بأصح برهان في أوجز عبارة وأحسنها وأحلاها .

فأقام سبحانه حُجَّة التوحيد ، وبيّن إفك أهل الشرك والإلحاد بأعذب ألفاظ وأحسنها ، لم يستكرهها غموض ، ولم يشنّها تطويل ، ولم يعبها تقصير ، بل بلغت في الحسن والفصاحة والبيان والإيجاز منتهاها وأبلغها وأتمها .^(١)

فظهر بهذا المثل قُبْح الشرك وشناعته ، وبطلانه وفضاعته ، وحُسن التوحيد والإخلاص وصحته ، ممّا يكون فيه أبلغ زجر وأعظم رادع عن الشرك وأهله ، وأقوى داع إلى التوحيد والإخلاص ، لمن نور الله قلبه ، وأراد هدايته ، فأصغى لكلامه ، واستمع لبيانه .

ومن الأمثال القرآنية في شناعة الشرك وقبحه وبطلانه قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ۖ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَآ رَزَقْنَكُمْ ۖ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾
[الروم: ٢٨] .

(١) ينظر بدائع التفسير لابن قيم [٢٢١/٣-٢٢٢] ، والصواعق المرسله له [٤٦٦/٢-٤٦٧] بتصرف .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

فهذا مثل تصويري بليغ يصوّر بطلان آلهة المشركين التي اتخذوها من دون الله تعالى .
فضرب لهم مثلاً من أنفسهم ليكون أوقع في النفس ، وأبلغ في البيان ، وأقوى في الحجة .
يقول تعالى ذكره : **مَثَلُ لَكُمْ مِثْلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ** : هل لكم ممّا ملكت أيمانكم من
المماليك من شركاء فيما رزقناكم من مال يشاركونكم فيه من مسكن وزوجة ونحوها تخافون أن
يرثكم بعد موتكم ، فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آهتكم التي
تعبدونها شركاء لي في عبادتكم إِيَّاي ، وأنتم وهم عبيدي ومماليكي ، وأنا مالك جميعكم . (١)
فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم وهي من أبلغ الحجج ، فهل يرضى أحد
منهم أن يشاركه عبده في ماله وأهله حتى يساويه في التصريف ؟ !
فإذا كان هذا باطلاً في عقولهم وفي حقهم مع اختلاف الملك وتباينه ، فكيف يستجيزون
مثل هذا في حق الله تعالى الذي له الملك والتصرف التام من كل الوجوه .
فتبيّن بهذا بطلان الشرك وفساده وشناعته ، ممّا يدعو أهل العقول النيّرة لاجتنابه والحذر
منه ، فإنّ بطلان الشرك يغني عن إبطاله لمن عقل عن الله مراده .

الرابع : أمثال في فضيلة الإخلاص .

قد وردت أمثال قرآنية دالة على شرف الإخلاص وفضيلته ، وحسن عاقبة أهله ، من
قبول أعمالهم ، وثبوت أجورهم ، وعظم جزائهم ، وحُسن الثناء عليهم ترغيباً في الإخلاص
ودعوة إليه ، وتنفيراً ممّا يضاده ونهياً عنه ، فمن تلك الأمثال قوله تعالى : ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ
أَصَابَهَا وَايْلٌ فَمَاتَتْ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَايْلٌ فَطُلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ** ﴾ [البقرة: ٢٦٥] .

(١) ينظر جامع البيان [٣٨/٢١] بتصرف .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

فقد شَبَّهَ سبحانه المنفق ماله بإخلاص الله وابتغاء مرضاته جلَّ وعلا بيستان مرتفع على روبة أصابها مطر غزير فآتت ثمارها مضاعفة يانعة ، فإن لم يصبها مطر كثير فرذاذ من مطر ، وذلك أنَّها أرض طيبة مرتفعة عن المسائل والأودية فتكون أحسن وأزكى ثمرًا وغرسًا وزرعًا ممَّا رَقَّ منها ، ولذلك قال أَعَشَى بن ثَعْلَبَةَ ^(١) في وصف روضة :

ما رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحُسْنِ مُعْشِبَةٌ *** خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيَّهَا مُسْبِلٌ هَطْلُهَا . ^(٢)
فإنَّ ابتغاء مرضاته سبحانه هو الإخلاص ، والتثبيت من النفس هو الصدق في البذل ، فإنَّ المنفق يعترضه عند إنفاقه آفتان :

إحدهما : طلبه بنفقته محمدهً أو ثناءً أو غرضاً من أغراضه الدنيوية ، وهذا حال أكثر المنفقين . والآفة الثانية : ضعف نفسه وتقاعسها وترددتها في الانفاق .

فآلآفة الأولى تزول بابتغاء مرضاة الله ، والآفة الثانية تزول بالتصديق بموعود الله . ^(٣)

قال السدي ^(٤) : " هو مَثَلٌ ضربه الله لعمل المؤمن المخلص " . ^(٥)

وفي هذا المثل بيان لفضيلة الإخلاص وبركته وأثره في مضاعفة الأجر .

فإنَّ الأمثال تبهج السامع كلما كانت أكثر تركيباً وضمنت الهيئة المشبه بها أحوالاً حسنة تكسبها حُسناً ليسري ذلك الحسن إلى المشبَّه ، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من جموع أشياء

(١) هو : أعشى باهلة ، واسمه : عامر بن الحارث بن رياح بن عبد الله بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن . ينظر طبقات فحول الشعراء [٢٠٣/١] .

(٢) ينظر جامع البيان [٧١/٣] بتصرف . وينظر البيت في ديوان الأعشى [٤٨/١] .

(٣) ينظر بدائع التفسير [٤٢٣/١] .

(٤) هو : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُّدِّي ، أبو محمد الكوفي ، صدوق يهيم ، رمي بالتشيع ، أخرج حديثه مسلم وأصحاب السنن الأربعة ، مات سنة (١٢٧) . ينظر تقريب التهذيب [ص/١٤١] .

(٥) ينظر معالم التنزيل [٣٦٣/١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

متكامل بما تضعيف المنفعة ، فالهياة المشبهة هي النبتة المبتغى بها رضوان الله وتصديقاً بموعوده، والهياة المشبهة بها الجنة الطيبة ، فإن لم يصبها مطر غزير كفاها مطر قليل ، فآتت أكلها دون الضعفين ، فالإنفاق متفاوت بمقدار تفاوت الإخلاص . (١)

فيا لله لو قدر وجود بستان في هذه الدار بهذه الصفة لأسرعت إليه الهمم وتزاحم عليه كل أحد ، ولحصل الاقتتال عنده ، مع انقضاء هذه الدار وفنائها وكثرة آفاتنا وشدّة نصبها وعنائها، وهذا الثواب الذي ذكره الله كأن المؤمن ينظر إليه بعين بصيرة الإيمان ، دائم مستمر فيه أنواع المسرات والفرحات ، ومع هذا تجرد النفوس عنه راقدة ، والعزائم عن طلبه خامدة ، أترى ذلك زهداً في الآخرة ونعيمها ، أم ضعف إيمان بوعد الله ورجاء ثوابه ؟ ! وإلا فلو تيقن العبد ذلك حق اليقين وياشر الإيمان به بشاشة قلبه لانبعثت من قلبه مزعجات الشوق إليه ، وتوجهت همم عزائمه إليه ، وطوعت نفسه له بكثرة النفقات رجاء المثوبات . (٢)

وتأمل ختم الآية بقوله تعالى : « وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » الدال على سعة علم الله وبصره بأعمال عباده ، واطلاعه على سرائرهم ونياتهم ؛ فإنه يشعر العبد بمراقبة الله لأعماله ، وعلمه بما في قلبه من الإخلاص والتصديق بوعدته وجزائه ، فلا ينصرف قلبه لغير الله ، ولا يتطلع إلى جزاء غيره .

وبهذا المثل القرآني الرفيع تظهر فضيلة الإخلاص ، الداعية لكل عاقل راغب في الجزاء الحسن والمضاعفة في الثواب أن يلزم الإخلاص في أقواله وأفعاله ويجذر ممّا يضاده ، فلا يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وأبقى .

(١) ينظر التحرير والتنوير [٥٢٣/٢-٥٢٤] بتصرف .

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/١١٤] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

ومن الأمثال القرآنية الدالة على فضيلة الإخلاص ، ومضاعفته للحسنات قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

فقد شبّه سبحانه النفقة الطيبة المبتغى بها وجهه سبحانه بحبة بذرت في أرض طيبة ، فأنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة فبلغت سبعمائة حبة بفضل الله وبركة الإخلاص له . فهذا مثل واقع محسوس مشاهد له أثره في نفوس أهل الإيمان في بيان فضيلة الإخلاص في النفقة وأثرها في مضاعفة الحسنات .

فهذا التمثيل تصوير للإضعاف ، كأثما ماثلة بين عيني الناظر . (١)

وقوله : « في سبيل الله » ، قال سعيد بن جبير : " في طاعة الله " . (٢)

وقد تقدم في الفصل الأول أنه من الألفاظ التي يعبر بها عن الإخلاص .

وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة ، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها ، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة .

وقد وردت السنة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف . (٣)

ومن الأحاديث الدالة على هذا التضعيف ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي

هُريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « كلُّ عمل ابن آدم يُضاعف ، الحسنة بعشر

أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل : إِلَّا الصَّوْمُ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، يَدْعُ

(١) ينظر الكشاف [٣١٠/١] .

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم [٦٩١/١] .

(٣) المصدر السابق .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

شهوته وطعامه من أجلي ، للصائم فرحتان فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ،
وَلْخُلُوفٍ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ » . (١)

قال ابن رجب : " الصيام سر بين العبد وربّه لا يطلع عليه غيره ؛ لأنّه مركب من نيّة
باطنة لا يطلع عليها إلا الله " . (٢)

ولا تقتصر المضاعفة إلى هذا العدد ، بل إلى ما شاء الله تعالى ، بدليل قوله سبحانه :
« وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » ، وذلك بحسب ما يقوم بقلب المنفق من
الإيمان، والإخلاص التام ، وفي ثمرات نفقته ونفعها . (٣)

وقد ختم الله الآية الكريمة بذكر اسمين كريمين له جلّ وعلا بقوله تعالى : « وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ » ليدلّ على سعة جوده وعظم جزائه ، وسعة علمه وإحاطته بأعمال عباده ومقاصدهم
فيجازيهم عليها أتمّ الجزاء وأوفره وأعظمه .
فإنّها وإن خفيت على الناس فإنّها لا تخفى على الله الذي أحاط بكل شيء علماً .

وبهذا تبرز فضيلة الإخلاص ، ويظهر أثره في مضاعفة الحسنات ، ليدعو المنفقين إلى
لزوم هذا الخلق النبيل ، ويرغبهم في عطاء ربّ العالمين ، وينهاهم عما يضاد الإخلاص من
الرياء وإرادة الدنيا ونحوهما ، ويحذرهم من مغبتها ومحققها للحسنات وإبطالها للأعمال .

ومن الأمثلة المضروبة في القرآن لبيان فضيلة الإخلاص لله تعالى عموماً ، وإفراده بالعبادة
وحده لا شريك له قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا
سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٩] .

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس باب ما يذكر في المسك برقم (٥٩٢٧) ، مسلم في كتاب الصيام برقم (٢٧٠٧) ،

وابن ماجة في كتاب الصيام برقم (١٦٣٨) ، وأحمد برقم (٩٧١٤) .

(٢) لطائف المعارف [ص/٢٩٠] .

(٣) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٩٤] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يصاد الإخلاص

وقد فارق سبحانه بين المشرك والمخلص بمفارقة واضحة بيّنة تدرك من خلال هذا المثل البديع ، فهل يستوي عبد له شركاء متشاكسون مختلفون فيما بينهم ، فهو تائه بينهم لا يدري بأمر من يأتمر ، أم ينهي من ينتهي ، ومن يطيع ومن يعص ، وبين عبد خالص لسيده قد عرف مقصود سيده ، وحصلت له الراحة التامة ، لا شك أنهما لا يستويان ، فكذلك المخلص الموحد ، قد خلّصه الله من الشركة لغيره ، فهو في أتم راحة ، وأكمل طمأنينة ، قد عرف ربّه ومقصوده ، وتوجه إليه بقلبه ، وأخلص له أعماله ، فأبي فضيلة أعظم ، وأي منزلة أجلّ ، فالحمد لله على هدايته وتوفيقه ، وعلى ظهور الحجّة وبيان الحجّة .

فإنّ من تأمّل هذا المثل حق التأمل ظهر له فضل التوحيد والإخلاص ، وطمأنينة الموحد وراحته وهدوء نفسه ، وخلوصه لربّه وخالقه سبحانه .

ومن الأمثال المضروبة لبيان فضيلة الإخلاص لله تعالى وشرفه ، ورفعة أهله ، وثباتهم على دينه وعبادته قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥] .

فهذا مثل بليغ ضربه الله لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) والتي هي أصل التوحيد والإخلاص ، بيّن فيه فضلها وشرفها بهذا المثل ، حيث شبهها بشجرة طيبة جذورها ثابتة سامقة في الأرض ، وفروعها عالية مثمرة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

أخرج ابن جرير بسنده عن الربيع بن أنس قال : " « أَصْلُهَا ثَابِتٌ » فِي الْأَرْضِ ، وَكَذَلِكَ كَانَ يَقْرَأُهَا ، قَالَ : ذَلِكَ الْمُؤْمِنُ ضُرِبَ مَثَلُهُ ، قَالَ : الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَعِبَادَتُهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، قَالَ : « أَصْلُهَا ثَابِتٌ » ، قَالَ : أَصْلُ عَمَلِهِ ثَابِتٌ فِي الْأَرْضِ " . (١)

(١) ينظر جامع البيان [٢٠٤/١٣] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يصاد الإخلاص

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : « مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً » شهادة أن لا إله إلا الله ، « كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ » وهو المؤمن ، « أَصْلُهَا ثَابِتٌ » يقول : لا إله إلا الله في قلب المؤمن ، « وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ » يقول : يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء . (١)

وهذا ظاهر على قول الجمهور ، فإن كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) تثمر جميع الأعمال الصالحة ، الظاهرة والباطنة ، فكل عمل صالح مرضي لله فهو ثمرة لهذه الكلمة . وفي هذا فضيلة ظاهرة للإخلاص لله تعالى ، وبيان لأثره الكبير في صلاح الأعمال وقبولها .

قال ابن القيم : وإذا تأملت هذا التشبيه رأيت مطابقتها لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب ، التي فروعها من الأعمال الصالحة الصاعدة إلى السماء ، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ، ومحبة القلب لها وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقوقها ومراعاتها حق رعايتها .

فتثمر كلاماً كثيراً طيباً ، يقارنه عمل صالح ، فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب ، كما قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ... ﴾ [فاطر : ١٠] . (٢)

فله ما أعظم فضيلة الإخلاص ، وما أعلى منزله ، وما أجدر أن نسعى إلى تحقيقه في قلوبنا ، وما أحوجنا إلى تثبيت الله لنا .



(١) ينظر تفسير القرآن العظيم [٤/٤٩١] .

(٢) ينظر بدائع التفسير [٣/١١] .

المبحث السادس

﴿ التَّزْهِيْبُ مِنْ إِرَادَةِ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا ﴾

الإرادة هي : المشيئة ، أراد الشيء : شاءه .^(١)

وهي في الأصل قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل ، وجعل اسماً لنزوع النفس إلى الشيء

مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل .^(٢)

لقد نهى القرآن الكريم عن إرادة الإنسان بعمله الدنيا في مواضع متعددة ، وذلك لأنَّ

الإنسان مولع بحب العاجل كما قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ وَتَذَرُونَ

الْآخِرَةَ ﴿ [القيامة : ٢٠-٢١] ، أي : تحبون ثواب الدنيا ، وتذرون ثواب الآخرة .^(٣)

وقد يظن بعض النَّاس أن هذا المبحث داخل في الرِّياء فلماذا التكرار ؟

وعند التحقيق والنظر يظهر الفرق بينهما للمتأمل وهو :

١- أنَّ المرائي يقصد مدح الناس وثناءهم عليه ليقال مثلاً : قارئ ، جواد ، جريء ،

وهكذا فهو يقصد نفعاً معنوياً وهذه حالة من حالات إرادة الإنسان بعمله الدنيا فالرِّياء أخص

فيدخل في هذا المبحث .

٢- أنَّ إرادة الإنسان بعمله الدنيا أعظم من الرِّياء ؛ لغلبة إرادة الدنيا على كثير من

الأعمال ، وأما الرِّياء فقد يعرض له في عمل دون عمل ، ولا يسترسل معه .^(٤)

(١) ينظر تاج العروس [٤/٤٦٦] .

(٢) ينظر المفردات في غريب القرآن [١/٢٧٣] .

(٣) ينظر النكت والعيون [٦/١٥٥] .

(٤) ينظر : تيسير العزيز الحميد [ص/٥٣٤] ، وفتح المجيد [ص/٤٣٧] ، والتمهيد شرح كتاب التوحيد [ص/٤٠٤] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يصاد الإخلاص

فهما يجتمعان في العمل لغير وجه الله ، وفي كلٍ منهما شرك خفي ، لكن يفترقان في أن الرِّياء يراد به الجاه والشهرة ، وأمّا طلب الدنيا فيراد به الطمع والعرض العاجل ، قالوا : والذي يعمل لأجل الدنيا أعقل من المرأئي ، وكلاهما خاسر عند الله . (١)

قال ابن القيم الجوزية : وأمّا الشرك في الإيرادات والنيّات ، فذلك البحر الذي لا ساحل له ، وقل من ينجو منه ، فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه ، فقد أشرك في نيته وإرادته . (٢)

وقد عقد الشيخ محمّد بن عبد الوهاب باباً في كتاب التوحيد ترجم له بقوله : (باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدُّنيا) . (٣)

فجعل من الشرك الأصغر ؛ لأنّه أشرك مع الله غيره في النيّة والقصد ، فهو شرك ينافي كمال التوحيد الواجب ، ويحبط الأعمال .

ومن الآيات الواردة في هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [١٥-١٦] هود .

إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [هود: ١٥-١٦] .

عن ابن عبّاس قوله : " « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا » ، أي : من عمل صالحاً التماس الدنيا : صوماً أو صلاةً أو تمجداً بالليل ، لا يعمله إلا لالتماس الدنيا ، أوفيه الذي

(١) ينظر إعانة المستفيد [٩٩/٢] .

(٢) الجواب الكافي [ص/١٨٢] .

(٣) ينظر فتح المجيد [ص/٤٣٧] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

التمس في الدنيا من المثابة ، وحبط عمله الذي كان يعمل التماس الدنيا ، وهو في الآخرة من الخاسرين " . (١)

فهذه الآية عامة في كل من أراد بعمله الدنيا ، أنّ الله يعطيه ما أراد ، وليس له في الآخرة نصيب ، ثم خصصت بآية الإسراء وهي قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨] .
فصار تعجيل ثوابه في الدنيا أو عدمه لمن أراد الله التعجيل له بالقدر الذي يشاء ، وكلا الآيتين يشبه بعضها بعضاً ، ويُصدّق بعضها بعضاً ، وتجتمع على معنى واحد ، وهو أنّ مَنْ كانت الدنيا مراده ولها يعمل وهي غاية سعيه لم يكن له في الآخرة نصيب ، ومَنْ كانت الآخرة مراده ولها عمل ، وهي غاية سعيه فهي له .

وقد أشكلت هذه الآية على كثير من الناس حيث فهموا منها أنّ مَنْ كانت له إرادة في الدنيا فله هذا الوعيد .

ومعنى الآية : مَنْ كان يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها ، وهذا لا يكون مؤمناً فإنّ العاصي والفاسق ، ولو بالغا في المعصية والفسق فإيمانهما يحملهما على أن يعمل أعمال البرّ لله فيريدان بها وجه الله وإنّ عملاً بمعصية .

والآية بحمد الله لا إشكال فيها ، والله سبحانه ذكر جزاء من يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها وهو النار ، وأخبر بحبوط عمله وبطلانه ، فإذا أحبط ما ينجو به وبطل ، لم يبق معه ما ينجيه .

فإنّ كان معه إيمان لم يرد به الحياة الدنيا وزينتها ، بل أراد به الله والدار الآخرة ، لم يدخل هذا الإيمان في العمل الذي حبط وبطل .

(١) ينظر جامع البيان [١٤/١٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

فالإيمان إيمانان : إيمان يمنع من دخول النار ، وهو الباعث أن تكون الأعمال لله وحده
يبتغى بها وجهه وثوابه .

وإيمان يمنع من الخلود في النار ، فإن كان مع مريد الدنيا شيء منه ، وإلا كان من أهل
الخلود ، فالآية لها حكم نظائرها من آيات الوعيد .^(١)

وبهذا يزول الإشكال ، ويتبين خطورة إرادة الإنسان بعمله الدنيا على حبوط عمله
وحصول إثمه .

وهذه الآية وما جاء في معناها وإن نزلت في الكفار ، فإنها تدل على التحذير من التشبه
بهم ، والترهيب من إرادة الدنيا بعمل الآخرة ، والعبرة بعموم اللفظ ، كما تدل على أن المؤمن
إن أراد بعمل من الأعمال الصالحة الدنيا فله نصيب من هذه الآية بقدر نيته وإرادته ، فقد
تجتمع إرادة وجه الله مع إرادة الدنيا ، والعبرة بما غلب منهما ، والله المستعان ولا حول ولا قوة
إلا بالله .

ولهذا ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنواعاً من إرادة الإنسان بعمله الدنيا مما يفعله
الناس اليوم ، ولا يعرفون معناه أجملها فيما يأتي :

النوع الأول : أن يعمل عملاً صالحاً مما يُبتغى به وجه الله من صدقة وصلاة وإحسان ،
وترك ظلم ، ونحو ذلك يريد به ثواب الدنيا من حفظ ماله وتنميته ، أو حفظ أهله وعياله ،
ولا همّة له في طلب الجنة ، والهرب من النار ، فهذا يعطي ثواب عمله في الدنيا ، وليس له في
الآخرة من نصيب .

ولو قيل : قد يعطي ثواب عمله في الدنيا ، لكان أليق بمعنى الآيتين كما سبق بيانه .

(١) ينظر عِدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم [ص/٢٥٤-٢٥٥] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

النوع الثاني : وهو أكبر من الأول وأخوف ، وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ، ونيتته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة ، فليس له في الآخرة نصيب .

النوع الثالث : أن يعمل أعمالاً صالحة يُقصد بها مالا ، مثل أن يحجَّ ليأخذ مالا ، أو يهاجر لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، أو يجاهد لأجل المغنم ، أو حفظ القرآن ليؤم الناس ويأخذ الرزق ، أو تعلّم علماً شرعياً لأجل الوظيفة ونحوها ، وهو كسابقه ؛ لأنه قصد بذلك غير الله .

النوع الرابع : أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له ، لكنه على ناقض من نواقض الإسلام ، كالشرك بالله ،^(١) كمن يصلي ويتصدق ابتغاء وجه الله ؛ لكنه يدعو غير الله أو يصرف نوعاً من أنواع العبادات لغير الله ، فهذا قد يعطى بحسنات ما عمل لله في الدنيا ، وليس له في الآخرة من نصيب ؛ لأنَّ الله لا يقبل من مشرك صرفاً ولا عدلاً كما قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ^(١٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ^(١٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَخَبَطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿ [الكهف: ١٠٣-١٠٥] ،

وكقوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾

[الفرقان: ٢٣] .

(١) ينظر : تيسير العزيز الحميد [ص/٥٣٦-٥٣٧] ، وفتح المجيد [ص/٤٣٩-٤٤٠] ، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد

[٢/٤٠٦-٤٠٨] ، بتصرف واختصار .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل الخامس : النهي عما يصاد الإخلاص

أما إن عمل صالحاً ابتغاء وجه الله ، مستحضراً الثواب الدنيوي ، فإن عمله صحيح ولا يضره استحضار حظ الدنيا ، لأنَّ الشارع الحكيم إنما ذكر ثواب الدنيا للحضُّ على هذا العمل، كما قال ﷺ : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ » .^(١)

" فلو كان طلب الجزاء المعجل الموعود به شرعاً قادحاً في الإخلاص أو في ثواب العمل لما دلنا عليه الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ " .^(٢)

وبالجملة فقصد الدنيا بالأعمال الصالحة باب واسع متشعب يوجب الحذر منه بإخلاص العمل لله وحده لا شريك له ، فقد روى ابن ماجة وغيره من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » .^(٣)

فنية الدنيا وزينتها لا تغني عن صاحبها شيئاً ، وإنما تكون وبالاً عليه في الدنيا والآخرة بتفريق أمره ، وضياع أجره ، وزيادة طمعه في الدنيا وتعلقه بها .

بل قد ورد الوعيد النبوي على العمل لغير الله عموماً ، فقد خرَّج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرَّفْعَةِ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الخمس باب من لم يخمس الأسلاب ومن قتل قتيلاً برقم (٣١٤٢) ، ومسلم في كتاب

الجهاد والسير برقم (٤٦٦٧) ، وأبو داود في كتاب الجهاد برقم (٢٧١٩) ، والترمذي في كتاب السير برقم (١٥٦٢) .

(٢) ينظر الموافقات [١٦٠/٢-١٦١] ، وللاستزادة ينظر الفروق للقراي [٢٢/٢] .

(٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد برقم (٤١٠٥) ، وابن حبان في صحيحه برقم (٦٨٠) ، والطيالسي في مسنده برقم

(٦١٧) ، وغيرهم من حديث زيد بن ثابت ، وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح الجامع (٦٥١٠) .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص

والدين ، والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة من نصيب . (١) .

وتصديق هذا في كتاب الله قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۗ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ [الشورى : ٢٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

أي : مَنْ كَانَ عمله للدنيا فقط نال منها ما قَدَّرَهُ اللهُ له ، ولم يكن له في الآخرة نصيب ، وَمَنْ قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه اللهُ منها مع قسم الله له في الدنيا . وبهذا العرض يظهر جلياً خطر إرادة الإنسان بعمله الدنيا ، وأثره في حبوط العمل وذهاب الأجر ، وضرورة مجاهدة الإنسان نفسه على الإخلاص لله تعالى ، كما يتبين عناية القرآن بالتوجيه نحو الإخلاص ، والتحذير مما يضاده من المبطلات والنواقض . والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .



(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢١٢٢٢) ، والحاكم في مستدرکه برقم (٧٨٩٥) ، والبيهقي في الشعب برقم (٦٤١٦) ، وابن أبي عاصم في الزهد (١٦٨) من حديث أبي بن كعب ، وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح الجامع برقم (٢٨٢٥) .

الفصل السادس

مجالات الإخلاص في القرآن

وفيه ستة عشر مبحثاً :

- المبحث الأول : الإخلاص في توحيد العبادة .
- المبحث الثاني : الإخلاص في العبادة ، وفيه مطلبان :
المطلب الأول : العبادات القلبية .
المطلب الثاني : العبادات العملية .
- المبحث الثالث : الإخلاص في الدعوة .
- المبحث الرابع : الإخلاص في الاستجابة .
- المبحث الخامس : الإخلاص في الخشوع .
- المبحث السادس : الإخلاص في الصبر .
- المبحث السابع : الإخلاص في الإنفاق .
- المبحث الثامن : الإخلاص في الصلّاة والنّحر .
- المبحث التاسع : الإخلاص في الحجّ والعمرة .
- المبحث العاشر : الإخلاص في الدُّعاء .
- المبحث الحادي عشر : الإخلاص في الإطعام .
- المبحث الثاني عشر : الإخلاص في الوسيلة .
- المبحث الثالث عشر : الإخلاص في الجهاد .
- المبحث الرابع عشر : الإخلاص في الصّدقة ، وبذل المعروف ، والإصلاح بين النّاس .
- المبحث الخامس عشر : الإخلاص في تلاوة القرآن .
- المبحث السادس عشر : الإخلاص في الحياة كلها .

المبحث الأول

الإخلاص في توحيد العبادة

التوحيد : مصدر ، يقال : وَحَّدَ يوَحِّدُ توحيداً ، أي جعله واحداً ، فهي تدور حول الوحدة والانفراد . (١)

وفي الشرع : إفراد الله تعالى بالعبادة . (٢)

والعبادة في اللغة : هي الطَّاعة مع الخضوع ، ومنه طريق مُعَبَّد ، إذا كان مذلاً بكثرة الوطاء . وأصل العبودية الخضوع والتذلل . (٣)

وأجمع تعريف في الاصطلاح للعبادة تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية بأنها : " اسم جامع لكل ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة " . (٤)

وإنما كان أجمع التعاريف لأنه شمل أنواع المتعبد به من قول أو فعلٍ ظاهرٍ كقول (لا إله إلا الله) ، والصَّلَاة ، أو باطن كالخوف والخشية ونحوهما ، وهذا باعتبارها اسماً للمتعبد به فهي تشمل الدين كله .

أمَّا تعريفه باعتباره مُركَّباً إضافياً باسم (توحيد العبادة) فهو : إفراد الله تعالى بأفعال العباد ، وهو ما يُعبَّر عنه بعضهم بتوحيد الطلب والقصد . (٥)

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة [ص/١٠٤٥] .

(٢) ينظر كشف الشبهات [ص/١١٤] ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ .

(٣) ينظر لسان العرب [٢٧٣/٣] ، بتصرف .

(٤) ينظر : العبودية [ص/٣٨] ، ومجموع الفتاوى [١٠/١٤٩] .

(٥) ينظر مدارج السالكين [٣/٥١٠] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

وتقسيم التوحيد إلى الأقسام المعروفة المشهورة عند أهل العلم تقسيم استقرائي لدى متقدمي علماء السلف ، أشار إليه ابن جرير وغيره ، وهو استقراء تام لنصوص الشرع .^(١)
فهو من الحقائق الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة ، وليس أمراً اصطلاحياً .^(٢)
وقد ورد في القرآن آيات كثيرة تأمر بالإخلاص لله تعالى في هذا التوحيد العظيم عموماً ،
وإلا فإن كل أنواع العبادات راجعة إلى هذا التوحيد كما هو واضح من تعريف العبادة بمعناها
الشامل .

فمن الآيات في هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٢١] .

فهذا أول نداء في القرآن ، وأول أمر فيه ، يخاطب سبحانه جميع الناس أمراً لهم
بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له دون ما سواه .

فهذا المجال الأصل والأساس الذي تنبني عليه جميع العبادات بأنواعها المختلفة المتعددة .

قال ابن عباس : " أي : وحدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم " .^(٣)

وقد أخرج الإمام أحمد حديثاً طويلاً في معنى هذه الآية عن الحارث الأشعري رضي الله عنه ،
أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ : أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ ، وَأَنْ
يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ، فَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى : إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ
بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ، أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ ، وَأَنْ تَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ، فِيمَا أَنْ

(١) ينظر : التحذيرات من مختصرات الصابوني [ص/١] في التفسير للشيخ بكر أبو زيد [ص/٣٠] ، بتصرف .

(٢) ينظر للاستزادة أضواء البيان [٣/٤١٠-٤١٤] .

(٣) ينظر جامع البيان [١/١٦٠] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

تُبَلِّغُهُنَّ ، وَإِمَّا أُبْلِغُهنَّ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي ، إِنِّي أَخْشَىٰ إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ ، أَوْ يُخَسِّفَ بِي ، قَالَ : فَجَمَعَ يَحْيَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، حَتَّىٰ امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ ، وَقَعَدَ عَلَى الشَّرْفِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ، أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَمُرَّكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ : أَوَّلُهُنَّ : أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ اشْتَرَىٰ عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقٍ ، أَوْ ذَهَبٍ ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ إِلَىٰ غَيْرِ سَيِّدِهِ ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ ، أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ ، وَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ ، فَاعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، ... » . (١)

فهذا الحديث الشريف في غاية المطابقة للآية ، والمثل المضروب فيه يصور عظم الإخلاص لله تعالى في توحيد القصد والطلب ، وأنه الموافق للعقل السليم والفتوة المستقيمة . فهو أمر عام لجميع النَّاسِ ، بأمر عام ، وهو العبادة الجامعة لامثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، وقصده بذلك كله وحده لا شريك له .

ومن الآيات الدالة على هذا المجال العظيم الذي دلَّت عليه أكثر آيات القرآن ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٢١] .

فإنَّ هذه الآية وردت في شأن أهل الكتاب الذين صرفوا هذا التوحيد - الذي هو محض حق الله تعالى - إلى غيره من الأحرار والرهبان ، فردَّ الله عليه بمحصر الأمر بإخلاص العبادة له سبحانه ، وصرف هذا النوع من التوحيد لله وحده لا شريك له .

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٧١٧٠-١٧٨٠٠) . كما أخرجه الترمذي في كتاب الأمثال من سننه ، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة برقم (٢٨٦٣) . وعبد الرزاق في مصنفه برقم (٢٠٧٠٩) ، وابن خزيمة في صحيحه برقم (٤٨٣-٩٣٠) ، وابن حبان في صحيحه برقم (٦٢٣٣) ، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع برقم (١٧٢٤) .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

ولهذا سمى تعالى اتخاذهم الأحرار والرهبان أرباباً شركاً نزه نفسه عنه ، فقال : « سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ » ؛ لأنَّ أمر التحليل والتحریم ، والأمر والنهي لله سبحانه كما قال عز وجل : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

ولذا قال عدی بن حاتم لرسول الله ﷺ : إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ ، فقال : « أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ ؟ » قال : قلت بلى ، قال : « فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ » . (١)

فهذا توحيد الإلهية المبني على إخلاص التأله لله تعالى ، من المحبة والخوف ، والرجاء والتوكل ، والرغبة والرغبة ، والدعاء لله وحده .

وينبني على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له ، لا يجعل فيها شيئاً لغيره ، لا لملك مقرب ، ولا لنبي مرسل ، فضلاً عن غيرهما . وهذا التوحيد هو الذي تضمنه قوله تعالى : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » ، فهو أول الدين وآخره ، وباطنه وظاهره ، وهو أول دعوة الرسل وآخرها ، وهو معنى قول : (لا إله إلا الله) . (٢)

ومن الآيات الدالة على هذا المجال قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ... ﴾ [البينة : ٤] .

فقوله : « مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » ، أي : مخلصين له العبادة .

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٠٩٥) ، والبيهقي في سننه الكبرى برقم (٢٠٨٤٧) ، والطبراني في معجمه الكبير برقم (١٣٦٧٣) ، وغيرهم من حديث عدی بن حاتم ، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٢٩٣) .
(٢) ينظر تيسير العزيز الحميد [ص/٢٢] بتصرف .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

" يقول تعالى ذكره : وما أمر الله هؤلاء اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب إلا أن يعبدوا الله مُخلصين له الدين ؛ يقول : مُفردين له الطاعة ، لا يخلطون طاعتهم لرَبِّهم بشرك ، فأشركت اليهود برَّبِّها بقولهم : إِنَّ عَزِيزاً ابن الله ، والنصارى بقولهم في المسيح مثل ذلك " . (١)

قال ابن عَبَّاس : " ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بالإخلاص في العبادة لله موحدين " . (٢)

وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره وهو أول دعوة الرسل وآخرها وهو معنى قول (لا إله إلا الله) وهو أول واجب وآخر واجب ، وأول ما يدخل به الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا .

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح وأبدأ فيه وأعاد ؛ لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده .

وهذا التوحيد هو حقيقة دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه . (٣)

ودعوة الرسل جميعاً إلى تحقيق الإخلاص في توحيد العبادة كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ

بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّغُوتَ ... ﴾ [النحل: ٣٦] .

يقول تعالى ذكره : « ولقد بعثنا » أيها الناس « في كلِّ أمة » سلفت قبلكم « رسولاً »

كما بعثنا فيكم بـ « أن اعبدوا الله » وحده لا شريك له ، وأفردوا له الطاعة ، وأخلصوا له العبادة . (٤)

(١) جامع البيان [٢٦٣/٣٠] .

(٢) ينظر معالم التنزيل [٤٩٦/٨] .

(٣) ينظر تيسير العزيز الحميد [ص/٣٧-٣٩] ، بتصرف واختصار .

(٤) ينظر جامع البيان [٢٠١/١٧] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

والطاغوت : " جنس ما يُعبد من دون الله " . (١)

ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ

أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

فكل الرُّسل الذين من قبلك مع كتبهم ، زبدة رسالتهم وأصلها ، الأمر بعبادة الله وحده

لا شريك له ، وبيان أنه الإله الحق المعبود ، وأنَّ عبادة ما سواه باطلة . (٢)

فقد أرسل سبحانه الرسل وأنزل الكتب بالإخلاص والتوحيد له جلَّ شأنه .

وهذا مطرد في أي القرآن الكريم ، وفي سنة سيد المرسلين ، وقد حصل بسبب التوحيد

النزاع بين الرُّسل وأمهم ، وقاتل ﷺ المشركين من أجل تحقيق الإخلاص لله تعالى في هذا

التوحيد العظيم ، بل قال ﷺ : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ،

وأنَّ محمداً رسول الله ، ويسيروا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني

دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله » . (٣)



(١) ينظر التحرير والتنوير [١٤/١٥٠] .

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٢٥١] .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب (فإن تابوا ...) برقم (٢٧) ، ومسلم في كتاب الإيمان برقم (١٣٨) ، من

حديث عبد الله بن عمر به . وأخرجه أبو داود في كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة برقم (١٥٥٨) ، والنسائي في كتاب

الزكاة باب مانع الزكاة برقم (٢٤٤٣) ، والترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : (لا

إله إلا الله) برقم (٢٦٠٦) ، وابن ماجه في كتاب السنة باب في الإيمان برقم (٧١) ، من حديث أبي هريرة به .

المبحث الثاني

الإخلاص في العبادة

المطلب الأول

العبادات القلبية

الإخلاص في العبادات فرع عن الإخلاص في توحيد العبادة ، فهو من عطف الخاص على العام ؛ وذلك لأهميته ، وتنوع العبادات وكثرتها .

والمقصود من هذا المبحث الإشارة إلى تنوع العبادات إلى عبادات قولية وفعليّة ، وظاهرة وباطنة ، وذكر الآيات الدالة على هذه الأنواع .

وليس المراد الاستقصاء للآيات فإنّ هذا يطول ، وإنما حسبي أنّ أشير إلى بعض المواضع على سبيل التمثيل والاستدلال لبعض أنواع العبادات لا على سبيل الحصر والاستيعاب .
فالعبادات القلبية هي التي عبّر عنها شيخ الإسلام ابن تيمية بالعبادات الباطنة ، ذلك أن الإيمان له ظاهر وباطن وهما متلازمان .

قال ابن القيم : " الإيمان له ظاهر وباطن ، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح ، وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته . فلا ينفع ظاهر لا باطن له ، وإن حُقن به الدماء وعُصم به المال والذرية ، ولا يُجرى باطن لا ظاهر له " .^(١)

(١) الفوائد [ص/٩٨] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

وقال ابن رجب : " فأفضل النَّاس من سلك طريق النَّبي ﷺ وخواص أصحابه في الاقتصاد في العبادات البدنية ، والاجتهاد في الأحوال القلبية ، فإنَّ سفر الآخرة يُقطع بسير القلوب لا بسير الأبدان " هـ^(١)

ذلك أنَّ القلب منطلق الجوارح والباعث لها عما يوجب العناية بصلاحه وصحة مقصده، فإنَّ الله تعالى يقول : « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » [الشعراء: ٨٨-٨٩] ، وكان مما يُروى من دعائه ﷺ : « وَأَسْأَلُكَ قَلْباً سَلِيماً » .^(٢)

والقلب السليم هو القلب السالم من أمراض الشبهات والشهوات . وقد عرّفه ابن القيم بقوله : " وقد اختلفت عبارات النَّاس في معنى القلب السليم والأمر الجامع لذلك : أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ، ومن كل شبهة تعارض خبره ؛ فسلم من عبودية ما سواه ، قد خلصت عبوديته لله تعالى : إرادة ، ومحبة ، وتوكلاً ، وإنابة، وإحباتاً ، وخشية ، ورجاء " هـ^(٣)

ولا ريب أنَّ العبادات القلبية مجال واسع للإخلاص لله تعالى ، وابتغاء وجهه ، فلا يخشى العبد إلا ربّه ، ولا يتوكّل إلا عليه ، ولا يرجو سواه ، وهكذا في جميع أعمال القلوب . والنّاظر في أحوال كثير من المسلمين يرى غفلة عن هذه العبادات القلبية الباطنة ، التي لا يطلع عليها إلا الله سبحانه ، مع وجوبها وتأكّدها وعناية القرآن والسُّنة بها .

(١) المحجة في سير الدلجة [ص/٥٦] .

(٢) أخرجه النسائي برقم (١٣٠٤) ، وأحمد في مسنده برقم (١٧١١٤) وابن حبان في صحيحه برقم (١٩٧٤) ، والحاكم في مستدرکه برقم (١٨٧٢) ، وغيرهم من حديث شداد بن أوس ، وقد ضعفه الشيخ الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي [٤٤٨/٣] .

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان [٤١/١] ، بتصرف .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

فلا صلاح للقلوب حتى تستقرَّ فيها معرفةُ الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكلُ عليه ، وتمتلي من ذلك ، وهذا هو حقيقة التوحيد ، وهو معنى (لا إله إلا الله) .^(١)

وسلامة القلب تكون بخلوه من التعلق بغير الله حباً أو رجاءً أو توكلاً أو خوفاً أو خشية .

وقد قال ابن القيم : " فوظيفة « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » على القلب قبل الجوارح ، فإذا جهلها وترك القيام بها ، امتلاً بأضدادها ولا بد ، وبحسب قيامه بها يتخلص من أضدادها " .^(٢)

ولهذا ورد ذكر القلب في القرآن في مائة وثلاثين موضعاً تأكيداً على أهميته وأثره في صلاح الأعمال أو فسادها ، وحاجته للعناية به وتقويته .

وأنه يجب على الإنسان أن يطهر قلبه تطهيراً كاملاً من كل زغل وخبث ، وأن يعتني بطهارة قلبه أكثر مما يعتني من طهارة بدنه ؛ لأن طهارة القلب عليها المدار ، وبها تكون طهارة الأعمال الظاهرة .^(٣)

والحديث عن القلب وعمله ، وارتباط الظاهر بالباطن يطول ، وقد دل القرآن الكريم على هذه العبادات أعظم دلالة وأتم بيان ؛ ذلك أنهما الأصل والأساس ، والباعث على قول اللسان وعمل الجوارح ، إذ الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح .

فالعبادات القلبية الباطنة جزء لا يتجزأ من الإيمان الواجب المتضمن التصديق والإقرار ، فمن المواضع الدالة على هذه العبادات قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ... ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

(١) ينظر جامع العلوم والحكم [٢١١/١] .

(٢) مدارج السالكين [٨٨/١] .

(٣) ينظر أحكام القرآن الكريم لابن عثيمين [ص/٩٨-٩٩] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

فهذه الآية الكريمة دلّت على ارتباط الظاهر بالباطن وتلازمهما ، فقد ذكر الله تعالى في مقدمات أعمال البرّ أصول الإيمان وأركانه ؛ لأنّها الأصل والأساس ، والباعث على عمل الجوارح .

ودخول أعمال القلب في الإيمان أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها. (١)

إذ الدين القائم بالقلب من الإيمان علماً وحالاً هو الأصل ، والأعمال الظاهرة هي الفروع، وهي كمال الإيمان ، فالدين أول ما يبني من أصوله ويكمل بفروعه . (٢)

ولهذا ختم الله الآية الكريمة المشتملة على أعمال القلوب وأعمال الجوارح بقوله تعالى : « أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » ، ليبيّن أن الجامع لهذه الأعمال الصالحة والخصال الجليلة الإخلاص له جلّ وعلا .

قال ابن كثير : " أي هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدّقوا في إيمانهم ؛ لأنّهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال " .هـ (٣)

وهذه الآية عظيمة جليلة القدر ، من أعظم آي القرآن وأجمعه لأمر الدين . (٤)

حيث اشتملت على مجالات كثيرة من مجالات الإخلاص ، وأعمال متنوعة منشؤها الإيمان الصادق واليقين الجازم ، وجامعها الإخلاص والصدق والتقوى .

(١) ينظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية [٥٠٦/٧] .

(٢) ينظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية [٣٥٥/١٠] .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [١٦١/٢] .

(٤) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية [٤١١/١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

قال الماوردي : " فيها وجهان : أحدهما : طابقت نيّاتهم لأعمالهم . والثاني : صدقت أقوالهم لأفعالهم " .هـ^(١)

ولقائل أن يقول : إنّ أعمال القلوب لا يدخلها رياء ؛ لأنّها لا يطلع عليها إلا الله تعالى فكيف تقارن بالأعمال الظاهرة في دخول الإخلاص عليها وعدمه ؟ !
وهذا الإيراد مقبول من وجه دون وجه ، فإنّ أعمال القلوب وطاعتها مصنونة من الرّياء ؛ إذ لا رياء إلا بأعمال ظاهرة تُرى أو تُسمع .

ولكنّ المراد من دخول الإخلاص في الأعمال القلبية الباطنة من جهة صرفها لله وحده لا شريك له ، فلا يتعلّق قلب العبد بغير الله خوفاً أو رجاءً أو محبةً أو توكلاً أو خشيةً ، وسائر أعمال القلوب .

ولهذا جاء التنصيص والتأكيد على قصد الله تعالى وإرادة وجهه بالعبادات القلبية في القرآن والنهي عن صرفها لغيره ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ... ﴾ [البقرة: ١٥٠] .

وقوله : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي ... ﴾ [المائدة: ٤٤] .

وقوله في الخوف : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] ، وغيرها من الآيات .

وقد ذكر الشيخ محمّد بن عبد الوهاب جملة من الأعمال القلبية في رسالته القيّمة (ثلاثة الأصول) فقال : " وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ،

(١) النكت والعيون [٢٢٨/١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

ومنه : الدُّعاء ، والخوف ، والرَّجاء ، والتوكُّل ، والرَّغبة ، والرَّهبة ، والخشوع ، والخشيَّة ، والإنابة ، والاستعانة ، والاستعاذة ، والاستغاثة ، والدَّبْح ، والنَّذر " هـ^(١)

ثم دَلَّل لكل نوع منها من القرآن .

وقد جعل - رحمه الله - أعمال القلوب التي ذكرها من الإحسان الذي هو أعلى مراتب الدين، وهو لبُّ الإيمان وروحه وكماله ،^(٢) وقد فسَّره النَّبي ﷺ بقوله : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » .^(٣)

وفيه إشارة إلى أَنَّ الإحسان هو : كمال الحضور مع الله عزَّ وجلَّ ومراقبته الجامعة لخشيته ومحبته ومعرفته ، والإنابة إليه ، والإخلاص له ولجميع مقامات الإيمان .^(٤)

فاشتمل الإحسان على مقامين عظيمين : مقام المشاهدة ومقام المراقبة .
ومقام المراقبة هو مقام الإخلاص ، فإنَّ من عبد الله كأنَّه يراه لم ينصرف قلبه إلى غير الله تعالى ، ولم يتعلَّق بأحد سواه .

قال ابن رجب : " مقام الإخلاص ، وهو أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ عَلَى اسْتِحْضَارِ مُشَاهَدَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ ، واطِّلَاعِهِ عَلَيْهِ ، وَتُقْرِبِهِ مِنْهُ ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَ الْعَبْدُ هَذَا فِي عَمَلِهِ ، وَعَمَلَ عَلَيْهِ ، فَهُوَ مُخْلِصٌ لِلَّهِ ؛ لِأَنَّ اسْتِحْضَارَهُ ذَلِكَ فِي عَمَلِهِ يَمْنَعُهُ مِنَ الِاتِّفَاتِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ بِالْعَمَلِ " هـ^(٥)

(١) مجموع مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب [١٣٦/٦] .

(٢) ينظر مدارج السالكين [٣٤٣/٢] .

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة برقم (٤٧٧٧-٥٠) ، ومسلم من حديث ابن عمر برقم (١٠٢) .

(٤) ينظر : مدارج السالكين [٣٤٣/٢] ، وجامع العلوم والحكم [٢٦/١] .

(٥) جامع العلوم والحكم [١٢٩/١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

ولهذا فإن مدار العبودية لله تعالى على ثلاثة أمور : المحبة ، والخوف ، والرّجاء ، وهي أعمال قلبية ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ... ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

وقال : ﴿ تَحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ ... ﴾ [المائدة: ٥٤] . وقال في الرّجاء : ﴿ لِمَن كَانَ يَرْجُوا

اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ... ﴾ [الأحزاب: ٢١] . وقال : ﴿ تَحَذِرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ .. ﴾

[الزمر: ٩] . وقال أيضاً : ﴿ وَأَرْجُوا الَّيَوْمَ الآخِرَ ... ﴾ [العنكبوت: ٣٦] .

وفي الخوف قال : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] .

والمقصود من هذه العبادات التي لا تصلح إلا لله تعالى أن تستلزم الدّل والخضوع

والتعظيم فيحب الله تعالى محبة تعبد وذل وخضوع ، ويخافه خوف تعظيم وإجلال .

وهذا الخوف لا يكون العبد مسلماً إلا بإخلاصه لله تعالى وإفراده بذلك دون من سواه .

فهو من أفضل مقامات الدين وأجلها ، فلذلك قال المصنف بوجوب إخلاصه بالله تعالى .^(١)

فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان ، وكلما ضعف إيمان العبد

قوي خوفه منهم ، فدلّ على أنّ الخوف عبادة عظيمة ، يجب أن تُخلص لله عزّ وجلّ .^(٢)

فأمر تعالى بإخلاص هذا الخوف له ، وأخبر أنّ ذلك شرط في الإيمان ، فمن لم يأت به

لم يأت بالإيمان الواجب ، ففيه أنّ إخلاص الخوف لله من الفرائض .^(٣)

فتبيّن بهذا دخول الإخلاص في الأعمال القلبية ، وتوقف صحة الإيمان والتوحيد على

صرفها له وحده دون من سواه .

(١) ينظر تيسير العزيز الحميد [ص/٣٦١-٣٦٢] .

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد [٧١/٢] .

(٣) ينظر تيسير العزيز الحميد [ص/٣٦٣] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

فقد نعت جلَّ وعلا أنبياءه ورسله بخشيته سبحانه والخوف منه فقال : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا تَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٢٩] ، يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة . (١)

وهكذا القول في محبة الله ، فإنَّ الله يقول : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ... ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

وفي تقدير الآية قولان : أحدهما : والذين آمنوا أشدَّ حبًّا لله من محبة المشركين بالأنداد لله، فإنَّ محبة المؤمنين خالصة ، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت بقسط منها ، والمحبة الخالصة أشدَّ من المشتركة .

والثاني : والذين آمنوا أشدَّ حبًّا لله من حبِّ أصحاب الأنداد لأناداهم التي يجونها من دون الله ، والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى : « يُجِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ » .
وقد رجَّح شيخ الإسلام ابن تيمية القول الأول ؛ لدلالة سياق الآية على ذمِّ التشريك في المحبة وعدم إخلاصها لله . (٢)

كما رجَّحه الشيخ سليمان بن عبد الله ، ثم قال : " وفي الآية دليل على أنَّ الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً ، وأنَّ الشرك مُحِبِّطٌ للأعمال " . (٣)

فتبيِّن بهذا أنَّ الله هو المستحق للمحبة الكاملة ، والدُّلُّ التام ، فلهذا مدح الله المؤمنين بقوله : « وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ » لأهمَّ أخلصوا محبتهم له . (٤)

(١) ينظر المحرر الوجيز [١٨/٣] .

(٢) ينظر للاستزادة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية [٣٩٤/١-٣٩٥] .

(٣) ينظر تيسير العزيز الحميد [ص/٣٤٩] .

(٤) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٧٦] ، بتصرف يسير .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

ولذا أمر النبي ﷺ بمحبة الله تعالى محبة عبادة وتعظيم وإجلال ، وجعلها من علامات الإيمان التي يجد بها المؤمن طعم الإيمان ولذته ، فقال ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ... الحديث » .^(١)

فحلاوة الإيمان المتضمنة اللذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله تعالى .

وقد أفرد الشيخ محمد بن عبد الوهاب أبواباً مستقلة في كتاب التوحيد لهذه الأعمال القلبية بدأها بالمحبة : " (باب قول الله تعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ») ، ثم أعقبه بباب الخوف : (باب قول الله تعالى : « إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ») ، ثم باب التوكل : (باب قول الله تعالى : « وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ») .^(٢)

وهذا شروع من الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في ذكر العبادات القلبية ، وما يجب أن تكون عليه تلك العبادات من الإخلاص لله - جلَّ وعلا - .^(٣)

وبهذا التأمل للآيات الواردة في بعض العبادات القلبية يظهر وجوب الإخلاص في هذه العبادات لله تعالى ، وعدم صرفها لغير الله تعالى .



(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٦-٢١-٦٩٤١) ، ومسلم صحيحه برقم (٧٤-٧٥) ، والترمذي في سننه برقم (٢٦٢٤) ، والنسائي في المجتبى برقم (٤٩٨٧-٤٩٨٨-٤٩٨٩) وابن ماجه في سننه برقم (٤٠٣٣) ، وأحمد في مسنده برقم (٢١٠٠٢) ، وغيرهم من حديث أنس بن مالك به .

(٢) ينظر كتاب التوحيد من مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب [٦٦-٦٣/٦] .

(٣) ينظر التمهيد شرح كتاب التوحيد [ص/٣٦٠] .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

المطلب الثاني

﴿ العبادات العملية ﴾

إنَّ المراد بالعبادات العمليَّة أي : العبادات الظاهرة التي يراها النَّاس ويطلعون عليها ، وهي التي أشار إليها شيخ الإسلام ابن تيميَّة بالتمثيل عند تعريف العبادة بقوله : العبادة اسم جامع لكل ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال ، الباطنة والظاهرة . فالصَّلاة ، والزَّكاة ، والصَّيام ، والحجَّ ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ... إلى أن قال : وأمثال ذلك من العبادة .

فهذه الأعمال الظاهرة تفتقر في قبولها إلى الإخلاص لله تعالى ، فلا تُسمَّى عبادة إلاَّ مع الإخلاص ، فهي مجال كبير لدخول الإخلاص فيها . وقد أكَّد القرآن الكريم على الإخلاص في الأعمال الظاهرة تأكيداً بالغاً ، واعتنى بها عناية كبيرة ؛ ذلك أنَّ الرِّياء إمَّا يقع في هذه الأعمال الظاهرة ، وأمَّا أعمال القلوب فمصونة من الرِّياء .^(١)

ولا شكَّ أنَّ بين الظاهر والباطن ارتباطاً قوياً .

قال ابن القيم : " والله تعالى أمر عباده أن يقوموا بشرائع الإسلام على ظواهرهم ، وحقائق الإيمان على بواطنهم ، ولا يقبل واحداً منهما إلا بصاحبه وقرينه . وفي المسند مرفوعاً : « الإسلام علانية ، والإيمان في القلب » .^(٢)

(١) ينظر للاستزادة قواعد الأحكام [١٠٠/١] .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٢٣٨١) ، وابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣٠٣١٩) ، وأبو يعلى في مسنده برقم

(٢٩٢٣) ، من حديث أنس بن مالك ، وقد ضعفه الشيخ الألباني كما في ضعيف الجامع [ص/٣٣٦] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

فكل إسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه إلى حقيقة الإيمان الباطنة ؛ فليس بنافع حتى يكون معه شيء من الإيمان الباطن ، وكل حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة لا تنفع ولو كانت ما كانت ، فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف ولم يتعبد بالأمر وظاهر الشرع ؛ لم ينجّه ذلك من النَّار ، كما أنّه لو قام بظواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقة الإيمان؛ لم ينجّه من النَّار " .هـ^(١)

فظهر بهذا الكلام الرصين الارتباط الوثيق بين الظاهر والباطن ، ووجوب الإخلاص لله تعالى فيها .

فالمأمور نوعان : نوع هو عمل ظاهر على الجوارح ، وهذا لا يكون إلا بعلم القلب وإرادته ، فالقلب هو الأصل فيه ، كالوضوء ، والاعتسال ، وكأفعال الصلاة ؛ من القيام ، والركوع ، والسجود ، وأفعال الحج ؛ من الوقوف ، والطواف ، وإن كانت أقوالاً فالقلب أخص بها .^(٢) وذلك لأن النية محلها القلب ، والقلب محل نظر الله من العبد .

ففي الحديث : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ » .^(٣)

قال النووي : " أي إنّما يكون ذلك على ما في القلب دون الصور الظاهرة ، ونظر الله ورؤيته محيط بكل شيء ، ومقصود الحديث أنّ الاعتبار في هذا كله بالقلب " .هـ^(٤)

(١) الفوائد [ص/٣٢١-٣٢٢] ، وينظر للاستزادة مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية [٢٦٨/١٣] .

(٢) ينظر دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية [٢٤٢-٢٩/١] .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٥٥٨٤-٦٧٠٧) ، وابن ماجه في سننه برقم (٤١٤٣) ، وابن حبان في صحيحه

برقم (٣٩٤) ، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان برقم (٩٩٩٤) ، وغيرهم من حديث أبي هريرة به .

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي [١٨٣/١٦] .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

وكثيراً ما يقرن تعالى في القرآن بين العبادات الظاهرة والعبادات الباطنة ، ويؤكد على دخول الإخلاص فيها ، ويدل على الارتباط المتين بينهما .

فمن ذلك في مطلع سورة البقرة في نعت المؤمنين حيث قال تعالى : ﴿ هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٢-٣] .

وفي قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ

الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

فاشتملت الآيات على الأعمال الظاهرة والباطنة التي لا تصح ولا تُقبل عند الله ، بل ولا

تُسمى عبادة إلا إذا قارنها الإخلاص لله تعالى .

ومما يبين الارتباط الوثيق بين الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة ، معرفة الفرق بين

الإسلام والإيمان ، فإنهما إذا اجتمعا افترقا ، فكان المراد بالإسلام الأعمال الظاهرة ، والمراد

بالإيمان الأعمال الباطنة ، وإذا افترقا اجتمعا فدخل كل منهما في الآخر .

فمن فهم الفرق بين الإسلام والإيمان ، والارتباط بينهما ، فهم الفرق والارتباط بين

فروعهما من الأعمال الظاهرة والباطنة .

وهذا بين ظاهر لمن تأمل حديث جبريل الطويل وفهمه .

" فكل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمناً ، فإنه قد يكون الإيمان ضعيفاً ، فلا

يتحقق القلب به تحقّقاً تاماً مع عمل جوارحه بأعمال الإسلام ، فيكون مسلماً ، وليس بمؤمن

الإيمان التام ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ « [الحجرات: ١٤] ، ولم يكونوا منافقين بالكليّة على أصحّ التفسيرين ، وهو قول ابن عبّاس وغيره ، بل كان إيمانهم ضعيفاً " . (١)

فلا بد من قدرٍ مصحح من الإيمان للإسلام ، وإلّا كان صاحبه منافقاً ، ومن ذلك القدر المصحح صلاح النية وحسن القصد في الإتيان بالإعمال الظاهرة ، فمتى خلّت الأعمال الظاهرة من الإخلاص فهي غير مقبولة .

وبهذا يتبيّن ضرورة دخول الإخلاص في الأعمال الظاهرة وارتباطه بها .

والمقصود أنّ جميع العبادات التي شرعها الله يدخل فيها الإخلاص ؛ بل لا تكون عبادة إلا مع الإخلاص لله تعالى .

قال شيخ الإسلام : " والعبادات التي شرعها الله كلها تتضمن إخلاص الدين كله لله ، تحقيقاً لقوله تعالى : « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ » [البينة: ٥] ، فالصلاة لله وحده ، والصدقة لله وحده ، والصيام لله وحده ، والحج لله وحده ، وإلى بيت الله وحده " . هـ (٢)

وبهذا يتبيّن دخول الإخلاص في جميع العبادات العملية ، فيجب صرفها جميعاً لله تعالى ابتغاء مرضاته وطمعاً في ثوابه .



(١) ينظر جامع العلوم والحكم [١٠٩/١] .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم [٣٧٠/٢] .

المبحث الثالث

الإخلاص في الدعوة ﴿﴾

الدَّعْوَةُ لغة : " مصدر دعا فلان إلى كذا دعوة ، مأخوذ من مادة (د ع و) ، تدل على إمالة الشيء إليك بصوت وكلام منك " .^(١)

فالدعوة هي : " الصياح والنداء والطلب : تقول : دعوت فلاناً ، أي : صحتُ به واستدعيتَه . وقد تتعدى بحرف الجر ((إلى)) فيراد بها الحثُّ على فعل الشيء . تقول : دعاه إلى الشيء ، تعني حثه على قصده " .^(٢)

والدَّعْوَةُ إلى الله عزَّ وجلَّ عبادة من العبادات العظيمة ، جاء القرآن بالأمر بها ، والترغيب فيها ، وترتيب الأجر العظيمة عليها .

وشأنها شأن العبادات الأخرى من حيث وجوب الإخلاص لله تعالى فيها ، بل إنَّها من العبادات التي تضطرب فيها النية ، ويطرأ عليها ما يفسدها من محبطات الأعمال كالرياء والسمعة ونحوهما ، ولذا أكَّد سبحانه على الإخلاص له تعالى فيها ، فقال سبحانه : ﴿ قُلْ

هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ^ط وَسُبِّحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة [٢٧٩/٢] .

(٢) ينظر : الصحاح للجوهري [١٨٧/٦] ، لسان العرب [٢٥٧/١٤] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

قال ابن كثير : " يقول تعالى للرسول ﷺ أمراً له أن يُخبر النَّاسَ أنَّ هذه سبيله ، أي: طريقته وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان ، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه " .^(١)

ولهذا أكد الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الإخلاص في الدَّعوة ، فقال : " (باب الدَّعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله) : وفيه التنبيه على الإخلاص ، لأنَّ كثيراً ولو دعا إلى الحق ، فهو يدعو إلى نفسه " .^(٢)

وما ذكره رحمه الله تعالى واقع - ولا حول ولا قوة إلا بالله - والمتأمل للترجمة والآية يظهر له الارتباط الكبير والمناسبة بينهما ، فإنَّ من دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله فقد دعا إلى الإخلاص ، ممَّا يتطلب معه الإخلاص في هذه الدعوة .

قال الشيخ صالح الفوزان : " فقد يكون الإنسان يدعو ، ويحاضر ويخطب ، لكن قصده من ذلك أنه يتبيَّن شأنه عند النَّاس ، ويصير له مكانة ، ويمدح من النَّاس ، ويتجمعون عليه ، ويكثر حوله ، فإذا كان هذا قصده ، فهو لم يدع إلى الله ، وإنما يدعو إلى نفسه ، فلا بد من أن تكون الدعوة خالصة لوجه الله عزَّ وجلَّ ، فليتبَّه المسلم ويكون رائده وقصده من دعوته هو الإخلاص لوجه الله عزَّ وجلَّ ، ونفع النَّاس ، وتخليصهم من الشرك " .^(٣)

فدل قوله تعالى : « إلى الله » على أنَّ الدَّعوة عبادة تفتقر إلى الإخلاص لله تعالى في تعبيد النَّاس لربِّ العالمين ، لا يريد الداعي بها من النَّاس جزاءً ولا شكوراً ، كما هو حال أنبياء

(١) تفسير القرآن العظيم [٩١/٨-٩٢] .

(٢) ينظر تيسير العزيز الحميد [ص/١٢٣] .

(٣) إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد [١٠٢/١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

الله ورسله ، فقد قال عنهم في جوابهم لأقوامهم : ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٩] .

وقال عن محمد ﷺ : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص: ٨٦] .

وقال عن صاحب يس : ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [يس: ٢١] .
فالداعي إلى الله تعالى هو المخلص الذي يريد أن يوصل الناس إلى الله تعالى ، والداعي إلى غيره قد يكون داعياً إلى نفسه ، فتضمنت هذه الدعوة الإخلاص والعلم ؛ لأن أكثر ما يفسد الدعوة عدم الإخلاص ، أو عدم العلم . (١)
فظهر بهذا دخول الإخلاص في الدعوة ، وأنه شرط لقبول الدعوة عند الله وحصول الأجر .

ومن الآيات الدالة على دخول الإخلاص في الدعوة قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾ [النحل: ١٢٥] .
فأمر سبحانه بالدعوة إلى سبيله وصراطه المستقيم بالطرق الشرعية والآداب المرعية ، وهذا أمر من الله تعالى بالدعوة يدل على أنها عبادة من العبادات التي يشترط لقبولها الإخلاص لله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ .

قال ابن عاشور : " وإضافة ((سَبِيلِ)) ، إلى ((رَبِّكَ)) ، باعتبار أن الله أرشد إليه ، وأمر بالتزامه " هـ (٢)

(١) ينظر القول المفيد شرح كتاب التوحيد [١٢٩/١] ، بتصرف يسير .

(٢) التحرير والتنوير [٣٢٦/١٤] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

" فلهذا يذكر الدعوة تارة إلى الله ، وتارة إلى سبيله ، فإنه سبحانه هو المعبود المقصود بالدعوة " هـ^(١)

فإن من دعا إلى الله بصدق وإخلاص وابتغاء مرضاته يوفق لسلوك الطرق الشرعية في مخاطبة المدعويين ، ويصبر على ما يلقاه من أذى في سبيل تبليغ شرع الله ، وتغيب عنده حظوظ النفس من البطش أو الانتقام ونحوها .

ولهذا ختم الله الآية التي بعدها بذكر معيته سبحانه للمتقين المحسنين فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ ، ومن الإحسان في العمل إخلاصه لله تعالى .

ففيه إشارة إلى الإخلاص في الدعوة ، وضرورة استحضر الداعي لها حال دعوته لتكون عوناً له على احتساب الأجر ، والصبر على ما يلقاه في سبيل الدعوة ، وبهذا يظهر دخول الإخلاص في الدعوة إلى الله تعالى من خلال سياق الآيتين الكريمتين .

ولهذا جاء الثناء على الداعي إلى الله ، والإشادة به ، وأنه لا أحد أحسن قولاً منه ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

قال قتادة : " هذا عبد صدق قوله عمله ، ومولجه مخرجه ، وسره علانيته ، وشاهده مغيبه، وإن المنافق عبد خالف قوله عمله، ومولجه مخرجه، وسره علانيته ، وشاهده مغيبه " .^(٢) ففي هذه الآية دلالة على إخلاصه في دعوته حيث أتبع القول العمل ، فكان أول الممثلين لما يدعو إليه ؛ فهي عامة في كل من دعا إلى خير ، وهو في نفسه مهتدٍ ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك .

(١) ينظر الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير [٧٠/٤] .

(٢) ينظر جامع البيان [١٦٣/٢٤] .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

وفي قوله : « إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » ، قال ابن جرير : " يقول : وقال : إِنِّي ممن خضع لله بالطاعة ، وذلك له بالعبودية ، وخشع له بالإيمان بوحدانيتها " .^(١)
وقيل : إِنَّمَا في المؤذنين الصلحاء .

قال ابن كثير : " والصحيح أَنَّ الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم ، فأَمَّا حال نزول هذه الآية فَإِنَّه لم يكن الأذان مشروعاً بالكلية ؛ لأَنَّها مكِّيَّة ، والأذان إِنَّمَا شُرِعَ بالمدينة بعد الهجرة " .^(٢)

والقول بعموم المعنى وشموله كلِّ من دعا إلى الله على بصيرة وهدى هو المتعين ، ويدخل فيه المؤذنون ؛ لأنَّه من جملة الدَّعوة إلى الله .

وقد ورد في السُّنة أحاديث تدل على فضل الدعوة إلى الله تعالى ، ومنزلتها عند الله وعظم ثواب الداعي ، ولا غرو في هذا فهي وظيفة الرُّسل .

فَمِنْ ذلك ما أخرجه الشيخان في الصحيحين عن سهل بن سعد أَنَّ رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه : « فوالله لأنَّ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النَّعَم » .^(٣)
فَبَيَّنَ ﷺ في هذا الحديث عِظَمَ أجر الداعي إذا اهتدى به رجل واحد ، فكيف بمن يهتدي على يديه فَيَنَامُ من النَّاسِ ؟ ! .

(١) ينظر المصدر السابق .

(٢) تفسير القرآن العظيم [١٨٠/٧] .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب فضل من أسلم على يديه رجل ، برقم (٦٢٢٣) . ومسلم في كتاب

فضائل الصحابة برقم (٣٧٦٣) . وأحمد في مسنده برقم (٢٢٨٢١) . وابن حبان في صحيحه (٦٩٣٢) . وغيرهم .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

ولهذا قال ﷺ : « مَنْ دَعَا إِلَى هَدَى كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئاً » .^(١)

وهذا الأجر مُرتَّب على الدَّعوة إلى الله بصدق وإخلاص ابتغاء ما عند الله لا لتكثر الأتباع فحسب .

فظهر بهذا دخول الإخلاص في الدَّعوة إلى الله تعالى ، وأنَّ الدَّعوة إلى الله عبادة جليلة تتطلب حُسن القصد ، وابتغاء ما عند الله تعالى ، ممَّا يوجب الحذر كل الحذر من إرادة غير الله تعالى فيها ، والحرص على معالجة الدَّاعي إلى الله لنيَّته ، ومجاهدته نفسه على الدَّعوة إلى الله بإخلاص وصدق بعيداً عن حظوظ النفس ، وإغراءات الدُّنيا وبهجتها .



(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم برقم (٩٦٨٠) . وأبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة برقم (٤٦١١) . والترمذي في كتاب العلم باب فيمن دعا إلى هدى برقم (٢٦٤٧) . وابن ماجه في كتاب السنة ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة برقم (٢٠٦) . كلهم من حديث أبي هريرة .

المبحث الرابع

الإخلاص في الاستجابة

الاستجابة في اللغة : " من (جوب) ، فالجيم والواو والباء أصلٌ واحد ، وهو خَرَقُ الشيء. وله أصلٌ آخر ، وهو مراجعة الكلام ، يقال : كَلَّمَهُ فَأَجَابَهُ جَوَاباً ، وقد تَجَاوَبَا مُجَاوَبَةً ، والمجَابَةُ : الجواب " . (١)

" وَأَجَابَهُ وَأَجَابَ عَنْ سؤَالِهِ ، والمصدر الإجابة ، والاسم : الجَابَةُ كالطاعة والطاقة ، يقال : أساء سمعاً فأساء إجابة ، والإجَابَةُ والاستجَابَةُ بمعنى ، ومنه استَجَابَ اللهُ دَعَاءَهُ ، والمجَاوَبَةُ والتَّجَاوُبُ : التَّحَاوُرُ " . (٢)

قال ابن عاشور : " الاستجابة : الإجابة ، فالسين والتاء فيها للتأكيد " . (٣)

ومن المواضع القرآنية على وجوب الإخلاص في الاستجابة لله ورسوله ودخوله فيها ، قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤] .

ففي هذه الآية الكريمة يأمر تعالى عباده المؤمنين بالاستجابة له سبحانه ورسوله بامتثال أوامرهما واجتناب نواهيهما ففيهما الحياة الحقيقية .

قال ابن جرير : " معناه : استجبوا لله وللرسول بالطاعة ، إذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحق ، وفي الإجابة إلى كل ذلك حياة المحيب .

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة [٤٩١/١] ، بتصرف .

(٢) ينظر الصحاح للجوهري [١١٨/٢] .

(٣) ينظر التحرير والتنوير [٢٠٢/٤] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

أما في الدنيا فيقال : بالذكر الجميل ، وذلك له فيه حياة . وأما في الآخرة ، فحياة الأبد في الجنان والخلود فيها " . هـ^(١)

وهذا يشمل جميع ما أمر الله به من غير تخصيص كما رجَّحه ابن جرير ، وابن القيم^(٢) . واختلاف المفسرين في قوله : « لما يُحْيِيكُمْ » ، من اختلاف التنوع . وإذا تبين هذا ظهر دخول الإخلاص في الاستجابة لله ولرسوله ، وأن الاستجابة من العبادات المفتقرة إلى إخلاص ونية .

ويوضح هذا ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال : « كُنْتُ أَصَلِّيَ فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَانِي ، فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ ، فَقَالَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ » ، ثُمَّ قَالَ : لِأَعْلَمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ ... » .^(٣)

فإن إجابة النبي ﷺ في حياته مقدمة على صلاة النافلة ، مما يدل على تحتمها وعظمتها ، وأكد على الإخلاص بقوله : « وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ » ، بأن الله يعلم عزم المرء ونيتته .^(٤)

ولهذا رتب تعالى على الاستجابة له ولرسوله ﷺ الجنة فقال : « لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى » .

(١) جامع البيان [٢١٤/٩] .

(٢) ينظر بدائع التفسير [٣٣٢/٢] .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول ... » برقم (٤٦٤٧) . والنسائي في

سننه الكبرى برقم (٨٠١٠) ، وأحمد في مسنده برقم (١٥٧٣٠) ، وابن خزيمة في صحيحه برقم (٨٦٢) ، وغيرهم .

(٤) ينظر التحرير والتنوير [٧٠/٩] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

فالدافع لهذه الاستجابة لله وللرسول ﷺ ابتغاء مرضات الله تعالى والجنة ، فإذا أتوا بها على وجهها استحقوا برحمة الله الجنة .

وقد أثنى تبارك وتعالى على المستجيبين له سبحانه ، واختصهم بالحياة الباقية فقال : ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ تَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ... ﴾ [الشورى : ٣٦-٣٨] .

قال ابن عطية : " ((وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ)) ، مدح لكل من أمن بالله تعالى ، وقبل شرعه " هـ . (١)

ولا يمدح جلَّ وعلا إلا من استجاب له سبحانه مُبتغياً ثوابه وحسن جزائه ، وتأمل ثناءه جلَّ وعلا على من استجابوا لأمر الله ورسوله يوم أحد ، حيث قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧١-١٧٢] .

قال ابن جرير : " وإنما عنى الله تعالى ذكره بذلك : الذين اتبعوا رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد في طلب العدو منصرفهم عن أخذ " . (٢)

فقوله : ((لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ)) ، إشارة إلى إخلاص العمل لله تعالى . فإتهم ﷺ بادروا إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، (٣) استجابة لله ورسوله ﷺ ، ابتغاء مرضات الله ورجاء ما عنده ، مع ما أصابهم من الجراح والقرح والعناء ،

(١) المحرر الوجيز [١٧٩/١٣] .

(٢) جامع البيان [٣٩٩/٧] ، وللاستزادة ينظر : السيرة لابن هشام [١٢٠/٢] ، وزاد المعاد [٢١٦/٣] .

(٣) ينظر للاستزادة السيرة النبوية لابن هشام [٤٤/٣] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

إِلَّا أَنْ دَافِعَ الْإِخْلَاصِ وَحَادِيَ الْإِيمَانِ دَعَاهُمْ إِلَى الْاسْتِجَابَةِ ، وَهَكَذَا يَصْنَعُ الْإِخْلَاصُ وَالْيَقِينُ
- نَسَأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ - .

فظهر بهذه الآية دخول الإخلاص في الاستجابة لله ولرسوله ﷺ ، وَأَنَّ الْاسْتِجَابَةَ لِلَّهِ
وَلِرَسُولِهِ ﷺ بَامْتِثَالِ أَمْرِهِمَا وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِمَا .

وَمَا يُوَضِّحُ هَذَا الْمَعْنَى الْجَلِيلَ وَيُؤَكِّدُهُ أَمْرُهُ جَلًّا وَعَلَا بِالْاسْتِجَابَةِ لَهُ سُبْحَانَهُ أَمْرًا صَرِيحًا
يَفِيدُ الْوَجُوبَ ، وَيَدُلُّ عَلَى دُخُولِهَا فِيهَا مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ ، حَيْثُ قَالَ : ﴿ اَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ
مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ ۗ مَا لَكُمْ مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّن
نَّكَيرٍ ﴾ [الشورى : ٤٧] .

فقد عدَّى سبحانه الاستجابة باللام الدالة على اختصاص الله تعالى بالاستجابة لأمره في
كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ .

وقد يستشكل مستشكل : كيف تكون الاستجابة خاصة بالله وقد وردت تعديتها للرسول
ﷺ في مواضع كما سبق ؟

والجواب - والله أعلم - : أَنَّ الْاسْتِجَابَةَ لِلرَّسُولِ ﷺ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ اسْتِجَابَةُ اللَّهِ ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى : « مَّن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » .

والاستجابة للرَّسُولِ ﷺ عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى يَجِبُ فِيهَا الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ تَعَالَى وَإِرَادَةُ وَجْهِهِ .
وَالْحَاصِلُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْاسْتِجَابَةَ الْمَطْلُوقَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﷺ وَهِيَ مَجَالٌ مِنْ
مَجَالَاتِ الْإِخْلَاصِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ إِفْرَادَ اللَّهِ تَعَالَى بِهَا ، وَابْتِغَاءَ مَا عِنْدَهُ .



المبحث الخامس

الإخلاص في الخشوع

الخشوع : " مصدر خَشَعَ يَخْشَعُ مأخوذ من مادة (خ ش ع) الدالة على التظامن ، يقال: خشع فلان إذا تظامن وطأطأ رأسه " .^(١)
وقال الرَّاغب : " الخشوع : الضراعة " .^(٢)
وهو اصطلاحاً : " معنى يلتئم من التعظيم والمحبة والذل والانكسار " .^(٣)
فالخشوع عبادة قلبية باطنة محلُّها القلب ، قد تظهر آثاره من خلال قشعريرة الجلد ودمع العين .

والخشوع يتضمن معنيين :

أحدهما : التواضع والذل .

والثاني : السكون والطمأنينة ، وذلك مستلزم للين القلب المنافي للقسوة ، فخشوع

القلب يتضمن عبوديته لله وطمأنينته أيضاً .^(٤)

ومن المواضع الدالة على دخول الإخلاص في الخشوع ، قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ

بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ... ﴾ [آل عمران: ١٩٩] .

(١) معجم مقاييس اللغة [١٨٢/٢] .

(٢) المفردات [ص/١٤٨] .

(٣) ينظر مدارج السالكين [١/٥٥٨-٥٥٩] ، بتصرف .

(٤) ينظر الإيمان لابن تيمية [ص/٢٤-٢٥] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في الأصول الثلاثة :

" ودليل الخشوع قوله تعالى : « وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا » ، فمن صرف شيئاً من هذه الأنواع لغير الله تعالى فقد أشرك بالله غيره " . (١)

فقوله : « خَاشِعِينَ لِلَّهِ » ، دليل على الإخلاص لله تعالى ، حيث أثنى عليهم بهذا الخشوع ، وعدّاه لنفسه العليّة سبحانه ، فدلّ على اشتراط الإخلاص في الخشوع .
ومثل هذا ثناؤه جلّ وعلا على أنبيائه في سورة (الأنبياء) ، ووصفهم بالخشوع له سبحانه في قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

فأثنى عليهم ومدحهم بهذه الصّفة ولا يمدح إلا من كان عابداً لله تعالى ، وقدّم سبحانه الجار والجرور لإفادة القصر والحصر ، وأنّ الخشوع عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى .
ولهذا عاتب الله المؤمنين واستبطأ خشوع قلوبهم فأنزل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ... ﴾ [الحديد : ١٦] .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين " . (٢)

وقال ابن عباس رضي الله عنه : " إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن " . (٣)

(١) مجموع رسائل في التوحيد والإيمان [٣٨١/١] .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التفسير ، برقم (٣٠٢٧) .

(٣) ينظر تفسير القرآن العظيم [١٩/٨] .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

ومعنى الآية : " أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، أي : تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن ، فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيع " . (١)

وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى . (٢)
ففي هذه الآية دعوة إلى خشوع القلب وإخباته ولبينه وانكساره لله تعالى ، وما دعا إليه جلَّ وعلا فهو عبادة مقصودة يجب فيها إرادة وجه الله سبحانه بالذل والاستكانة .
فظهر بهذه الآية دخول الإخلاص في الخشوع .

وقد بيّن تبارك وتعالى حال أهل العلم عند سماع القرآن فقال : ﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩] .

فالخشوع أثر من آثار ذكر الله تعالى ، وتلاوة كتابه ، والتأمل في جلاله وعظمته وكبريائه ، ويزداد هذا الخضوع والإخبات لله تعالى مع الازدياد في التقرب إليه سبحانه بأنواع القربات ، ومن ذلك السجود ، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .

فهذا حال أهل العلم الراسخين فيه الذين فهموا مراد الله تعالى ، فخالطت بشاشة الإيمان قلوبهم فازدادوا إيماناً وخشوعاً .

وقد أثنى الله على المؤمنين ، وبيّن أسباب فلاحهم ونجاتهم من النار وميراثهم الجنة بأمور صدرها بالخشوع في الصلاة فقال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-٢] .

(١) المصدر السابق .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٨٤٠] .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

ولا ريب أنّ الخشوع المذكور المثني عليه لله تعالى ، والتقدير : خاشعون لله .
والخشوع في الصلاة هو : حضور القلب بين يدي الله تعالى واستحضار عظمته ممّا يحدث سكوناً في الجوارح وطمأنينة في النفس .
ولهذا أعدّ الله للخاشعين والخاشعات أجراً عظيماً لا حدّ له إزاء خشوعهم له ، فقد قال سبحانه : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ » ، إلى أن قال : « وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ ... » ، ثمّ ختمها الله بذكر جزائهم فقال : « أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً » [الأحزاب : ٣٥] .
وقد استعاذ النبي ﷺ من خشوع النفاق ، فسئل عنه فقال : « أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع » .^(١)
فظهر بهذا أنّ الخشوع مجال عظيم من مجالات الإخلاص التي يجب صرفها لله تعالى وحده دون ما سواه .



(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣٥٧١١) ، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان برقم (٦٥٦٧) ، وابن عساکر في تاريخ دمشق [١٨٣/٤٧] ، من حديث أبي الدرداء به .

المبحث السادس

الإخلاص في الصبر

الصَّبْر لغة : " الحَبْس ، يقال : صَبَرْتُ نفسي على ذلك الأمر حَبَسْتُهَا " . (١)

وقال الرَّاعِب : " الصَّبْر : الإمساك في ضيق " . (٢)

واصطلاحاً هو : " حَبْس النَّفْس على ما يقتضيه العقل والشرع " . (٣) وفيه إجمال ظاهر.

وقال ابن القيم : " هو : حَبْس النَّفْس عن الجزع والتَّسَخُّط ، وحَبْس اللسان عن

الشكوى ، وحَبْس الجوارح عن التشويش " . (٤)

وهو أنواع ثلاثة :

" الأول : صَبْرٌ على طاعة الله . الثاني : صَبْرٌ عن معصية الله .

الثالث : صَبْرٌ على امتحان الله .

فالأولان صَبْرٌ على ما يتعلَّق بكسب العبد ، والثالث صَبْرٌ على ما لا كسب للعبد

فيه " . (٥)

قال الإمام أحمد : " الصَّبْر في القرآن في نحو تسعين موضعاً " . (٦)

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة [ص/٥٦١] .

(٢) المفردات [٣٥٩/٢] .

(٣) المصدر السابق [٣٥٩/٢] .

(٤) مدارج السالكين [١٥٦/٢] .

(٥) ينظر مدارج السالكين [١٥٦/٢] .

(٦) ينظر مدارج السالكين [١٥٦/٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

وقد تنوّع ذكر الصّبر في القرآن على أوجه عدّة من الأمر به ، والتّهي عن ضده ، والتّناء على أهله ومحبة الله لهم ، وذكر جزائهم بغير حساب وغيرها .

فهو مجال عظيم ، ومقام كبير من مقامات الدين ، يتأكّد فيه الإخلاص لله ربّ العالمين، بل لا يُقبل عند الله ولا يُجازى فاعله إلا إذا اقترن بالإخلاص لله تعالى .

فالصّبر المحمود في القرآن ما كان لله تعالى ، لا لكسب محمّدة أو حصول عرض من الدنيا، فقد أمر الله نبيّه ﷺ في أوائل ما نزل عليه من القرآن بالصّبر له سبحانه عبادة وتقرباً ، وابتغاءً للثواب ، فقال : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ [المدثر: ٧] .

أي : اجعل صبرك لرّبك لا لأحدٍ غيره ، ولا لشيءٍ سواه .
وتأمّل كيف قدّم سبحانه الجار والمجرور على الأمر بالصّبر ؛ ليدل على قصر الصبر وحصره على ابتغاء مرضات الله تعالى .

قال البغوي : " قيل فاصبر على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله . وقال مجاهد : فاصبر لله على ما أوذيت فيه " .^(١)

وذلك لأنّ اللام في قوله تعالى : « ولرّبك » دالة على العلة والغاية من الأمر بالصّبر .

قال ابن عطية : " أي : لوجه ربّك وطلب رضاه " .^(٢)

وكذا قال : ابن كثير ،^(٣) وابن سعدي .^(٤)

(١) معالم التنزيل [٣١٢/٦] .

(٢) المحرر الوجيز [١٧٧/١٥] .

(٣) ينظر تفسير القرآن العظيم [١٧٨/١٤] .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/١٠٥٧] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

وبهذا يتبين دخول الإخلاص في الصبر ، وأنه الدافع الحقيقي للصبر بجميع أنواعه ؛ لأنَّ مَنْ صَبَرَ لَلَّهِ بِجُبْسِ نَفْسِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَمَنْعِهَا مِنْ مَعْصِيَتِهِ ، وَكَفَّهَا عَنِ التَّسَخُّطِ وَالْجَزَعِ ، ابْتِغَاءً مَا عِنْدَ اللَّهِ جَاءَتْهُ الْمَعُونَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى قَدْرِ إِخْلَاصِهِ ، وَصَلَاحِ نِيَّتِهِ وَقَصْدِهِ .

ولذا أمر سبحانه بالصبر وقرنه بالصلاة في موضعين من كتابه فقال : ﴿ وَأَسْتَعِينُوا

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥] .

وقال : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

[البقرة: ١٥٣] .

ولا تأتي الاستعانة بالصبر إلا إذا كان الباعث عليها ابتغاء ثواب الله تعالى ، ولهذا قال :

﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ

رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦] .

فإنَّ من أيقن بقاء الله تعالى ، وأنه إليه راجع هان عليه كل ما يبذله في سبيل ربه .

كما قال مقاتل بن حيان ^(١) في تفسير هذه الآية : " استعينوا على طلب الآخرة بالصبر

على الفرائض ، والصلاة " . ^(٢)

فقد استثنى جلَّ وعلا الخاشعين ، فجعل الاستعانة بالصلاة على أحد أقوال المفسرين ^(٣)

سهلة عليهم خفيفة ؛ لأنَّ الخشوع وخشية الله ، ورجاء ما عنده يوجب له فعلها ،

مُنْشَرِحاً صدره لترقبه للثواب ، وخشيته من العقاب ، بخلاف من لم يكن كذلك ، فإنه لا

داعي له يدعوه إليها . ^(٤)

(١) هو : مقاتل بن حيان أبو بسطام النبطي البلخي الخراساني الخراز أحد الأعلام ، مات قبل سنة (١٥٠) . ينظر ميزان الإعتدال [٥٠٣/٦-٥٠٤] .

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم [٢٨٧/١] .

(٣) هو قول مجاهد ، واختاره ابن جرير ، وهو أقرب مذکور ، ينظر جامع البيان [٦٢١/١] .

(٤) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٤٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

فظهر من خلال هاتين الآيتين دخول الإخلاص في الصبر ؛ بل افتقار الصبر إلى الإخلاص لله تعالى ، لأنَّ الله أمر به ، وما أمر به الله فهو عبادة لا تصحَّ ولا تُقبل إلا بالإخلاص لله تعالى وابتغاء ما عنده .

وقد نصَّ تبارك وتعالى على الإخلاص في الصبر في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ... ﴾ [الرعد: ٢٢] .

ففي هذه الآية ثناء من الله عزَّ وجلَّ على عباده المؤمنين الذين علموا الحق فانقادوا إليه بصبرهم على طاعة الله وعن معصيته وعلى أقداره المؤلمة ابتغاء رضوان الله والجنة ، وهذا سياق قرآني بديع من سياقات ذكر الصبر في القرآن .

قال ابن عطية : " وابتغاء نصب على المصدر ، أو على المفعول لأجله " هـ (١)

" وإنما فُيِّدَ الصبر بقوله : « ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ » ، لأنَّ الصبر ينقسم إلى نوعين :

الأول : الصبر المذموم ، وهو : ما كان لغير الله .

الثاني : الصبر المحمود ، وهو : أن يصبر الإنسان لله تعالى راضياً بما نزل طالباً ثواب الله

مُحْتَسِباً أجره على الله " . (٢)

ففي تقييد الصبر بالإخلاص دليل على فضيلة الإخلاص وأهميته وأثره العظيم في حصول

الصبر وسهولته على النفس ، وترتب الثواب الجزيل عليه من الله تعالى .

قال أبو السعود : " « ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ » ، طلباً لرضاه خاصة من غير أن ينظر إلى

جانب الخلق رياءً وسمعة ، ولا إلى جانب النفس زينة وعُجباً " هـ (٣)

(١) المحرر الوجيز [٢٠٠/٥] .

(٢) ينظر لباب التأويل [٤٤٦/٣] ، بتصرف .

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم [١٧/٥] .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

فقد صبروا على المأمورات بالامتثال ، وعن المنهيات بالانكفاف عنها والبعد منها ، وعلى أقدار الله المؤلمة بعدم تسخُّطها .

ولكن بشرط أن يكون ذلك الصَّبْر « ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِمْ » لا غير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة ، فإنَّ هذا هو الصَّبْر النَّافِع الذي يجنس به العبد نفسه ، طلباً لمرضاة ربِّه ورجاءاً للقرَّب منه ، والحظوة بثوابه ، وهو من خصائص أهل الإيمان .^(١)

والمعنى أنهم صبروا لأجل أن الصَّبْر مأمور به من الله لا لغرض آخر كالرِّياء .^(٢)

ولقد أتى تعالى على الصابرين والصابرات ، ووعدهم بالأجر العظيم فقال : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... » ، إلى أن قال : « وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ » ، ثمَّ ختمها الله بذكر جزائهم فقال : « أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » [الأحزاب : ٣٥] .

وإنما استحقوا المغفرة من الله والأجر العظيم لأجل صبرهم ابتغاء وجهه ورجاء ثوابه . والآيات الواردة في الصَّبْر كثيرة ، وإنما أتيت على جملة منها دالة على دخول الإخلاص في الصَّبْر .

والمقصود أن الصَّبْر بجميع أنواعه وصوره مجال كبير من مجالات الإخلاص لله تعالى ، فمتى استحضر العبد الصَّبْر واستصحبه في حياته فاز بالأجر العظيم ، فإنَّ الله تعالى يقول : « إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » [الزمر : ١٠] .



(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٤٨٢] .

(٢) ينظر التحرير والتنوير [١٢٩/١٣] .

المبحث السابع

الإخلاص في الإنفاق

الإنفاق من العبادات الجليلة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم أمراً بها وحثاً عليها ، وترغيباً في الاتصاف بها ، وبياناً لأبواب النِّفقة المتنوعة ، وذكرراً لجزاء المنفقين وثوابهم عند الله تعالى ، ونحو ذلك من السياقات القرآنية الدالة على فضل هذه العبادة العظيمة ، ومنزلتها الرفيعة عند الله تعالى .

وقد وردت النفقة في القرآن الكريم على وجوه متعددة ، فتارة يُراد بها الزكاة الواجبة ، وتارة يُراد بها صدقة التطوع ، وتارة يُراد بها النفقات الواجبة سوى الزكاة ، وتارة تشمل أوسع من ذلك مما يصدق عليه الإنفاق من بذل العلم والجاه ونحوهما .

ولمَّا كان الإنفاق عبادة يُتقرب بها إلى الله تعالى ، فإنَّها تفتقر إلى الإخلاص لله تعالى حتى تكون مقبولة عند الله تعالى ، شأنها في هذا شأن جميع العبادات .

وقد جاء التأكيد على الإخلاص في الإنفاق في القرآن بخصوصه ؛ كونه مما تتقلب فيه النيات ، ويعتريه من الواردات ما ينقص ثوابه أو يبطله بالكلية .

ومن الآيات الدالة على دخول الإخلاص في الإنفاق قوله تعالى : ﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ... ﴾ [البقرة: ٢٧٢] .

ففي هذه الآية أكد سبحانه أن النِّفقة لا تكون إلا بإخلاص له سبحانه ، وابتغاء وجهه

سبحانه وتعالى .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

قال الواحدي : " هو خبر والمراد به الأمر " هـ^(١)

وقال البغوي : " معناه نهي ، أي : لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله " هـ^(٢)

فقد بيّن تعالى أنّ التّفقة المعتدّ بها المقبولة إنّما هي ما كان ابتغاء وجه الله .^(٣)

وذلك أنّ المؤمن يرجو ما عند الله تعالى فيمنعه إيمانه عن المقاصد السيئة ويحمله على

الإخلاص في نفقته لله ربّ العالمين .

فظهر بهذه الآية الكريمة دخول الإخلاص في الإنفاق ، وأنّه شرط في قبولها عند الله

تعالى ، وحصول الثواب عليها .

ومن الآيات الدالة على دخول الإخلاص في الإنفاق وأنّه شرط لقبول النفقة عند الله

تعالى قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ

قُرْبَةً عِنْدَ اللَّهِ ... ﴾ [التوبة : ٩٩] .

فهذه ثنية الله في الأعراب أنّ منهم من يتغي بنفقته وجه الله تعالى ، وابتغاء مرضاته ،

فأثنى عليهم بإخلاصهم في النفقة وقصدتهم وجه الله تعالى .

قال الواحدي : " ((وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ)) أي : يتقرب بذلك إلى الله عزّ

وجلّ " هـ^(٤)

وقال ابن كثير : " هذا هو القسم الممدوح من الأعراب ، وهم الذين يتخذون ما ينفقون

في سبيل الله قُرْبَةً يتقربون بها عند الله " هـ^(٥)

(١) الوجيز [١٩٠/١] .

(٢) معالم التنزيل [٣٨٠/١] .

(٣) ينظر المحرر الوجيز [٤٦٧/٢] .

(٤) الوجيز [٤٧٨/١] .

(٥) تفسير القرآن العظيم [٢٦٩/٧] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

وإنما استثنى سبحانه هذا القسم من الأعراب وأثنى عليهم ، ووعدهم بالرحمة لإيمانهم بالله واليوم الآخر الحامل على إرادة وجه الله ، وابتغاء مرضاته من الإنفاق .
فتبين بهذه الآية دخول الإخلاص في الإنفاق ، واستحقاق من أخلص في ذلك الثناء من الله ، وحصول رحمته بفضله تعالى ومنته .

ولذا أثنى جلّ وعلا على من ابتغى بنفقته وجهه سبحانه وتعالى فقال : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٢] .

وقد دلت السنة على اشتراط الإخلاص في الإنفاق لتكون مقبولة عند الله ويؤجر عليها المنفق .

فمن ذلك قوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا » . (١)

وقوله ﷺ في حديث أبي مسعود : « إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَىٰ أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا ، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً » . (٢)

قال ابن حجر : " والمراد بالاحتساب القصد إلى طلب الأجر ، ويستفاد منه أن الأجر لا يحصل بالعمل إلا مقروناً بالنية ، ولهذا أدخل البخاري حديث أبي مسعود المذكور في باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة " . (٣)

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي برقم (٥٦) ، ومسلم في كتاب الوصية برقم (٤٢٥٦) ، وأبو داود في كتاب الوصايا باب فيما يجوز للموصي في ماله برقم (٢٨٦٦) ، والترمذي في باب الوصايا باب الوصية بالثلث برقم (٢١١٦) ، وأحمد في مسنده برقم (١٥٢٤-١٥٤٦) ، وغيرهم .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النفقات ، باب فضل النفقة على الأهل ، برقم (٥٣٥١) ، واللفظ له . وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة برقم (٢٣٦٩) ، والنسائي في كتاب الزكاة ، باب أي الصدقة أفضل ، برقم (٢٥٤٥) ، وأحمد في مسنده برقم (١٧٠٨٢) ، من حديث أبي مسعود البديري .

(٣) فتح الباري بتصرف [٤٠٨/٩] ، بتصرف .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

فأشار عليه السلام في حديث سعد إلى الإخلاص في كون الإنسان يبتغي بعمله وإنفاق ماله وجه الله . (١)

ولهذا قال ابن الملقن في فوائد حديث سعد : " إنَّ الثواب في الإنفاق مشروط بصحة النيَّة في ابتغاء وجه الله تعالى ؛ فإنَّ الأعمال بالنيَّات ، وما أعزَّ ذلك إذا عارضه مقتضى الطبع والشهوة " . (٢)

ومصدَّق هذا في قوله تعالى : « وَمَا آتَيْتُمْ مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ » [الروم : ٣٩] .

والحاصل أنَّ الإنفاق باب عظيم واسع ، ومجال كبير من مجالات الإخلاص ؛ فلا يُقبل عند الله ولا تُحصل ثمرته الأخروية إلا بتحقيق الإخلاص فيه وابتغاء وجه الله تعالى .



(١) ينظر شرح رياض الصالحين لابن عثيمين [٦٠/١] .

(٢) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام [٤٢/٨] .

المبحث الثامن

الإخلاص في الصلّاة والنحر

إنَّ الصَّلَاةَ والنَّحْرَ من العبادات العظيمة التي ورد ذكرها في القرآن مفردة ومقرونة بأخرى. وقد تنوع السِّيَاق في ذلك ، فتارةً في سياق الأمر بهما ، وتارةً في بيان اختصاص الله بهما دون سواه ، وتارةً في ذكر فضلها وأثرهما وثوابهما عند الله تعالى .

وارتباط هاتين العبادتين بالإخلاص لله تعالى ظاهر بيّن من خلال السياق القرآني ، وكونهما من العبادات المحضة التي يجب إفراد الله بهما فلا يجوز صرف شيء منها لغير الله تعالى. ومن المواضع القرآنية الدّالة على اشتراط الإخلاص ودخوله في هاتين العبادتين معاً في سياق واحد قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢] .

يقول تعالى ذكره لنبّيه مُحَمَّد ﷺ : « قُلْ » يا مُحَمَّد لهؤلاء العادلين برّهم الأوثان والأصنام ، الذين يسألونك أن تتبّع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان إنَّ صلاتي وذبحي وحياتي ووفاتي « لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » ، يعني : أن ذلك كلّ له خالصاً دون ما أشركتم به؛ لأنّه لا ينبغي أن يكون ذلك إلّا له خالصاً .^(١)

وهذا يدل على أنّه لا يكفي في العبادات أن يُؤتى بها كيف كانت ، بل يجب أن يُؤتى بها مع تمام الإخلاص ، وهذا من أقوى الدلائل على أنّ شرط صحة الصلّاة أن يُؤتى بها مقرونة بالإخلاص .^(٢)

(١) ينظر جامع البيان [٤٥/١٠-٤٦] ، بتصرف .

(٢) ينظر التفسير الكبير للفخر الرازي [١٩١/١٤] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

وإنما خصَّ سبحانه هاتين العبادتين دون غيرها في هذا الموضع وغيره لشرفهما وفضلهما، ودلالتهما على محبة الله تعالى ، وإخلاص الدين له ، فالصلاة فيها تُقرب إليه سبحانه بالقلب واللسان والجوارح، والدَّبْح فيه بذل ما تحبه النفس من المال، لما هو أحبُّ إليها وهو الله تعالى .

فمن أخلص في هاتين العبادتين ، استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله . (١)

فتأمل هذا التخصيص لهاتين العبادتين ، والتأكيد على الإخلاص فيهما بمؤكدات متنوعة، مما يدل على شرفهما ، وأكهما من أعظم وأجلِّ مجالات الإخلاص المشروط لهما المرتبط بهما ارتباطاً وثيقاً .

فيجب إخلاص الصلاة والنسك لله وإن لم يقصد الدَّبْح عند القبر . (٢)

وبهذا يظهر دخول الإخلاص في عبادتي الصلاة والنحر ، وأكهما من أعظم مجالات الإخلاص في القرآن الكريم .

ولهذا أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين فقال سبحانه :

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخَرَّ ﴾ [الكوثر: ٢] .

أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين ، وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار ، وحسن الظنِّ ، وقوة اليقين ، وطمأنينة القلب إلى الله، وإلى عدته . فإنَّ الصلاة أجلُّ العبادات البدنيَّة ، وأجلُّ العبادات المألية النحر ، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها ، وما يجتمع له في النحر إذا قارنه الإيمان والإخلاص من قوَّة اليقين ، وحسن الظنِّ أمر عجيب . (٣)

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٣١٧] ، بتصرف .

(٢) ينظر تفسير شيخ الإسلام [١٢٧/٣] .

(٣) ينظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام [١٦/٥٢٦-٥٣٣] ، بتصرف .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

وقد امتثل ﷺ أمرَ رَبِّهِ فكان كثير الصلاة كثير النحر ، فكان ﷺ يُصَلِّي من الليل حتى تَفَطَّرَ قدماه ،^(١) وأقام بالمدينة عشر سنين يُضحِي ،^(٢) وذَبَحَ في حَجَّةِ الوداع بيده الشَّريفة (٦٣) بَدَنَةً ،^(٣) تقرُّباً إلى الله وتعظيماً له .

قال ابن جرير : " معنى ذلك : فاجعل صلاتك كلها لربِّك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والآلهة ، وكذلك نحرُك " هـ.^(٤)

قال ابن كثير : " وهذا الذي قاله في غاية الحُسن " هـ.^(٥)

وقد قال في موضع آخر : " « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ » أي : أخلص له صلاتك وذبيحتك " هـ.^(٦)

ففي قوله تعالى : « لِرَبِّكَ » ، تأكيد وتنبية على الإخلاص لله تعالى في هاتين العبادتين بخصوصهما .

" أي : صلِّ لِرَبِّكَ وحده ، وانحر له ، أي : لوجهه لا لغيره ، فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص " هـ.^(٧)

(١) أخرجه البخاري تعليقاً عن عائشة في كتاب التهجد باب قيام النبي ﷺ حتى ترم قدماه ، وأخرجه عنها موصولاً في كتاب التفسير باب قوله : « ليففر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » برقم (٤٨٣٧) .

(٢) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله ابن عمر في كتاب الأضاحي باب الدليل على أن الأضحية سنة برقم (١٥٠٧) ، وقال : حديث حسن صحيح . وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده برقم (٤٩٥٥) . والحديث ضعفه العلامة الألباني لأجل الحجاج بن أرطاة فإنه مدلس وقد عنعنه كما في ضعيف سنن الترمذي برقم (١٥٠٧) .

(٣) كما في حديث جابر عند مسلم وفيه : « ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بيده » ، كتاب الحج برقم (٢٩٥٠) ، وابن ماجه في كتاب المناسك باب حجة الرسول برقم (٣٠٧٤) ، وأخرجه أيضاً النسائي في سننه الكبرى برقم (٤١٣٩) ، وغيرهم .

(٤) جامع البيان [٦٩٦/٢٤] .

(٥) تفسير القرآن العظيم [٤٨٢/١٤] .

(٦) تفسير القرآن العظيم [٢٤٩/٦] .

(٧) ينظر التسهيل لعلوم التنزيل [٦١٧/٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

والأمر في الآية أمر للنبي ﷺ ولأمته من بعده .

وبهذا العرض القرآني الفريد يتحلّى دخول الإخلاص في عبادتي الصلاة والنحر ، ممّا يُوجب الحذر من صرف شيء منهما لغير الله تعالى ، واستحضار قصده سبحانه فيهما .

ولذا أوضح سبحانه الغرض من النحر في قوله : « لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ

يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ... » [الحج: ٣٧] .

قال ابن جرير : " ولكن يناله اتقاؤكم إياه إن اتقيتموه فيها فأردتم بها وجهه " .^(١)

وقال الواحدي : " أي النية والإخلاص وما أريد به وجه الله تعالى " .^(٢)

وكذا قال غيره من المفسرين .



(١) جامع البيان [٦٤١/١٨] .

(٢) الوجيز [٧٣٤/١] .

المبحث التاسع

الإخلاص في الحجِّ والعُمْرة

الحجُّ في اللغة : القصد إلى كل شيء، فخصَّه الشرع بقصد معين ذي شروط معلومة.^(١)
وعن الخليل قال : " الحجُّ كثرة القصد إلى من تُعظَّمه " .

والحجُّ في الشرع : " اسم لأفعال مخصوصة " .^(٢) وهذا تعريفٌ مجمل .

وقال الجرجاني : " القصد لبيت الله تعالى بصفة مخصوصة ، في وقت مخصوص ، بشرائط مخصوصة " .^(٣)

وقيل : هو التَّعبُد لله بأداء المناسك على ما جاء في سنَّة رسول الله ﷺ .^(٤)

ولو قيل هو : التَّعبُد لله تعالى بقصد بيت الله الحرام لأداء المناسك . لكان أجوَد .

فقد قيَّد التعريف بالتَّعبُد لله تعالى إشارة إلى وجوب الإخلاص لله تعالى في الحج ، فقد يقصد مكة للحج وتكون نيَّته لغير الله .

والعُمْرة لغة : " الزَّيْرة التي فيها عمارة الوُدِّ " .^(٥)

وشرعاً : " زيارة البيت الحرام بشروط مخصوصة " .^(٦)

(١) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير [٣٤٠/١] .

(٢) ينظر : المغني [٥/٥] ، والشرح الكبير [٥/٨] .

(٣) التعريفات [ص/١١٥] .

(٤) ينظر الشرح الممتع ، لابن عثيمين [٧/٧] .

(٥) ينظر المفردات [٤٥١/٢] .

(٦) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر [٢٩٧/٣] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

وقيل : زيارة بيت الله الحرام ، بإحرام وطواف وسعي دون وقوف بعرفة .^(١)

وقيل : الطَّوْفُ بالبيت ، والسعي بين الصفا والمروة بإحرام .^(٢)

والحجُّ والعُمرَةُ عبادتان من أجلِّ العبادات وأفضلهما وأعظمهما ، وقد ورد ذكر الحجِّ في آيات متعددة من القرآن أمراً به وترغيباً فيه وبيان لبعض أحكامه وحكمه ومقاصده .

وورد ذكر العُمرَةُ في ثلاثة مواضع من القرآن قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ

... ﴾ [البقرة: ١٩٦] .

فالحجُّ والعُمرَةُ من العبادات المفتقرة إلى الإخلاص لله تعالى ، المشتملة عليه ، فالتوحيد والإخلاص ظاهر بيّن في هاتين العبادتين من خلال سياق الآيات ، ومن خلال اشتغال مناسكهما على التوحيد بدءاً من التلبية التي هي شعار الحجِّ والعُمرَةُ التي يعلن بها الحاج والمعتمر إخلاص الدين لله وحده لا شريك له .

وقد وصفها جابر بن عبد الله بالتَّوْحِيدِ حيث قال : « فَلَمَّا اسْتَوَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

عَلَى رَاحِلَتِهِ أَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ لِيَّكَ اللَّهُمَّ لِيَّكَ ... » .^(٣)

وقد حجَّ ﷺ حجة الوداع على رَحْلِ رَثٍّ وقطيفة ، ثم قال : « اللَّهُمَّ حِجَّةً لَا رِيَاءَ

فِيهَا وَلَا سُمْعَةَ » .^(٤)

وهذا منه ﷺ تأكيدٌ قوليٌّ على ضرورة الإخلاص في هذه العبادة الجليلة .

(١) ينظر معجم لغة الفقهاء ، لمحمد رواس [ص/٢٩١] .

(٢) ينظر الموسوعة الفقهية الكويتية [٣٠/٣١٤] .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨) .

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٠) ولفظه : « فأهل بالتوحيد ... » ، والترمذي في الشمائل برقم (٣٢٧) ، وابن ماجه

باب الحج على الرحل برقم (٢٨٩٠) ، وأحمد في مسنده برقم (١٤٤٤٠) ، من حديث جابر .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

ومن المواضع القرآنيّة الدالّة على اشتراط الإخلاص في الحجّ وارتباطه به قوله تعالى :
﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٧] .

فدلّت الآية على اختصاص الحجّ بالله تعالى قصداً وتعبداً؛ إذ جاء ذلك بقوله : « والله »
فيشعر بأنّ ذلك له تعالى . (١)

وهذا التخصيص والحصر بتقديم الجار والمجرور في قوله : « لله » ، فيه دلالة على اشتراط
الإخلاص في الحجّ ، إذ الموجب لهذه العبادة على النّاس هو الله سبحانه وتعالى ، فله وحده
تُصَرَّف هذه العبادة الجليلة .

فظهر بهذه الآية دخول الإخلاص في الحجّ ، ووجوبه على النّاس من الله تعالى ؛ إذ أنّه
عبادة من العبادات والتي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى .

ومن المواضع الدالّة على دخول الإخلاص في الحجّ والعمرة قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ... ﴾ [البقرة: ١٩٦] .

فقد أمر سبحانه وتعالى بإتمام الحجّ والعمرة بعد الشروع فيهما ، ولو كانت نفلاً ، وأفاد
قوله : « لله » الأمر بإخلاصهما لله تعالى . (٢)

فقوله : « لله » ، أي : لأجل الله وعبادته ، ولتجريد النيّة ممّا كان يخامر نوايا النّاس في
الجاهلية من التقرب إلى الأصنام . (٣)

فتبيّن بهذه الآية الكريمة دخول الإخلاص في هاتين العبادتين واقتراحهما به ، وأنّ الله هو
المقصود وحده بالعبادة دون ما سواه .

(١) ينظر البحر المحيط [٢٧٤/٣] .

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٩٠] .

(٣) ينظر التحرير والتنوير [٢١٩/٢] ، بتصريف يسير .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

ولهذا قال القرطبي : " ومن تمام العبادة حضور النية ، وهي فرض " . (١)

واللام في قوله تعالى : « الله » تفيد الإخلاص - يعني - مخلصين لله عز وجل ممثلين لأمره ، فتفيد الآية وجوب الإخلاص لله لا لغيره ، يعني أتموها لله لا لغيره ، لا تراعوا في ذلك جاهاً ، ولا رتبةً ، ولا ثناءً من الناس . (٢)

فدلّت الآية الكريمة على وجوب الإخلاص في الحجّ والعُمرة ، وأنّ هاتين العبادتين من أعظم مجالات الإخلاص في القرآن الكريم .

فيجب على الحاجّ أن يقصد بحجّه وعُمّرتَه وجه الله والدّار الآخرة ، ويحذر كل الحذر من أن يقصد بحجّه الدنيا وحطامها ، أو الرّياء والسُّمعة والمفاخرة بذلك ، فإنّ ذلك من أقبح المقاصد ، وسبب لحبوط العمل وعدم قبوله . (٣)

وقد اشتملت عبادتي الحجّ والعُمرة على الإخلاص لله تعالى اشتمالاً بيّناً ، فالتلبية توحيد وإخلاص ، وقد وصفها جابر رضي الله عنه بالتّوحيد فقال : « فلَمَّا اسْتَوَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ أَهْلًا بِالتَّوْحِيدِ » . (٤)

والطواف بالبيت وبين الصّفا والمروة توحيد وإخلاص ، فقد قرأ ﷺ في ركعتي الطواف بسورتي الكافرون والإخلاص ، إشارة إلى الإخلاص .

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن [٣٦٩/٢] .

(٢) ينظر تفسير ابن عثيمين [٣٩٧/٢] ، بتصرف .

(٣) ينظر التحقيق والإيضاح لابن باز [ص/٢٦] ، وللاستزادة ينظر تفصيلاً مهماً حول مسألة النية في النيابة في الحجّ

لابن تيمية مجموع الفتاوى [٢٦/١٥-٢٠] .

(٤) سبق تخريجه [ص/٢٨٣] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

وإعلان التوحيد عند جبلي الصفا والمروة بتكرار كلمة التوحيد والإخلاص (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) .
وهكذا يوم عرفة ، ومواضع الدعاء الستة العظيمة فيها إظهار للإخلاص والتذلل بين يديه وسؤاله بضرعةٍ وابتهاال .

وفي نحر الهدايا يظهر الإخلاص والتوحيد ((فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ...)) .
وفي ذكره تعالى في مواضع النُسك تظهر عبودية الإخلاص فتتجلى مجالات الإخلاص وتبرز في أعمال الحج ومناسكه .

فقد قال ﷺ : ((إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوْفُ بِالْبَيْتِ وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمِي الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) .^(١)

والمقصود أنّ الحجّ مجال واسع ، وميدان فسيح للإخلاص لله تعالى ، بل كلّ إخلاص وتوحيد لرب العالمين ، فقد أسس البيت على التوحيد الخالص لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ [الحج : ٢٦] .

فأعظم مقاصد الحجّ والعمرة إظهار العبودية لله تعالى ، وإخلاص الدين له جلّ وعلا .
وجاء قوله تعالى : ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ [الحج : ٣١] في سياق آيات الحجّ في سورة (الحجّ) تأكيداً على ضرورة الإخلاص لله تعالى ، وإمعاناً في مخالفة المشركين الذين أشركوا مع الله غيره في هاتين العبادتين وغيرهما .
وبهذا يظهر دخول الإخلاص في الحجّ والعمرة ، وأنّه مجال من مجالاته .



(١) أخرجه الترمذي في كتاب الحج برقم (٩٠٢) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود في المناسك برقم (١٨٨٨) ، إسحاق ابن راهوية في مسنده برقم (٢٩٨) ، والبيهقي في سننه الكبرى برقم (٩٩٢٦) ، من حديث عائشة به ، وضعّفه الشيخ الألباني لأجل عبید الله بن أبي زياد القداح ، فإن فيه ضعف ، وقد اضطرب في إسناده ؛ فرواه تارة مرفوعاً ، وتارة موقوفاً ، وهو الصواب الذي رواه الثقات . ينظر ضعيف الجامع برقم (٢٠٥٦) .

المبحث العاشر

الإخلاص في الدعاء

الدُّعاء عبادة يستدعي بها العبد من الله العناية ، ويستمد المعونة ، ويستجلب الرحمة ، ويستدفع النعمة ، ويظهر به الافتقار والذلة لله تعالى ، متبرئاً من الحول والقوة إلا به .^(١) ومن استقرأ الآيات القرآنية في التحذير من الشرك بالله تعالى ، وجد أن أكثرها في التحذير من الشرك في العبادة ، ومن هنا صار الدعاء من أعظم العبادات وأجلّ القربات ، بل هو العبادة كما قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] .

فسمي دعاءه عبادة ، وتوعّد المستكبر عن دعائه المستنكف بنار جهنم ، بل سماه ديناً كما في قوله تعالى : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ... ﴾ [غافر: ١٤] . وعن النُّعمان بن بشير رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال : « الدعاء هو العبادة » . ثم قرأ : (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) .^(٢)

وسمى الله الدعاء أيضاً « صلاة » ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ... ﴾ [التوبة: ١٠٠] . أي : دعوات الرسول .

(١) ينظر تصحيح الدعاء [ص/١٥-١٦] .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب سجود القرآن باب الدعاء برقم (١٤٧٩) ، والترمذي في كتاب التفسير برقم (٢٩٦٩) ، وابن ماجه في كتاب الدعاء باب فضل الدعاء برقم (٣٨٢٨) ، وأحمد في مسنده برقم (١٨٣٥٢) ، وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٦٢٧) .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

وفي قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾... [التوبة: ١٠٣] .

فقوله : ((وَصَلِّ عَلَيْهِمْ)) أي : ادع لهم ، والصَّلَاة بمعنى الدُّعاء هي حقيقته اللغوية .^(١)
وأعظم شرائط هذه العبادة وأهمها الإخلاص لله تعالى فيها ، وقصده سبحانه وحده والتوجُّه إليه في قضاء الحاجات وتفريج الكربات .

وقد أبدى القرآن وأعاد في التأكيد على الإخلاص في الدُّعاء في آيات كثيرة ومواضع متعددة بلغت ثلاث مائة آية في الدُّعاء ، حوت من أسرار التنزيل عجباً في سياقات متنوعة ، فتارةً يبيِّن أنه محضُ حق الله لا يصرف شيء لغير الله ، وتارةً يُظهر ضلال المشركين في دعائهم لغير الله ، ويبيِّن بطلان ذلك ، وتارةً يأمر بدعائه ويخبر عن قربته من عباده ، وتارةً يحض على الأخذ بأسباب الإجابة والتأدب بأداب الدُّعاء ، ويذكر دعاء أنبيائه ورسله والصالحين من عباده وأحوالهم في الدُّعاء .

فمن الآيات الآمرة بإخلاص الدُّعاء لله تعالى قوله: ﴿ وَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾

[الأعراف: ٢٩] ، فهذا أمر صريح واضح بين بإخلاص الدُّعاء لله وحده دون ما سواه .

ومعناه : لا تُرأوا ولا تقصدوا من الأغراض في دُعائكم سوى عبودية الله ورضاه .^(٢)

وهو يشمل دُعاء العبادة ودُعاء المسألة .

وقد جاء الأمر بدُعاء المسألة في هذه السورة صريحاً في قوله تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ

تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ

(١) ينظر شرح العمدة لشيخ الإسلام [ص/٢٧-٣٢] .

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٣٢٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

إِصْلَاحِهَا وَادَّعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿الأعراف: ٥٥-

[٥٦] ، وهو يتضمن دُعاء العبادة فهما متلازمان .

" يقول تعالى ذكره : ادعوا أيها الناس ربكم وحده ، فأخلصوا له الدُعاء ، دون ما تدعون من الآلهة والأصنام " . (١)

ومَّا يُعِين عَلَى الْإِخْلَاصِ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ وَفِي غَيْرِهَا التَّضَرُّعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِخْفَاءُ الدُّعَاءِ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ .

قال الحسن البصري : " ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدُعاء ، وما يُسمع لهم صوت إن كان إلا هَمْسًا بينهم وبين ربهم ، وذلك أَنَّ الله يقول : « ادْعُوا رَبَّكُمْ » ، وذلك أَنَّ الله ذكر عبداً صالحاً فرضي فعله فقال : ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ [مريم: ٣] . " (٢)

ولهذا أكَّد الأمر بالإخلاص في الدُعاء في الآية الأخرى فقال : « وَادَّعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا » أي : أخلصوا له الدُعاء والعمل . (٣)

فقد ذكر تعالى في الآيتين آداباً عظيمة من آداب الدُعاء ، ينبغي للداعي الأخذ بها ، وأهمها وأعظمها الإخلاص فيه لله وحده ؛ لأنَّ ذلك يتضمنه الخفية ، وأنَّ يكون القلب خائفاً طامعاً. (٤)

فظهر بهذا دلالة الآيتين على دخول الإخلاص في الدُعاء ، وأنَّه من لوازمه وآدابه التي لا يقبل بدونها .

(١) ينظر جامع البيان [٢٤٧/١٠] .

(٢) ينظر جامع البيان [٢٤٨/١٠] .

(٣) ينظر جامع البيان [٢٥٠/١٠] .

(٤) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٣٢٨] .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

ومن المواضع الدالة على هذا المعنى الجليل قوله تعالى : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ١٤] ، وقوله في السورة نفسها : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥] .

قال ابن كثير : " أي : فأخلصوا لله وحده العبادة والدعاء ، وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم " (١)

وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة ، والإخلاص معناه : تخلص القصد لله تعالى في جميع العبادات الواجبة والمستحبة ، حقوق الله وحقوق عباده .

أي : " أخلصوا لله تعالى في كل ما تدينونه به وتقرّبون به إليه " . (٢)

ولهذا قال سبحانه : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] .

أي : " لا دُعاء عبادة ولا دُعاء مسألة ، فإنّ المساجد التي هي أعظم محال العبادة مبنية على الإخلاص لله ، والخضوع لعظمته ، والاستكانة لعزّته " . (٣)

والحديث عن هذه العبادة في القرآن يطول ؛ إذ عليها يدور محور الإخلاص والتوحيد ، ممّا يُبيّن شمول الإخلاص لها ودخوله فيها ، وتوقف صحتها وقبولها عليه .



(١) تفسير القرآن العظيم [١٧٧/١٢] .

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٨٦٤] .

(٣) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٨٩٠] .

المبحث الحادي عشر

الإخلاص في الإطعام

من العبادات الجليلة التي نصَّ عليها القرآن الكريم ورعَّب فيها ورثب عليها الأجر العظيم، والثواب الجزيل إطعام الطعام ، وهو فرع عن الإنفاق ، ولكن ورد التأكيد عليه لأهميته وأثره الكبير وعظيم نفعه ، ولا يكون مقبولاً عند الله تعالى إلا إذا قارنه الإخلاص له سبحانه ، فالإخلاص هو الدافع الحقيقي لبذل الطعام .

فمن الآيات الواردة في هذا المجال قوله تعالى عن عباده الأبرار : ﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلطَّعَامَ

عَلَىٰ حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۗ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۗ ﴾ [الإنسان: ٨-٩] .

فقد أثنى الله سبحانه في هاتين الآيتين على عباده الأبرار الذين أنعم عليهم بدخول الجنة، فوصفهم بصفات جليلة والتي منها إطعام الطعام ابتغاء وجه الله تعالى ، واتقاء لعذابه . قال ابن جرير : " فأثنى الله على هؤلاء الأبرار بإطعامهم هؤلاء تقرباً بذلك إلى الله وطلب رضاه ، ورحمةً منهم لهم " .^(١)

وعن سعيد بن جبير قال : " أما والله ما قالوه بألسنتهم ، ولكن علمه الله من قلوبهم ، فأثنى عليهم ليُرغب في ذلك راغب " .^(٢)

(١) ينظر جامع البيان [٥٤٤/٢٣] .

(٢) ينظر جامع البيان [٥٤٦/٢٣] .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

وتأمل عِظَمَ إخلاصهم حيث أطعموا الطعام مع حُبِّهم له كما قال تعالى : ﴿ وَءَاتَى

الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ... ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ولهذا قال ابن كثير : يطعمون الطَّعام وهم يشتهونه ويحبونه ، قائلين بلسان الحال : « إِيَّامًا

نُطْعِمُكُمْ لِرُوحِ اللَّهِ » أي : رجاء ثواب الله ورضاه ، « لا نُريدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا » أي :

لا نطلب منكم مجازاة تكافئونها بها ، ولا أن تشكرونا عند النَّاسِ .هـ^(١)

فقد قطعوا أطماعهم من التعلُّق بالخلق من انتظار جزاء أو شكر منهم ، وهذا غاية ما

يكون من الإخلاص لله تعالى .

فانظر - رحمك الله - إلى أثر الإخلاص في تقسيم المحبوب للنفس ابتغاء ما عند الله

تعالى.

وإيَّامًا خصَّ الإطعام بالذكر هنا لمسيس الحاجة إليه من هؤلاء المحتاجين ، ولما فيه من

إيثارهم على النَّفس ، ولعموم نفع الإطعام وتعدُّيه إلى الغير .^(٢)

ولهذا جاء الحث على الإطعام والترغيب فيه في قوله تعالى : ﴿ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي

مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيْمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴾ [البلد : ١٤-١٧] .

فهذا السياق القرآني في سورة البلد فيه الدلالة على فضل هذا العمل الجليل إذا قارنه

الإيمان بالله تعالى المتضمن للإخلاص في العمل وابتغاء ما عند الله تعالى .

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم [٢١٠/١٤] .

(٢) ينظر : فتح الباري [٧٢/١] ، والتحرير والتنوير [٣٨٤/٢٩] ، بتصرف .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

قال ابن كثير : " « ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا » أي : ثُمَّ هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمناً بقلبه ، محتسب ثواب ذلك عند الله عزَّ وجلَّ " .هـ^(١)

وقال الشوكاني : " وقيل المعنى : أنه أتى بهذه القُرب لوجه الله " .هـ^(٢)

وقد دلَّت السُّنة المطهرة على فضل إطعام الطعام ابتغاء مرضات الله تعالى في أحاديث كثيرة ، فمنها ما أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما أنَّ رجلاً سأل النَّبِيَّ ﷺ أي الإسلام خير فقال : « تَطْعَمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ » . (٣)

قال ابن حجر : " وخصَّ هاتين الخصلتين بالذكر لمسيب الحاجة إليهما في ذلك الوقت ، لما كانوا فيه من الجهد ، ولمصلحة التأليف " .هـ^(٤)

ولهذا لما دخل النَّبِيُّ ﷺ المدينة قال : « أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا وَالنَّاسَ نِيَامًا ، تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ » . (٥)

بل ربَّ القرآن الكريم على الحنث في اليمين الإطعام ، وجعله أول مراتب كفارة اليمين ، فقال تعالى : ﴿ فَكَفَّرْتُهُمْ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ... ﴾

[المائدة : ٨٩] .

(١) تفسير القرآن العظيم [٣٦٢/١٤] .

(٢) فتح القدير [٥٦٣/٥] .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب إطعام الطعام من الإسلام برقم (١٢) . ومسلم في كتاب الإيمان برقم (١٦٩) .

(٤) فتح الباري [٧٢/١] ، وينظر للاستزادة فتح الباري لابن رجب [٤٣/١] .

(٥) أخرجه الترمذي برقم (١٨٥٤) ، وابن ماجه برقم (٣٢٥١) ، وغيرهما ، وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح

سنن ابن ماجه [٣٣٤/٣] .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

والكفارة عبادة لا تصح إلا بنية خالصة ، وكذا كفارة قتل الصيّد للمحرم إذا غُدم المثل ،

قال تعالى : ﴿ أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ... ﴾ [المائدة: ٩٦] .

مما يدلُّ على دخول الإخلاص في هذه العبادة الجليلة .

ولهذا جعل سبحانه من أسباب دخول المشركين سقر عدم إطعام المساكين ، فقال تعالى :

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ

الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ [المدثر: ٤٢-٤٤] .

وقال عن المكذب بيوم القيامة : ﴿ وَلَا تَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ [الماعون: ٣] .

وذلك لعدم توحيد الله وإخلاصه وخلو قلبه من الإيمان بالله واليوم الآخر ، فظهر بهذا

أهمية الإطعام ، وأنه من مجالات الإخلاص التي يجب استحضار النية فيها .



المبحث الثاني عشر

﴿ الإخلاص في الوسيلة ﴾

الوسيلة لغة : من وسلت إلى الله بالعمل أسل - من باب وعد - رَغِبْتُ وتَقَرَّبْتُ ، ومنه اشتقاق الوسيلة ، وهي ما يتقرب به إلى الشيء .^(١)

وقال في النهاية : " هي في الأصل ما يتوسل به إلى الشيء ويتقرب به " .^(٢)

فتدل الواو والسين واللام على الرغبة والطلب والحاجة .^(٣)

فهي التوصل إلى الشيء برغبة .^(٤)

ومعناها شرعاً : ما يتقرب به إلى الله من الواجبات والمستحبات .^(٥)

قال في أضواء البيان : " التحقيق في معنى الوسيلة هو ما ذهب إليه عامة العلماء من أنها

التقرب إلى الله تعالى بالإخلاص له في العبادة ، على وفق ما جاء به الرسول ﷺ " .^(٦)

وقد ورد لفظ الوسيلة في موضعين اثنين من القرآن :

الموضع الأول : قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ

الْوَسِيلَةَ ... ﴾ [المائدة: ٣٥] .

(١) ينظر المصباح المنير [ص/٥٤٢] .

(٢) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر [١٦١/٥] .

(٣) ينظر معجم مقاييس اللغة [١١٠/٦] .

(٤) ينظر المفردات [٦٧٨/٢] .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام [١٩٩/١] .

(٦) أضواء البيان [٤٠٣/١] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

قال ابن جرير : " « وابتغوا إليه الوسيلة » ، يقول : واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه .
والوسيلة : هي الفعيلة ، من قول القائل : توصلت إلى فلان بكذا ، بمعنى : تقربت إليه ،
ومنه قول عنتره (١) :

إِنَّ الرَّجَالَ هُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِنَّ يَأْخُذُوكَ ، تَكْحَلِي وَتَحْضِي .

يعني بالوسيلة : القربة " . ه (٢)

فالله سبحانه يأمر المؤمنين بتقواه سبحانه وقصده بالتقرب بالإعمال الصالحة الموصلة إلى
مرضاته والجنة ، وهي العبادات التي يحبها الله ويرضاها ، والتي تفيد الحظوة لديه والقرب منه
والحب له .

فالتعريف في الوسيلة تعريف الجنس ، أي : كل ما تعلمون أنه يقربكم إلى الله ، أي :
يُنِيلُكُمْ رضاه وقبول أعمالكم لديه .

والجورور في قوله : « وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ » متعلق بـ « ابتغوا » ويجوز تعلقه بـ « الوسيلة »
وقدم على متعلقة للحصر ، أي : لا تتوسلوا إلا إليه لا إلى غيره ، فيكون تعريضاً بالمشركين . (٣)
ويدل لهذا المعنى من السُّنَّة الحديث القدسي المسمى حديث الولاية ، الذي أخرجه
البُخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : « مَن عَادَى
لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ،

(١) عنتره بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العبسي ، أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، أحد شعراء الطبقة الأولى
من أهل نجد ، يوصف بالحلم على شدة بطشه ، وفي شعره رقة وعذوبة ، اجتمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر ، وشهد
حرب داحس والغبراء ، عاش طويلاً ، وقتله الأسد الرهيص أو جبار ابن عمرو الطائي . ينظر الأعلام للزركلي [٩١/٥] .

(٢) ينظر جامع البيان [٢٩٠/١٠] .

(٣) ينظر التحرير والتنوير [١٨٧/٦] ، بتصرف .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أَحَبَبْتَهُ كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ،
وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي
لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ ، وما تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ
الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ . (١)

فَقَوْلُهُ : « تَقَرَّبَ إِلَيَّ » ، يَفِيدُ الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالطَّاعَاتِ ، وَهَذَا مِنْ
اِبْتِغَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ .

فَإِنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ تُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِذَا قَامَ بِهَا الْعَبْدُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ مِنْ
الْإِخْلَاصِ وَالْمُتَابَعَةِ وَحُضُورِ الْقَلْبِ . (٢)

فَظَهَرَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا طَرِيقَ يُوَصِّلُ إِلَى التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَوَلَايَتِهِ ، وَمُحَبَّتِهِ سِوَى طَاعَتِهِ
الَّتِي شَرَعَهَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ ، فَمَنْ ادَّعَى وَايَةَ اللَّهِ وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ ، وَمُحَبَّتَهُ بغيرِ هَذِهِ
الطَّرِيقِ ، تَبَيَّنَ أَنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ ، كَمَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِعِبَادَةٍ مِنْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ
دُونِهِ ، كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ... ﴾
[الزمر: ٣] . (٣)

وَبِهَذَا يَظْهَرُ دُخُولُ الْإِخْلَاصِ فِي الْوَسِيلَةِ الْمُقَرَّبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّهُ لَا يَحُوزُ اتِّخَاذَ وَسِيلَةٍ
لَمْ يَشْرَعْهَا اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ ﷺ .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب التواضع برقم (٦٥٠٢) ، وابن حبان في صحيحه برقم (٣٤٧) ، والبيهقي في
سننه الكبرى برقم (٦٦٢٢) ، وغيرهم من حديث أبي هريرة به .
(٢) ينظر شرح الأربعين النووية للشيخ ابن عثيمين [ص/٣٧٩] ، بتصرف .
(٣) ينظر جامع العلوم والحكم [٢/٣٣٦] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

الموضع الثاني في ذكر الوسيلة : قوله تعالى عن عباده الصالحين وحالهم مع الله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧] .

فقد أوضح سبحانه حال المدعوين من دونه سبحانه وعجزهم عن كشف الضر أو تحويله، وأهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة، ويتزلفون إليه بأنواع الطاعات والقربات، يرجون القرب منه والحظوة لديه بحصول رحمته، والسلامة والتجاة من عذابه .

وفي هذا إبطال لاتخاذ الصالحين أو الأنبياء أو الملائكة وسائط من دون الله بدعائهم وسؤالهم الشفاعة ونحوها .

فإن القرآن مُطَرِّدٌ في رد هذه الشبهة وإبطالها وإنكارها في آيات كثيرة .^(١)

وقد اختلف أهل التفسير فيمن نزلت ، على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها نزلت في نفر من الجنّ كان يعبدهم قوم من الإنس ، فأسلم الجنُّ ابتغاء الوسيلة عند ربهم ، وبقي الإنس على كفرهم ؛ قاله عبد الله بن مسعود .

الثاني : أنهم الملائكة كانت تعبدهم قبائل من العرب، وهذا مروى عن ابن مسعود أيضاً .

الثالث : هم وعيسى وأمه ، قاله ابن عباس ومجاهد .^(٢)

قال ابن جرير : " وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية قول عبد الله بن مسعود الذي روينا

عن أبي معمر عنه " هـ .^(٣)

(١) ينظر للاستزادة مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام [١٤٢/١-٣٦٨] ، فقد أفاض رحمه الله في بيان الوسيلة ، ورد

شبهات المشركين ، وينظر قاعدة في الوسيلة ت علي الشبل [ص/٤٧-٨٥] .

(٢) ينظر النكت والعيون [٢٥١/٣] ، وينظر لباب النقول [ص/١٢٣] .

(٣) ينظر جامع البيان [٦٣١/١٤-٦٣٢] .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

قال ابن حجر : " وهذا هو المعتمد في تفسير هذه الآية " هـ^(١)

وهذه الأقوال كلها حق فلا تعارض بينها ، وإنما المقصود من هذه الآية الكريمة بيان أن طلب القرب إنما يكون من الله تعالى وحده لا شريك له ، فقصدته سبحانه بالوسيلة هو الواجب المتعين خلافاً لما عليه المشركون .

ويؤيد هذا المعنى قوله سبحانه : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلهةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَّغُوا

إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٢] .

" أي : لا بتغوا إلى الله تعالى بالتقرب إليه ، والعبادة والسؤال له " .^(٢)

وهذا التفسير الصحيح المناسب لسياق الآية اللائق به سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون

علواً كبيراً .^(٣)

ولهذا ترجم الشيخ محمد بن عبد الوهاب بهذه الآية في كتاب التوحيد : " (باب تفسير

التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله) وقول الله تعالى : « أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ
الْوَسِيلَةَ ... » .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله : فتبين أن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله هو :

ترك ما عليه المشركون من دعوة الصالحين ، والاستشفاع بهم إلى الله في كشف الضر وتحويله ،

فكيف ممن أخلص لهم الدعوة . هـ^(٤)

(١) فتح الباري [٢٤٩/٨] .

(٢) ينظر تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية [٢١٧/٤] .

(٣) ينظر للاستزادة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية [٢١٨-٢١٩/٤] .

(٤) تيسير العزيز الحميد [ص/١٠٣] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

فقدم سبحانه الجار والمجرور على لفظ (الوسيلة) ليفيد الحصر والقصر ، فلا يتوجهون في طلب حاجاتهم إلا إلى الله وحده ، ولا يتقربون بالأعمال الصالحة إلا إليه ، فهو المالك وما سواه مملوك .

وقد جاء بلفظ الربوبية دون لفظ الألوهية قوله تعالى : « يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ » ولم يقل : يبتغون إلى الله الوسيلة ؛ لأنَّ إجابة الدعاء ، والإثابة ، هي : من مفردات الربوبية ؛ لأنَّ ربوبية الله على خلقه تقتضي أن يُجيب دعاءهم وأن يُعطيهم سُؤلهم " هـ (١)

وقال في (قُرَّة عيون الموحدين) : فتدبَّر هذه الآية العظيمة يتبيَّن لك التوحيد ، وما ينافيه من الشرك والتنديد ، وأعظم الوسائل إلى الله تعالى التَّوْحِيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله ، وخلق الخلق لأجله .

ومن التوسُّل إليه التوسُّل بأسمائه وصفاته ، كما قال تعالى : « وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ... » [الأعراف : ١٨٠] ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة الخالصة التي لم يشبها شرك ، فالتوسُّل إلى الله هو بما يحبه ويرضاه ، لا بما يكرهه ويأباه هـ (٢)

فقد بيَّن رحمه الله التوسُّل المشروع ، الذي شرع الله ورسوله ممَّا يحبُّه ويرضاه ، والتوسُّل الممنوع ممَّا يكرهه الله ويأباه مما كان فيه شائبة من شوائب الشرك .

فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسُّل إليه باتِّباع ما جاء به الرسول ، لا وسيلة لأحد إلى الله إلا ذلك . (٣)

(١) ينظر التمهيد لشرح كتاب التوحيد [ص/٨٠] .

(٢) قُرَّة عيون الموحدين [ص/٤٤] ، باختصار .

(٣) ينظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام [١/١٩٩-٢٠٠] .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

فظهر بهذه الآية دخول الإخلاص في الوسيلة ، وأنها لا تكون لغير الله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل .

وأما التوسل بدعاء الصالحين الأحياء بطلب الدعاء منهم فلا ينافي التوحيد والإخلاص فقد قال عمر رضي الله عنه حين خرج يستسقي بالمسلمين : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ؟ قال : فيسقون » .^(١)



(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا فحطوا برقم (٩٦٤) ، والبيهقي في سننه الكبرى برقم (٦٤٢٧) .

المبحث الثالث عشر

الإخلاص في الجهاد

الجهاد لغة : مأخوذ من مادة (ج ه د) الدالة في الأصل على المشقة .^(١)

واصطلاحاً : هو استنفاغ الوسع بمدافعة العدو .^(٢)

قال ابن حجر : " هو بذل الجهد في قتال الكفار ، ويطلق على مجاهدة النفس والشيطان والفُسَّاق والكفَّار " .^(٣)

والجهاد من أعظم العبادات وأجلِّ القُرْبَات ، وهو ذروة سنام الإسلام .

ولمَّا كان بهذه المثابة العظيمة والمنزلة الرَّفِيعَة ، أصبح مجالاً من مجالات الإخلاص لا يصح ولا يقبل عند الله بدون إخلاص .

وقد وردت الآيات القرآنية في بيان افتقار الجهاد إلى الإخلاص لله تعالى ، ودخول الإخلاص فيه ، فمن الآيات الواردة في هذا قوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ... ﴾ [الحج : ٧٨] .

قال الواحدي : " ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ ﴾ في سبيل الله ، ﴿ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ بنيةً صالحةً .^(٤)

وقال أكثر المفسرين : " ﴿ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ أن تكون نيته خالصة صادقة لله عزَّ وجلَّ .^(٥)

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة [٤٨٦/١] .

(٢) ينظر المفردات [٢٠٨/١] .

(٣) ينظر فتح الباري [٥/٦] .

(٤) الوجيز [٧٤٢/١] .

(٥) ينظر معالم التنزيل [٣٦٩/٤] .

الإخلاص في القرآن الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

وذلك أنّ الجهاد من الأعمال الصالحة التي لا تكون مقبولة عند الله إلا بالإخلاص ؛
فلذا أكّد سبحانه عليها في هذه الآية .

والجهاد المأمور به في هذه الآية ليس مقصوداً على جهاد الكفار فحسب ، بل هو أعمّ
من ذلك ، فيشمل جهاد النفس على طاعة الله تعالى كما قال النبي ﷺ : « **والمُجاهد**
من جَاهَد نفسه في طاعةِ الله » .^(١)

كما يشمل الجهاد باللسان والدعوة والبيان ، وجهاد الشيطان ، وجهاد المنافقين .^(٢)
قال ابن القيم في معنى الآية : " فحق جهاده أن يُجاهد العبد نفسه ليسلم قلبه ولسانه
وجوارحه لله فيكون كله لله وبالله لا لنفسه ولا بنفسه " .^(٣)

وما ذكره - رحمه الله - هو حقيقة الإخلاص لله تعالى وإرادة وجهه ، فيكون الله تعالى
مقصوده وغايته ، فيسعى في ابتغاء مرضاته .

قال ابن عطية : " وقالت فرقة بل هي أعمّ من هذا ، وهو جهاد النفس وجهاد الكافرين
وجهاد الظلمة وغير ذلك ، أمر الله تعالى عباده بأن يفعلوا ذلك في ذات الله حق فعله ،
والعموم حسن " .^(٤)

وفي قوله تعالى : « **فِي اللَّهِ حَقٌّ** » إشارة بيّنة لإخلاص النيّة وحسن القصد في هذه
العبادة الجليلة .

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في مسنده برقم (٢٣٩٥٨) من حديث فضالة بن عبيد . وعنه الترمذي أيضاً في فضائل
الجهاد برقم (١٦٢١) ، دون زيادة (في طاعة الله) ، وقال : حديث حسن صحيح . وابن حبان في صحيحه برقم
(٤٦٢٤-٤٧٠٦) ، والحاكم في مستدركه (٢٤) ، وغيرهم ، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع برقم (٢٠٠٩) .

(٢) ينظر للاستزادة زاد المعاد [١١-٩/٣] .

(٣) زاد المعاد [٨/٣] .

(٤) المحرر الوجيز [٣٢٥/١٠] .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

قال أبو السعود : « وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ » ، أي : لله تعالى ولأجله " .^(١)

ولهذا أكد الله تعالى على الإخلاص بقوله: « حَقَّ جِهَادِهِ » الدال على معنى الإخلاص.

قال في (زاد المسير) : " فأما حق الجهاد ، ففيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الجِدُّ في المجاهدة ، واستيفاء الإمكان فيها .

والثاني : أنه إخلاص النِّيَّة لله عزَّ وجلَّ .

والثالث : أنه فعل ما فيه وفاء لحق الله عزَّ وجلَّ " .^(٢)

والحق أن هذه الأقوال من اختلاف التنوع فتحمل الآية عليها جميعاً، إذ لا تعارض بينها.

فحق جهاده هو : أداء ما فرضه الله والوفاء بحقه ، بجدِّ ومجاهدة واستفراغ الوسع بنية

خالصة لله تعالى .

فظهر بهذه الآية الكريمة دخول الإخلاص في الجهاد بجميع أنواعه وصوره ، وأنه من

أعظم المجالات التي تتطلب الإخلاص لله تعالى .

ومن المواضع القرآنية الدالة على دخول الإخلاص في الجهاد ، وارتباطه به قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ

اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨] .

فقوله تعالى : « أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ » إشارة إلى النِّيَّة الصالحة والقصد الحسن

الحامل لأولئك الأخيار على الجهاد والهجرة ؛ إذ لفظ « الرَّجَاء » من الألفاظ التي يعبر بها في

القرآن عن الإخلاص كما سبق بيانه في الفصل الأول .

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم [١٢٢/٦] .

(٢) زاد المسير [٤٥٥/٥-٤٥٦] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

فظهر بهذه الآية دخول الإخلاص في الجهاد ، وأنه مجال من المجالات التي تتطلب الإخلاص لله تعالى فيها .

ولقد كان الإخلاص في الجهاد ، وصدق اللقاء ، والثقة بالله سبب نصر الله لعباده المرسلين وأوليائه المخلصين وحزبه المفلحين .

ولَمَّا سُئِلَ ﷺ عن الرجل يُقاتل حمية ، ويُقاتل شجاعة ، ويُقاتل رياءً ، فأَيُّ ذلك في سبيل الله ؟ قال : « مَن قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .^(١)

فضرب ﷺ صفحاً عن تلك المقاصد كلها وأكد على شأن الإخلاص .

ففي الحديث دليل على وجوب الإخلاص في الجهاد ، وتصريح بأن القتال للشجاعة والحمية والرياء خارج عن ذلك .^(٢)

وقد ثبت من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال : جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ ، فقال : رأيت رجلاً غزاً يلتمس الأجر والذكر ماله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا شيء له » . فأعادها ثلاث مرات ، يقول له رسول الله ﷺ : « لا شيء له » . ثم قال : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصاً وَابْتِغَى بِهِ وَجْهَهُ » .^(٣)

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب من سئل وهو قائم عالم جالساً برقم (١٢٣) ، ومسلم في كتاب الإمارة برقم (١٩٠٤) ، وأبي داود في كتاب الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا برقم (٢٥١٩) ، والترمذي في كتاب فضائل الجهاد باب من قاتل رياءً وللدنيا برقم (١٦٤٦) ، وغيرهم من حديث أبي موسى الأشعري به .

(٢) ينظر إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام [٣١٨/٢] .

(٣) أخرجه النسائي في كتاب الجهاد باب من خرج يلتمس الأجر والذكر برقم (٣١٤٠) ، وفي سننه الكبرى برقم (٤٣٤٨) . وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير برقم (٧٥١٣) ، وفي الأوسط برقم (١١١٢) ، والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الجامع برقم (٢٧٣٧) .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

فصرَّح عليه الصَّلَاة والسَّلَام بوجوب الإخلاص في الجهاد ، وأثره في قبوله عند الله تعالى ، وحصول الأجر والثَّواب ، ويؤكِّد هذا المعنى قوله ﷺ : « لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ » . (١)

فقوله : « وَنِيَّةٌ » يعني : " أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ بَعْدَ الْفَتْحِ هِجْرَةٌ ، إِنَّمَا هُوَ الْإِخْلَاصُ فِي الْجِهَادِ وَقِتَالِ الْكُفَّارِ " . (٢)

ولهذا كان « أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا ، فَقَالَ : مَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، فَقَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ : هُوَ جَرِيءٌ ، وَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَيَّ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ... الْحَدِيثُ » . (٣)

وقد قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ... ﴾ [النساء: ٧٦] .

فَعَايِرَ سَبْحَانَهُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَمَايزَ بَيْنَهُمَا مِنْ جِهَةِ النِّيَّةِ وَالْقَصْدِ ، فَشَتَّانَ بَيْنَ مَنْ قَاتَلَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ ، وَمَنْ قَاتَلَ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب فضل الجهاد والسير ، برقم (٢٦١٣) . ومسلم في كتاب الإمارة برقم (٤٩٣٨) ، والترمذي في كتاب السير باب الهجرة برقم (١٥٩٠) ، وأحمد في مسنده برقم (١٩٩١-٣٣٣٥) ، وابن حبان في صحيحه برقم (٤٥٩٢) ، وغيرهم من حديث ابن عباس به .

(٢) ينظر جامع الأصول [٥٦٥/٢] .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة برقم (٥٠٣٢) ، والنسائي في كتاب الجهاد باب من قاتل ليُقَالَ فلان جريء برقم (٣١٣٧) ، وأحمد في مسنده برقم (٨٢٧٧) ، وغيرهم من حديث أبي هريرة به .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

" وبحسب إيمان العبد يكون جهاده في سبيل الله ، وإخلاصه ومتابعته " . (١)

ولهذا ثبت الله المؤمنين على الجهاد في سبيله ، وهيجهم على قتال العدو بذكر الباعث على الجهاد ، والدافع الحقيقي الذي حملهم على بذل متهجهم وأرواحهم وأموالهم وهو الإخلاص له تعالى ، ورجاء ثوابه ، فقال : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ^ط إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ ^ط وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ^ط وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٤] .

فإن للإخلاص لله تعالى في الجهاد أثراً كبيراً على المجاهدين ثباتاً عند اللقاء ، وصبراً على البأساء ، وإثخانا للعدو فالمؤمنون يرجون من الله الفوز بثوابه والنجاة من عقابه ، والنصر على الأعداء ، وإعلاء كلمة الله مما يوجب لهم مزيداً من القوة والثبات بخلاف غيرهم .
وبهذا يتجلى الإخلاص لله تعالى في الجهاد بجميع صورته وأنواعه .



(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٢٠٢] .

المبحث الرابع عشر

الإخلاص في الصدقة وبذل المعروف والإصلاح بين الناس

إن من أفضل العبادات وأجلّ القربات ما تعدى نفعه وعظم أثره ذلك أن الشرع الحكيم يُرغّب في إيصال الخير للغير ، ونفع النَّاس وبذل الخير لهم بكل طريق مشروع .
ومن هذه الأعمال الأمر بالصدقة بشتى أنواعها وجميع صورها ، وبذل المعروف الذي عرف في الشرع والعرف حُسْنُهُ ، والإصلاح بين النَّاس وإزالة الخلاف والخصومة ، فهي أعمال برّ وخير في أصلها .

فإذا قارنها بالإخلاص لله تعالى ، وابتغى بها وجه الله تعالى كان خيراً على خير ، وبراً على برّ ، وحاز فاعلها الأجر العظيم في الآخرة .

لذا قال الله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤] .

والمعروف يعم جميع أفعال البرّ .^(١)

وقد أكّد سبحانه على الإخلاص في هذه الأعمال فقال : « وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » .

قال ابن كثير : " أي : مُخلصاً في ذلك محتسباً ثواب ذلك عند الله عزّ وجلّ ، « فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » أي : ثواباً كثيراً واسعاً " .^(٢)

(١) ينظر زاد المسير [٢٠٠/٢] ، بتصرف .

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم [٢٧٤/٤] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

ولعلَّ السر في إفراد هذه الأنواع الثلاثة بالذكر أنَّ عمل الخير المتعدي إلى النَّاس إما لإيصال المنفعة أو لدفع المضرة ، والمنفعة إمَّا جُسمانية كإعطاء المال وإليه الإشارة في قوله : « بَصَدَقَةٍ » ، وأمَّا رُوحانية وإليه الإشارة بالأمر بالمعروف ، وأمَّا دفع الضرر فقد أُشير إليه بقوله : « أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ » .^(١)

فانظر إلى عِظَم الإخلاص في حصول الأجر العظيم الذي لا يعلم قدره وعظمه إلاَّ الله تعالى .

فهذه الأشياء حيثُما فعلت فهي خير ، كما دلَّ على ذلك الاستثناء ، ولكن كمال الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص .^(٢)

فدلَّ على أنَّ كونها خيراً وصف ثابت لها لما فيها من المنافع ، ولأنَّها مأمور بها في الشرع، إلاَّ أنَّ الثواب لا يحصل إلاَّ عن فعلها ابتغاء مرضاة الله ، كما في حديث « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » .^(٣) فمدار الأعمال كلها على النية ، وإنَّما تعظم الأعمال عند الله أو تصغر بحسب قصد فاعلها ونيته .

فإنَّ من النَّاس مَنْ يبذل المعروف أو يأمر به تفاخراً أو رياءً أو ابتغاء منزلة عند النَّاس فلا تنفعه عند الله تعالى ، وقد يحصل له ما أراد في الدنيا .

قال ابن رجب : " نفى الخير عن كثير ممَّا يتناجى النَّاس به إلا في الأمر بالمعروف ، وخصَّ من أفراده الصَّدقة والإصلاح بين النَّاس لعموم نفعها ، فدلَّ ذلك على أنَّ التناجى بذلك خير ، وأمَّا الثواب عليه من الله فخصَّه بمن فعله ابتغاء مرضات الله ...

وهذا بخلاف من صلَّى وصام وذكر الله يقصد بذلك عَرَض الدنيا ، فإنَّه لا خير له فيه

بالكلية " هـ .^(٤)

(١) ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم [٢٣٢/٢] .

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٢١٩] .

(٣) ينظر التحرير والتنوير [٢٠٠/٥] .

(٤) جامع العلوم والحكم [٦٧/١] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

وبهذا الكلام المحقق يتبين دخول الإخلاص في هذه الأعمال ، وأنه شرط لحصول الأجر العظيم عند الله تعالى ، فإذا وُجد الإخلاص لله تعالى في هذه الأعمال وجد الأجر العظيم بإذن الله تعالى ، وإذا عدم الإخلاص عدم الأجر .

بيد أن الألوسي^(١) خالف هذا المعنى فقال : " وفي دلالة الآية على أن غير المخلص لا يستحق غير الحرمان ، نظر لأنه سبحانه أثبت فيها للمخلص أجراً عظيماً وهو لا يُنافي أن يكون لغيره ما دونه " هـ^(٢) .

وفيما ذكره الألوسي نظر ظاهر .

فإن الله ذكر الابتغاء قيداً لحصول الأجر ، وعظمة الأجر لا مفهوم لها على حصول مطلق الأجر من غير نية صالحة .

فإن الله تعالى كثيراً ما يصف الأجر والثواب في القرآن بأوصاف متعددة من الكثرة والعظمة والكرم ونحوها .

فقد جعل الله ذلك خيراً ، ولم يرتب عليه الأجر إلا مع نية الإخلاص ، وابتغاء مرضاته سبحانه .

وبهذا يتبين دخول الإخلاص في هذه الأعمال الصالحة .



(١) هو : السيد شهاب الدين محمود بن السيد عبد الله أفندي الحسيني الألوسي ، أبو الثناء البغدادي ، والألوسي نسبة إلى (ألوس) من أعمال هيت في غرب العراق ، ينتهي نسبه الشريف من جهة الأب إلى الحسين ، ومن جهة الأم إلى الحسن، فقيه بغدادي من قضاة الشافعية ، كان سلفي الاعتقاد ، مجتهداً ، مفسراً ، محدثاً ، أديباً ، من المحددين ، وله مؤلفات عدة منها تفسيره المشهور روح المعاني ، توفي سنة ١٢٧٠ هـ . ينظر : الأعلام للزركلي [١٦٧/٧] ، ومشاهير علماء نجد وغيرهم [٨١/٢] .

(٢) روح المعاني [٢١٣/٤] .

المبحث الخامس عشر

﴿ الإخلاص في تلاوة القرآن ﴾

التلاوة لغة : مصدر تلا الشيء يتلوه ، وهذا المصدر مأخوذ من مادة (ت ل و) الدالة على معنى الإتيان . (١)

تلا الشيء أي : أتبعه متابعة ، ليس بينهما ما ليس منها ، ومنه القراءة وتدبر المعنى . (٢)
إنَّ تلاوة القرآن الكريم من العبادات الجليلة التي أمر الله تعالى بها ورعَّب فيها وأثنى على أهلها في آيات متعددة من القرآن .

فهي مجال رحب للتقرب إلى الله تعالى ، ونيل مرضاته ممَّا يتطلب الإخلاص لله تعالى فيها رغبة في ثوابه ، وطمعاً في حسن جزائه .

فقد أمر بها نبيّه ﷺ فقال : ﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ... ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .

وقال أيضاً : ﴿ وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٧] .

أمر الله عزَّ وجلَّ نبيّه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يتلو هذا القرآن الذي أوحاه إليه ربه جلَّ وعلا .

والأمر شامل للتلاوة بمعنى القراءة ، والتلو بمعنى الإتيان . (٣)

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة [٣٥١/١] .

(٢) ينظر لسان العرب [١٠٢/١٤] .

(٣) ينظر أضواء البيان [١١١/٤] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

والأمر للنبي ﷺ أمرٌ لأُمَّتِهِ من بعده ، ولا شك أنّ التلاوة بمعنيها يشترط لها الإخلاص لله تعالى لتكون عند الله مقبولة ويحصل التالي الأجر الجزيل والثواب العظيم .
قال القرطبي رحمه الله : " اعلم أنّ هذا الباب واسع كبير ، أَلَّفَ فيه العلماء كتباً كثيرة ، نذكر من ذلك نُكْتاً تدل على فضله ، وما أعدّه الله لأهله ، إذا أخلصوا الطلب لوجهه ، وعملوا به " هـ^(١)

فالإخلاص في التلاوة شرط للقبول ، فمتى غُدمت النيةُ غُدم القبول ، بل واستحق الإثم على قصد غير الله .

فقد ورد الوعيد الشديد لقارئ القرآن رياءً وسُمةً ، حيث يُؤتى به يوم القيامة « فيعرّفه الله نِعْمَهُ فيعرّفها ، ثم يقول الله له : ما عملت فيها ؟ فيقول : قرأت القرآن فيك ، فيقول الله له : كذبت ، ولكنك قرأت ليُقَال : هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسُحِب على وجهه حتّى أُلقي في النار » .^(٢)

فأئى حزي وأئى فضيحةٍ أعظم من تكذيب الله له ؟ ! وماذا أغنى عنه ثناء النَّاس عليه ومدحهم له ؟ ! فضلاً عن الوعيد بالنار عياداً بالله منها .

ولهذا عطف الأمر بتلاوة القرآن على عبادته من باب عطف الخاص على العام ، فقال :

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ... ﴾ [النمل: ٩١-٩٢] .

فهذا العطف والتخصيص يفيد العناية بهذه العبادة العظيمة ، وأثرها على النَّفس ، كما يفيد دخول التلاوة في معنى العبادة التي يحبها الله ويرضاها إذا قارنها بالإخلاص له سبحانه .
وهذا يستدعي استحضار النية في تلاوة القرآن ، واحتساب الأجر من الله تعالى .

(١) الجامع لأحكام القرآن [٩/١] .

(٢) هو حديث أبي هريرة الذي تقدم تخريجه ينظر [ص/٣٠٧] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

فإنَّه تعالى نصَّ على شهوده وعلمه بتلاوة نبيِّه ورسوله لكتابه ، واطلاعه عليه ، ليكون أقوى في شحذ همَّته ، وتقوية عزيمته ، وتثبيت قلبه عند تلاوة القرآن ، فقال : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ... ﴾ [يونس: ٦١] .

وفي هذه الآية الكريمة دعوة إلى الإخلاص لله تعالى ، واستحضار علمه واطلاعه عند القيام بأيِّ قول أو عمل ، ومنها تلاوة القرآن ، فمن أيقن بعلم الله به واطلاعه عليه وشهوده تلاوته وعمله ، حمله ذلك على ابتغاء وجهه والإخلاص له سبحانه .

قال ابن كثير : " يخبر تعالى نبيِّه صلوات الله عليه وسلامه أنَّه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته ، وجميع الخلائق في كل ساعة وآن ولحظة ، وأنَّه لا يعزُّب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين " .^(١)

وبهذا يتبيَّن عظم سعة علم الله تعالى ، ممَّا يوجب على العبد إخلاص جميع أقواله وأفعاله لله تعالى ، وأنَّ يريد بتلاوة كتابه وجه الله والدَّار الآخرة ، فإنَّها التجارة الرَّابحة التي لا تخسر .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٦﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠] .

كان مُطَرِّف بن عبد الله يقول : " هذه آية القراء " .^(٢)

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم [٣٧٤/٧] .

(٢) ينظر جامع البيان [٤٦٣/٢٠] .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

فإنَّ اللهَ ذكرَ في مقدمة هذه الأعمال الجليلة تلاوة كتابه ، تشریفاً وتعظيماً وتنويهاً بشأن هذا العمل ، وقرنه بأجلِّ العبادات وأفضلها من إقامة الصَّلَاة والإنفاق زيادةً في التعظيم والتشريف .

وبيَّن سبحانه الدافع الحقيقي لهذه الأعمال الصالحة فقال: « يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ » . وفي هذا دلالة على أهمية الإخلاص ووجوبه في هذه الأعمال بخاصَّة ، كما هو واجب في غيرها بعامة .

قال ابن جرير : " وقوله : « يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ » ، يقول تعالى ذكره : يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تبور : لن تكسب ولن تهلك ، من قولهم : بارت السُّوق ، إذا كسدت وبار الطعام " . هـ (١)

وهذا فيه أنَّه يخلصون بأعمالهم ، وأنَّهم لا يرجون بها من المقاصد السيئة والنِّيَّات الفاسدة شيئاً . (٢)

وبهذا يظهر دخول الإخلاص في تلاوة القرآن .



(١) جامع البيان [٣٦٥/١٩] .

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٨٠٩] .

المبحث السادس عشر

الإخلاص في الحياة كلّها

بعد هذا العرض اليسير لبعض مجالات الإخلاص المتعددة في القرآن الكريم يتبيّن شمول الإخلاص لكثير من جوانب حياة المسلم ، ودخوله في مجالات كثيرة يصعب حصرها واستقصاؤها ممّا دلّ عليها القرآن أو أشار إليها .
فالنّيّة لها أثر كبير في الأعمال والأقوال ، وتدخل في أبواب العبادات والمعاملات بل والعبادات .

وقد دلّ القرآن الكريم على هذا الشمول في مواضع متعددة ، لتكون حياة المسلم كلها عبادة وطاعة لله تعالى ، ولتقوى صلته برّبّه وخالقه فتطمئن نفسه وينشرح صدره ، ويحيا حياة طيّبة كريمة إنّ أعطى أعطى الله ، وإنّ منع منع الله ، وإنّ أحب أحب الله ، وإنّ أبغض أبغض الله، فهو بالله ومع الله والله .

وقد سبق الحديث في الفصل الثاني عن شمول الإخلاص لمناحي الحياة في مبحث مستقل، دليلاً على أهميّة الإخلاص ومكانته .

والحديث في هذا المبحث عن كون الإخلاص لله تعالى يدخل في جوانب الحياة المختلفة، وأنّ مجالاته لا تقتصر على الشعائر التبعديّة فحسب ، بل تشمل مناحي الحياة المختلفة ، وميادينها المتنوّعة .

فمتى استحضر العبد النّيّة الخالصة في كل ما يأتي ويذر ، فأراد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة ، صارت حياته مجالاً رحباً ، وميداناً فسيحاً للإخلاص .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

ولذا كان من القواعد الكلية المستنبطة من الكتاب والسنة قاعدة «الأمر بمقاصدها»،^(١) فهي قاعدة كلية يندرج تحتها كثير من الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادات والمعاملات .

فمن الآيات الدالة على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

فقوله تعالى : « (وَمَحْيَايَ) » ، شامل لما يأتيه المرء في حياته من أقوال وأفعال وما يذره منها .

فهذه الآية أمر من الله عز وجل للنبي ﷺ بأن يعلن بأن مقصده في صلاته وطاعته من ذبيحة وغيرها ، وتصرفه مدة حياته وحاله من الإخلاص والإيمان عند مماته إنما هو لله عز وجل، وإرادة وجهه وطلب رضاه ، وفي إعلان النبي ﷺ بهذه المقالة ما يلزم المؤمنين التأسى به حتى يلتزموا في جميع أعمالهم قصد وجه الله عز وجل .^(٢)

وإنما خصَّ سبحانه وتعالى الصلاة والنحر بالذكر دون غيرها من العبادات الأخرى لشرفهما وفضلهما .

ومن أخلص في صلاته ونُسكه ، استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله .^(٣) وذلك لأن الإخلاص لله تعالى في هاتين العبادتين العظيمتين تقوي صلة العبد بربه وخالقه ، فإن الصلاة تتكرر في اليوم والليلة خمس مرات فأكثر ، وكذلك النُسك من الذبح والحج وغيرها من الطاعات التي تستلزم حصول الإخلاص في غيرها من الأعمال ، لأن الله هو المعبود الحق المقصود بكل عمل ، فوجب الإخلاص له سبحانه .

(١) ينظر في معنى هذه القاعدة وتفريعاتها الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية للدكتور محمد صدقي البورنو [ص/١٢٢] .

(٢) ينظر المحرر الوجيز [٤٣٤/٢] .

(٣) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٣١٧] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

قال ابن سعدي : " فإذا حقق النيّة في العبادات ، فليغتنم النيّة في المباحات والعادات ، فليجعلها بالنيّة الصالحة عبادة ، فينوي كل مباح يشتغل به ، من أكل وشرب وكسوة ونوم وراحة وتوابعها ، يقصد بها الاستعانة على طاعة الله ، والقيام بواجب النفس والأهل والعائلة ، ويستحضر عند كل جزء من أجزاء عاداته تلك المقاصد الجليلة ، ليكون قلبه على الدوام ملتفتاً إلى ربّه ، مُنيباً إليه متعبداً .

فإذا ذهب إلى دُكَّانِهِ ، نوى مباشرة البيع والشراء المباح ، وقصد الصّدق والنُصح في بيعه وشرائه ، والتيسير على المسلمين ، ونوى القيام على أهله ونحو ذلك " هـ^(١)

كما قال بعض السلف : " إنيّ لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي " .^(٢)

بل كما قال النبي ﷺ في عمله في السر : « أُصَلِّي وَأَنَامُ ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » .^(٣)

فعدّ صلوات الله وسلامه عليه نومه وفطره ونكاحه من سنّته التي من رغب عنها فليس منه، ممّا يدلُّ على سعة مفهوم العبادة ، وشمول الإخلاص لمناحي الحياة .

قال ابن حجر : " المراد بالسُّنة الطريقة لا التي تقابل الفرض ، والرغبة عن الشيء الأعراض عنه إلى غيره ، والمراد من ترك طريقيّ وأخذ بطريقة غيري فليس مِنِّي ، وطريقة النَّبي ﷺ الحنيفية السمحة ، فيفطر ليتقوى على الصَّوم ، وينام ليتقوى على القيام ، ويتزوَّج لكسر الشهوة وإعفاف النَّفس وتكثير النَّسل " هـ^(٤)

(١) ينظر الرياض النضرة لابن سعدي [ص/٢٠٢-٢٠٤] .

(٢) القائل هو معاذ بن جبل ، كما جاء في صحيح البخاري في كتاب العلم باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع تحت الحديث رقم (٤٣٤١-٤٣٤٢) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح برقم (٥٠٦٣) ، ومسلم في كتاب النكاح برقم (٣٤٩٦) ، والنسائي في كتاب النكاح باب النهي عن التبتل برقم (٣٢١٧) ، وأحمد في مسنده برقم (١٣٥٣٤) ، وغيرهم من حديث أنس به .

(٤) ينظر فتح الباري [٣٠٥/٢] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

ويوضح هذا الحديث أيضاً ، قوله ﷺ في حديث أبي ذر رضي الله عنه : « وفي بُضْع أحدكم صدقة » ، قالوا يا رسول الله : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : « أرأيتم لو وضعها في حرام ، أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال ، كان له أجراً » .^(١)

قال ابن رجب : " وظاهرُ هذا السياق يقتضي أنه يُوجَرُ على جماعه لأهله بنية طلب الولد الذي يترتبُ الأجر على تربيته وتأديبه في حياته ، ويحتسبه عند موته ، وأمّا إذا لم ينو شيئاً بقضاء شهوته ، فهذا قد تنازع النَّاسُ في دخوله في هذا الحديث " هـ.^(٢)

والصَّواب - والله أعلم - أنَّ هذا الإطلاق مقيد بما جاء في أحاديث أخرى بإخلاص النية لله فتحمل الأحاديث المطلقة عليه ، كما في قوله ﷺ لسعد رضي الله عنه : « إنك لن تُنفق نفقةً تبتغي بها وجهَ الله إلا أُجرتَ عليها ، ... الحديث » .^(٣)

وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أربعون خصلةً ، أعلاهنَّ منيحةُ العنز ، ما من عاملٍ يعمل بخصلةٍ منها رجاء ثوابها ، وتصديق موعودها ، إلا أدخله الله بها الجنة » .^(٤)

فاشترط في هذين الحديثين لهذه الأعمال كلها إخلاص النية .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة برقم (٢٣٢٩) ، وأحمد في مسنده برقم (٢١٤٧٣-٢١٤٨٢) ، وابن حبان في صحيحه برقم (٤١٦٧) ، وغيرهم .

(٢) ينظر جامع العلوم والحكم [٦٢/٢] .

(٣) سبق تخريجه ، [ص/٢٧٦] .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها ، باب فضل المنيحة ، برقم (٢٤٨٨) . وأبو داود في كتاب الزكاة برقم (١٦٨٣) ، وأحمد في مسنده برقم (٦٣٨١) ، وغيرهم .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

فدلّت هذه النصوص على سعة الإخلاص وشموله لكثير من الأعمال إذا حضرت النيّة وأريد بها وجه الله تعالى .

ومن المواضع الدّالة على دخول الإخلاص وشموله للحياة كلها ، قوله تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ... ﴾ [القصص: ٧٧] .

فقد أخرج ابن جرير بسنده عن عون بن عبد الله ((وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)) قال : إنّ قوماً يضعونها على غير موضعها ، ولا تنس نصيبك من الدنيا : تعمل فيها بطاعة الله . وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وغيرهم .^(١)

وقال ابن كثير في قوله : " ((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ)) ، أي : استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة ، في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات ، التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة " .^(٢)

وما ذكره وجيه جداً دلّ عليه سياق الآية بأنّ يتغي المرء في كل ما آتاه الله من النعم من الصّحة والمال والولد ونحوها وجه الله تعالى والدار الآخرة .

قال جمهور المفسرين : وهو أنّ يعمل في دنياه لآخرته ، ونصيب الإنسان : عمره الصالح.^(٣)

وهذا أليق بالنظم القرآني ، وسياق الآية .

(١) ينظر جامع البيان [١٩/٥٢٤-٥٢٥] .

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم [١٠/٤٨٢] .

(٣) ينظر فتح القدير [٤/٢٦٦] .

الإخلاص في القرآن _____ الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن

ومن الآيات المؤكدة على هذا الشمول قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧] .

فهذه أحكم آية في القرآن الكريم ، وقد عمّت كل خير يعمله الإنسان في هذه الدنيا
مبتغياً به وجه الله تعالى .

ففي هذه الآية الترغيب في فعل الخير ولو كان قليلاً ، وقد نكّر سبحانه الخير ليعمّ أنواع
الخير كلها ، فلا يقتصر على نوع دون آخر ، وهذا في غاية الشمول والسعة .

وغير خافٍ كما سبق أنّ الجزاء على هذه الأعمال الخيرة معلق بالإخلاص لله تعالى .



الفصل السابع

آثار الإخلاء في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : آثاره على الفرد .
- المبحث الثاني : آثاره على المجتمع .
- المبحث الثالث : آثاره في الآخرة .

المبحث الأول

آثاره على الفرد

إنَّ الإخلاص لله تعالى عمل جليل يثمر ثمرات يانعة ، وينتج آثاراً مباركة ، يجنيها الفرد في حياته الدنيوية والأخروية .

وهذا المبحث أقتصر فيه على جملة من آثار الإخلاص على الفرد ، كما دلَّ عليها القرآن الكريم ، وقد بلغت ثمانية آثار ، وهي على النحو الآتي :

الأثر الأول : الخلاص من الفتن .

فالإخلاص سبب عظيم وأثر كبير في خلاص المخلص من الفتن .
والفتن جمع فتنه ، والفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على الابتلاء والاختبار .^(١)
قال ابن حجر : " وأصل الفتنه الامتحان والاختبار ، واستعملت في الشرع في اختبار كشف ما يكره ، وفي الغفلة عن المطلوب ، وفي الإكراه على الرجوع عن الدين ، واستعملت في الضلال والإثم والكفر والعذاب ، ويعرف المراد حيثما ورد بالسياق والقرائن " .^(٢)
وقد وردت آيات قرآنية دالة على هذا الأثر الجليل للإخلاص ، ومنها قوله تعالى في شأن يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤] .

فقد نجى الله عبده ورسوله يوسف عليه السلام من فتنة مراودة امرأة العزيز لإخلاصه لله تعالى .

(١) معجم مقاييس اللغة [٤/٤٧٢] .

(٢) فتح الباري [١١/١١٦] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

قال ابن جرير : " كذلك نسبَّ له في كلِّ ما عرض له من همَّ يهْمُ به فيما لا يرضاه ، ما يزجره ويدفعه عنه ؛ كي نصرف عنه ركوب ما حرّمنا عليه ، وإتيان الرِّثا ، لنظهره من دنس ذلك "هـ^(١)

وقوله : « إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ » ، اختلف القراء في قراءة ذلك .

فقرأته عامة قراءة المدينة والكوفة : « إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ » بفتح اللام من : « الْمُخْلِصِينَ » ، بتأويل : إنَّ يوسف من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا ، واخترناهم لنبوّتنا ورسالتنا .

وقرأ بعض قراء البصرة : بكسر اللام بمعنى : إنَّ يوسف من عبادنا الذين أخلصوا توحيدنا وعبادتنا ، فلم يشركوا بنا شيئاً ، ولم يعبدوا شيئاً غيرنا ، وهما متفقنا المعنى .

وذلك أنّ من أخلصه الله لنفسه فاختاره ، فهو مُخْلِصٌ لله التوحيد والعبادة ، ومن أخلص توحيد الله وعبادته فلم يشرك بالله شيئاً ، فهو ممن أخلصه الله .^(٢)

والجامع لذلك كله أنّ الله صرف عنه السُّوء والفحشاء ، لأنَّه من عباده المخلصين له في عبادتهم ، الَّذِينَ أخلصهم الله واختارهم ، واختصهم لنفسه ، وأسدَى عليهم من النعم ، وصرف عنهم من المكاره ما كانوا به من خيار خلقه .^(٣)

وهذا التعليل في قوله : « إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ » ، فيه ترغيب في الإخلاص وحث عليه ، ودعوة للاتصاف به ، وإغراء للدخول في ركب المخلصين لينجو بإذن الله من السُّوء

(١) جامع البيان [٤٩/١٦] .

(٢) جامع البيان [٥٠/١٦] ، بتصرف .

(٣) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٤٥٧] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

والفحشاء ، ويصرف عن الحرام ، ويخلص من الفتنة ، ولهذا كان من السبعة الذين يظلمهم الله في ظلّه يوم القيامة ، « رجلٌ دَعَتَهُ امرأة ذات منصبٍ وجمال ، فقال إني أخاف الله » .^(١) فالذي منعه من الانسياق وراء هذا الإغراء والمرادة خوف الله تعالى الناشيء عن الإخلاص لله تعالى ، فخلّصه الله من هذه الفتنة ، والتي هي أضّر فتنة على الرجال .

ومثل هذا موقف ذلك الرجل الذي راود ابنة عمه عن نفسها فأبت ، فألّمت بها سنة من السنين ، فخلّت بينه وبين نفسها بدافع الحاجة ، فلمّا تمكّن منها قالت له مُذكرة واعظة : اتّق الله ولا تُفُضّ الخاتم إلا بحقه ، فقام عنها وهي من أحبّ النَّاسِ إليه ؛ تعظيماً لله تعالى ، وابتغاء وجهه ، ولذا توسل إلى الله تعالى بإخلاقه في عقّته عن الحرام فنجّاه الله من الغار .

فقد ورد في الحديث قوله : « اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما

نحن فيه ، فانفِرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون » .^(٢)

قال ابن سعدي في العِبَر والفوائد من قصة يوسف : " أن من دخل الإيمان قلبه ، وكان مخلصاً لله في جميع أموره ، فإنّ الله يدفع عنه ببرهان إيمانه ، وصدق إخلاقه من أنواع السوء والفحشاء وأسباب المعاصي ما هو جزاءً لإيمانه وإخلاقه " .^(٣)

فما أعظم أثر الإخلاص في الخلاص من الفتن والسّلامة من المحن ! ؟

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة برقم (٦٦٠) ، ومسلم في كتاب الزكاة برقم (٢٤٢٧) ، والترمذي في كتاب الزهد باب الحب في الله برقم (٢٣٩١) ، والنسائي في كتاب آداب القضاة باب الإمام العادل برقم (٥٣٨٠) ، وأحمد في مسنده برقم (٩٦٦٥) ، وغيرهم من حديث أبي هريرة به .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة باب من استأجر أجيراً ... برقم (٢١٥٢) ، وأحمد في مسنده برقم (٥٩٧٣) ، وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر به .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٤٧٣] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأما يوسف عليه السلام فَإِنَّ اللَّهَ ذَكَرَهُ أَنَّهُ عَصَمَهُ بِإِخْلَاصِهِ لِلدِّينِ لِلَّهِ ، فَاللَّهُ يَصْرِفُ عَنْ عَبْدِهِ مَا يَسُوءُهُ مِنَ الْمِيلِ إِلَى الصُّورِ وَالتَّعَلُّقِ بِهَا ، وَيَصْرِفُ عَنْهُ الْفَحْشَاءَ بِإِخْلَاصِهِ لِلَّهِ ، فَقَدْ عَلَّلَ سُبْحَانَهُ صَرْفَ السُّوءِ وَالْفَحْشَاءَ عَنْهُ بِأَنَّهُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ : « إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ » [الحجر: ٤٢] ، فَمَنْ كَانَ مُخْلِصاً لِلَّهِ حَقَّ الْإِخْلَاصِ لَمْ يَزِنْ ، وَإِنَّمَا يَزِينُ لِحُلُوهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ الَّذِي يَنْزِعُ مِنْهُ ، لَمْ يَنْزِعْ مِنْهُ نَفْسَ التَّصْدِيقِ " .^(١)

وهذا كلام رَصِينٍ مَتِينٍ مِنْ هَذَا الْإِمَامِ يَبَيِّنُ أَنَّ الْإِخْلَاصَ يَمْنَعُ مِنْ تَسَلُّطِ الشَّيْطَانِ عَلَى الْعَبْدِ ، فَقَدْ اسْتَثْنَاهُمْ اللَّهُ مِنْ إِغْوَائِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ » ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ ظَاهِرٌ يَبَيِّنُ عَلَى أَثَرِ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الْإِخْلَاصِ مِنَ الْفِتَنِ .



(١) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية [٣٤/٤-٣٦] ، باختصار .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

الأثر الثاني : ولاية الله للمخلص .

الإخلاص سبب كبير لولاية الله تعالى وحفظه لعبده ، والولاية هي من الولي : الواو واللام والياء أصل صحيح يدل على قُرْب ، يقال : تباعد بعد ولي ، أي قُرْب . (١)

وهو : فاعيل ، بمعنى : فاعل ، وهو من تواتت طاعته من غير أن يتخللها عصيان . (٢)

قال ابن تيمية : " والولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والقرب ، وأصل العداوة البغض والبعد . وقد قيل : إنَّ الولي سُمي ولياً من موالاته للطاعات ، أي : متابعتها لها ، والأول أصحّ ، والولي القريب " . (٣)

وقد دلَّ القرآن الكريم على هذا الأثر وحصوله للمخلص لله تعالى في آيات متعددة ؛ ذلك أنَّ المخلص قد أخلص قلبه لله تعالى وخلصه من شوائب الشرك ، فخصَّه الله بولايته وحفظه وتأييده ونصره .

فمن الآيات الدالة على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ

وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٦] .

فإنَّ هذه الآية جاءت في سياق بيان بطلان آلهة المشركين ، وأنها لا تملك لعبادتها نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وأما الله فهو المعبود الحق الذي يتولى عباده الصالحين ، الذين صلحت نياتهم وأعمالهم وأقوالهم ، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ ، فالمؤمنون الصالحون لما تولوا ربهم بالإيمان والتقوى ،

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة [ص/١٠٦٤] .

(٢) ينظر التعريفات [ص/٣٢٩] .

(٣) الفرقان [ص/٥٣] ، وللاستزادة ينظر شرح العقيدة الطحاوية [٥٠٥/٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

ولم يتولوا غيره ممن لا ينفع ، ولا يضرّ تولاهم الله ، ولطف بهم ، وأعانهم على ما فيه الخير والمصلحة لهم ، في دينهم ودنياهم ، ودفع عنهم كل مكروه .^(١)

قال ابن كثير : " أي الله حسي وكافي وهو نصيري ، وعليه متكلي ، وإليه الملجأ " .^(٢)

وقال الواحدي : " الذي يتولّى حفظي ونصري " .^(٣)

ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما : " هم الذين لا يعدلون بالله فيتولاهم وينصرهم ، ولا تضرّهم عداوة من عاداهم " .^(٤)

فقد دلّت الآية الكريمة على ولاية الله لعباده المخلصين المتضمنة حفظهم ونصرهم وإعانتهم ، ممّا يبيّن الأثر العظيم للإخلاص لله ربّ العالمين .

ولذا قال سبحانه: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ وَتُحَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ ﴾

[الزمر: ٣٦] .

وقد قرئت : « عِبَادَهُ »^(٥) بالجمع الدال على عموم كفايته سبحانه لعباده المؤمنين المخلصين .

وهو معنى قوله تعالى : « وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ » فليست الولاية خاصة برسول الله

ﷺ فحسب ، بل تشمل كل الصالحين الذين صلحت نياتهم وأعمالهم ، ممّا يفتح باب الطمع لكلّ راغب في ولايته سبحانه ، والانتظام في سلك عباده الصالحين .

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/ ٣٥٥] .

(٢) تفسير القرآن العظيم [٤٨٧/٦] .

(٣) الوجيز [٤٢٧/١] .

(٤) ينظر مجموع الفتاوى [٤٢٩/٢٧] .

(٥) قرأ بذلك حمزة والكسائي . ينظر التيسير في القراءات السبع [ص/ ١٨٩] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

" وقد أخبر تعالى في كتابه أنه ولي المؤمنين وأنه يتولى الصالحين ، وذلك يتضمن أنه يتولى مصالحهم في الدنيا والآخرة ، ولا يكلهم إلى غيره " .^(١)

ومن أعظم آثار ولاية الله لعبده هدايته للطريق القويم ، وتثبيته على الصراط المستقيم .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... ﴾

[البقرة : ٢٥٧] .

قال أبو جعفر الطبري : " يعني تعالى ذكره بقوله : « اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا » ، نصيرهم وظهيرهم ، يتولاهم بعونه وتوفيجه « يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ » يعني بذلك : يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، وإنما عنى بـ « الظُّلُمَاتِ » في هذا الموضع ، الكفر .

وإنما جعل « الظُّلُمَاتِ » للكفر مثلاً لأنَّ الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها ، وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان والعلم بصحته وصحة أسبابه ، فأخبر تعالى ذكره عباده أنه وليُّ المؤمنين ، ومبصرهم حقيقة الإيمان وسبله وشرائعه وحججه ، وهاديهم ، فموقفهم لأدلتته المزيلة عنهم الشكوك ، بكشفه عنهم دواعي الكفر ، وظلم سواتره أبصار القلوب " هـ .^(٢)

فهذا الأثر الجليل إنما يتحقق لأهل الإيمان الخُلص الذين استمسكوا بالعروة الوثقى (لا إله إلا الله) قولاً وعملاً واعتقاداً كما دلَّ عليه سياق الآيات التي قبلها .

ولذا قال الحسن البصري : " وليُّ هدايتهم " .^(٣)

(١) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس [ص/٥٣] .

(٢) جامع البيان [٤/٥٦٣] .

(٣) ينظر معالم التنزيل [١/٣٥٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

فإنَّهم لَمَّا كَفَرُوا بالطاغوت ، وأعرضوا عن عبادة غير الله ، فتولَّوا الله سبحانه ، فجعلوه معبودهم فلم يشركوا به شيئاً ؛ تولَّاهم سبحانه بولايته ، وقادهم إلى رضوانه ، وهداهم إلى صراطه .

قال ابن سعدي : " وهذا يشمل ولايتهم لرَّبِّهم ، بأن تولوه فلا ييغون عنه بدلاً ولا يشركون به أحداً ، قد اتخذوه حبيباً وولياً ، ووالوا أوليائه وعادوا أعداءه ، فتولَّاهم بلطفه ومنَّ عليهم بإحسانه ، فأخرجهم من ظلمات الكفر والمعاصي والجهل إلى نور الإيمان والطاعة والعلم ، وكان جزاؤهم على هذا أن سلَّمهم من ظلمات القبر والحشر والقيامة إلى النعيم المقيم والراحة والفسحة والسرور " (١)

فلله ما أجلُّ هذا الأثر وما أعظمه ، وما أجمل عيش المخلصين حين يتولَّاهم الله بولايته إزاء إخلاصهم له وكفاء إيمانهم به وإعراضهم عن سواه .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ [محمد: ١١] .

فنعيم المولى ونعيم النَّصير ، ونعم الحافظ لأوليائه وعباده المخلصين .

فهو القائل سبحانه : « فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا ^ط وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » [يوسف: ٦٤] ،

حفظ نبيِّه يوسف عليه السلام ، وردَّه إلى أبيه يعقوب عليه السلام وقد قال عنهم : « مَا كَانَ

لَنَا أَنْ نُنْشِرَكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ... » [يوسف: ٣٨] ، وحفظ موسى عليه السلام الذي « كَانَ

مُخْلِصًا » [مريم: ٥١] ، حيث تَرَى في بيت عدوِّه فألقى الله عليه المحبَّة والرَّعاية فقال تعالى :

﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي ﴾ [طه: ٣٩] .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/١١٣] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وحفظ محمداً ﷺ وتولاه بولايته ، ولهذا قال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ... الحديث » .^(١)

فقد أمر بحفظ الله تعالى والذي يتضمن أموراً كثيرة أعظمها وأهمها حفظ حقه في إفراده بالعبادة والإخلاص له ، وعدم الإشراك به ؛ فإنه أعظم مأمور به ؛ ولهذا بيّن هذا الحفظ المأمور به بقوله : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » ، وهذا هو الإخلاص لله تعالى في دعائه وحده والاستعانة به والتوكل عليه بتفويض الأمور إليه .

فمن حفظ الله في أوامره فامتثلها تعبداً له وإخلاصاً حفظه جلّ وعلا ؛ فإنّ الجزاء من جنس العمل ، كما قال تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٠] ، وقال : ﴿ إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ... ﴾ [محمد : ٧] .

" وحفظ الله لعبده يتضمّن نوعين :

أحدهما : حفظه له في مصالح دنياه ، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله ، وأنّ يحفظه في صحة بدنه وقوته وعقله .

النوع الثاني من الحفظ وهو أشرف النوعين : حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه ، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة ، ومن الشهوات المحرمة ، ويحفظ عليه دينه عند موته ، فيتوقّاه على الإيمان " .^(٢)

(١) سبق تخريجه ، ينظر [ص/١٥١] .

(٢) ينظر جامع العلوم والحكم [١/٤٦٥ - ٤٦٨] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

ومُصَدِّقَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۗ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧] .

وعلى قدر إخلاص العبد وتوحيده لله وقيامه بالعبودية يحصل له من الولاية والحفظ . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى ، فمن كان أكمل إيماناً وتقوى كان أكمل ولاية لله ، فالناس متفاضلون في ولاية الله **وَعَبَدَكَ** بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى " .^(١) فيها لها من ثمرة جلييلة ، تتطلب من العبد السعي إلى تحقيق الإخلاص ، ومجاهدة النفس في تصحيح القصد وسلامة النية ؛ حتى يظفر بهذا الولاية العظيمة . فتبين بهذا اثر الإخلاص في حصول الولاية من الله تعالى ، وأنَّ العبد كلما كان أتقى لله وأخلص في العبادة ، كلما نال من الولاية الإلهية على حظ وافر ، وقدر كبير . والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم نسأل الله من فضله ونعوذ به من الحرمان ، فهو المستعان وعليه التُّكلان ولا حول ولا قوة إلاَّ به .



(١) ينظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان [ص/٩٠] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

الأثر الثالث : حصول الأمن والاهتداء والنَّجاة من المخاوف .

من أعظم آثار الإخلاص لله تعالى حصول الأمن والهداية والنَّجاة من المخاوف ، والسَّلامة من الكروب ، وهذا الأثر له ارتباط وثيق وصلَّة قويَّة بولاية الله لعبده المخلص ، فهو ثمرة من ثمار الولاية .

ومن تدبَّر القرآن ظهر له ذلك جلياً واضحاً فقد قال سبحانه : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] .

فكل مؤمن تقي فهو ولي الله ، وقد وعد تعالى بزوال الخوف ممَّا يستقبل وعدم الحزن على ما فات .

" يقول تعالى ذكره : أَلَا إِنَّ أَنْصَارَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ رَضِيَ عَنْهُمْ فَأَمَّنَهُمْ مِنْ عِقَابِهِ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا " .^(١)

وذلك لأجل إيمانهم بالله المتضمن للإخلاص له سبحانه ، ولاتقائهم الشرك وما دونه من المحرمات .

ولهذا نجَّى الله أنبياءه ورسله عليهم السَّلام من المخاوف التي أحاطت بهم في الدنيا ، كما ينجِّيهم من مخاوف الآخرة ، ويؤمِّنهم من الفزع الأكبر ، لتحقيق الإخلاص لله تعالى ، وثقتهم بالله وتوكلهم عليه .

فقد نجَّى نوحاً ومن معه من الغرق فقال عنه : ﴿ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٨] .

(١) ينظر جامع البيان [٢٠٩/١٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

ونجى خليله إبراهيم من النار ومن كيد الكفار فقال الله عنه : ﴿ فَأَجْبَدُهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢٤] .

وقال عنه أيضاً : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١] .

فقوله : « فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ » ، يقول : " أنا أحقّ بالأمن من عاقبة عبادتي ربّي مُخلصاً له العبادة ، حنيفاً له ديني ، بريئاً من عبادة الأوثان والأصنام ، أم أنتم الذين تعبدون من دون الله أصناماً لم يجعل الله لكم بعبادتكم إياها برهاناً ولا حجة ؟ فقال الله تعالى ذكره ، فاصلاً بينه وبينهم : الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ ، وَلَمْ يَخْلُطُوا عِبَادَتَهُمْ إِيَّاهُ وَتَصَدِيقَهُمْ لَهُ بِظُلْمٍ ، يَعْنِي : بِشْرِكٍ وَلَمْ يَشْرِكُوا فِي عِبَادَتِهِ شَيْئاً ، ثُمَّ جَعَلُوا عِبَادَتَهُمْ لِلَّهِ خَالِصاً ، أَحَقُّ بِالْأَمْنِ مِنْ عِقَابِهِ مِنَ الَّذِينَ يَشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ " .^(١)

وحقّي لا يتوهّم متوهّم أنّ هذا الأمن خاص به الكلية وحده ، جاء قوله تعالى : « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ » ؛ ليدلّ على العموم ، ويشحذ الهمم ، ويدعو العباد إلى الإخلاص .

أي : " الَّذِينَ أَخْلَصُوا كإِخْلَاصِ إِبْرَاهِيمَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ ، « وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ » أي : بِشْرِكٍ ، « أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ » " .^(٢)

(١) جامع البيان [٣٦٦/٩ - ٣٦٨] .

(٢) ينظر جامع البيان [٣٦٨/٩] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

ويبين هذا المعنى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ أَصْحَابُهُ : وَأَيْنَا لَمْ يَظْلَمْ ؟ فَنَزَلَتْ : « إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » .^(١)

" وهذه آية عظيمة تنفع المؤمن الحنيف في مواضع ؛ فَإِنَّ الإِشْرَاقَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ ؛ دَعَّ جَلِيلُهُ ، وَهُوَ شَرِكٌ فِي العِبَادَةِ وَالتَّأَلُّهِ ، وَشَرِكٌ فِي الطَّاعَةِ وَالاِنْتِقَادِ ، وَشَرِكٌ فِي الإِيمَانِ وَالقَبُولِ .

فَتَبَيَّنَ أَنَّ أَهْلَ الإِخْلَاصِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ مِنْ أَهْلِ الإِشْرَاقِ بِهِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ لِبَعْضِ النَّاسِ : " لَوْ صَحَّحْتَ لَمْ تَخَفْ أَحَدًا " .^(٢)

وَصَدَّقَ الإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللهُ - فَإِنَّ الإِخْلَاصَ وَالتَّوْحِيدَ يَبْعَثُ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ الأَمْنَ وَالتَّطْمَئِنَّةَ ، وَبِقَدْرِ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ وَالإِخْلَاصِ يَحْصُلُ الأَمْنُ وَالاِهْتِدَاءُ .

قال شيخ الإسلام : " فمن سلّم من أجناس الظلم الثلاثة ؛ كان له الأمن التام ، والاهتداء التام . ومن لم يسلم من ظلمه نفسه ؛ كان له الأمن والاهتداء مطلقاً ، ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه نفسه " .^(٣)

فكان لأنبياء الله ورسله من هذا الأمن والاهتداء النصيب الأكبر والحظ الأوفر لكمال إيمانهم وتمام إخلاصهم لله تعالى ، فنجّى خليله إبراهيم من النار ، وحصل له من الأمن والاهتداء ما طمأن قلبه وعلّقه برّبّه حين قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ؛ فكانت النار عليه برداً وسلاماً . ونجّى الله كليمه ونبيّه موسى عليه السلام وقومه من كيد فرعون وقومه ، فإنّه عليه السلام لَمَّا تَرَأَى الجَمْعَانَ وَقَالَ أَصْحَابُهُ : إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ، أَجَابَهُ المُؤْمِنُ الوَائِقُ بِرَبِّهِ المَتَوَكِّلِ عَلَيْهِ : ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء : ٦٢] .

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ((ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)) برقم (٤٦٢٩) .

(٢) ينظر تفسير شيخ الإسلام [٥٠/٣] ، بتصرف يسير .

(٣) مجموع الفتاوى [٧٨/٧-٨٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وكذلك يونس عليه السلام حين التقمه الحوت وصار في الظلمات نادى بندااء التوحيد والإخلاص ، ودعا بدُعاء المخلصين المنيبين مع الاعتراف بالذنب والتقصير : ﴿ فَنادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ... ﴿ [الأنبياء: ٨٧-٨٨] ، ولم تكن له خاصّة ، بل لكل مؤمن يلوذ بجناب الله ، ويخلص في دُعائه ومناجاته ؛ ولذا قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٨] .

ولهذا روى الترمذي وغيره عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ : فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ » .^(١) فَإِنَّهَا دَعْوَةٌ اشْتَمَلَتْ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ لِلَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ لَا مَعْبُودَ حَقًّا إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ ، وَعَلَى تَعْظِيمِهِ وَتَنْزِيهِهِ جَلًّا وَعَلَا عَنِ الظُّلْمِ وَغَيْرِهِ مِنَ النِّقَائِصِ مِمَّا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَعَلَى الْإِعْتِرَافِ بِالذَّنْبِ الْمَتَضَمِّنِ طَلْبَ الْمَغْفِرَةِ .

فكان لها هذا الأثر الكبير في النجاة من الكرب ، والسَّلامة من الآفات ، والأمن من المخاوف .

وقد قال سبحانه مقررًا كفايته لعباده المخلصين المتوكلين عليه : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ... ﴾ ﴿ [الزمر: ٣٦] .

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب في دعوة ذي النون برقم (٣٥٠٥) واللفظ له ، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٦٥٦) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٣٣٨) .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

اختلفت القراء في قراءة : « أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ » ، فقرأ ذلك بعض قُراء المدينة وعامة قُراء أهل الكوفة : « أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عِبَادَهُ » على الجمع ، بمعنى : أليس الله بكاف محمداً وأنبياؤه من قبله ما خوَّفَفتهم أمهم من أن تنالهم آهتهم بسوء ، وقرأ ذلك عامة قُراء المدينة والبصرة ، وبعض قُراء الكوفة : « بِكَافٍ عَبْدَهُ » على التوحيد ، بمعنى : أليس الله بكافٍ عبده محمداً .^(١)

والمعنى : أن الله الذي أفردته بالعبادة هو كافيك شرَّ المشركين وباطل آهتهم التي عبدوها من دونه ، فقوله : « أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ » تمهيد لقوله : « وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ » قدم عليه لتعجيل مساءة المشركين بذلك .^(٢)

فالله كاف عباده المخاوف والشُرور إذا توكلوا عليه ولاذوا بجنابه وأخلصوا له ، ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وصحبه الكرام ؛ تبين له ذلك جلياً ، فقد بُجِيَ الله نبيّه من المخاوف يوم الهجرة ، حين أجمع المشركون على قتله ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾ [الأنفال: ٣٠] ، وألقى عليه وعلى صاحبه رعايته وحفظه ونصره أثناء سفره وهو في الغار فقال : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ... ﴾ [التوبة : ٤٠] .^(٣)

(١) ينظر جامع البيان [٢٠٩/٢٠] ، وللاستزادة ينظر التيسر في القراءات السبع [ص/١٨٩] .

(٢) ينظر التحرير والتنوير [١٢/٢٤] .

(٣) ينظر للاستزادة : السيرة النبوية للذهبي [ص/٢١٥ - ٢٣٦] ، والسيرة النبوية لابن هشام [٩٢/٢ - ٩٧] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وهذان الموقفان غيضا من فيض من إنحاء الله لعباده المخلصين ، والتي يطول الحديث عنها، وفيما أشرت كفاية للدلالة على المقصود ، والله المستعان .

ولقد وعد الله تعالى - ووعد الصّدق الذي لا يُخلف - أن يُؤمّن عباده المؤمنين المخلصين الذين قصدوه وحده بالعبادة دون ما سواه فقال : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ... ﴾ [النور: ٥٥] .

فهذا وعد من الله صادق شمل بأمنه كل مؤمن به تعالى ، وبالإخلاص له سابق .
" وذكر أنّ هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل شكاية بعض أصحابه إليه في بعض الأوقات التي كانوا فيها من العدو في خوف شديد ممّا هم فيه من الرعب والخوف ، وما يلقون بسبب ذلك من الأذى والمكروه " .^(١)

والآيات في بيان هذا الأثر كثيرة لا يمكن حصرها في مثل هذا ، ولكن حسي الإشارة إلى شيء منها ، ممّا يدل على عظم الإخلاص لله تعالى وأثره في الأمن من المخاوف وحصول الهداية ، وعلى قدر الإيمان والإخلاص وتحقيقه يحصل الأمن والاهتداء .



(١) ينظر جامع البيان [٣٤٧/١٧-٣٤٨] ، وينظر لاستعادة أسباب النزول للواحدي [ص/٢٢١-٢٢٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

الأثر الرابع : نزول السكينة في القلب .

السكينة في اللغة : من السَّكَنَ السين والكاف والنون أصل واحد مطرد يدلّ على خلاف الاضطراب والحركة ، ومن الباب السكينة وهو الوقار .^(١)

فالسكينة فعيلة من السكون ، وهو طمأنينة القلب واستقراره ، وأصلها في القلب ، ويظهر أثرها على الجوارح .^(٢)

وقد دلّ القرآن الكريم على نزول السكينة على قلوب أهل الإيمان ؛ تثبيتاً لهم على إيمانهم ، وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ، وتبعث الطمأنينة في قلوبهم .

فقد قال الله تعالى في صدر سورة الفتح : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ

الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ... ﴾ [الفتح : ٤] .

قال البغوي : " ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ ﴾ الطمأنينة والوقار ، ﴿ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

لئلاً تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم . قال ابن عباس : كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة ، إلاّ التي في سورة البقرة " . هـ^(٣)

وقد كان هذا في صلح الحديبية الذي شقّ أمره على كثير من الصحابة ، وراجع بعضهم فيه النبي ﷺ ، كما فعل عمر رضي الله عنه ، ولكنهم سرعان ما لزموا غرزهم ، وقبلوا حكمه ، فأنزل سكينته عليهم .

وقال قتادة : " الوقار في قلوب المؤمنين ، وهم الصحابة يوم الحديبية ، الذين استجابوا

لله ورسوله ، وانقادوا لحكم الله ورسوله ، فلمّا اطمأنت قلوبهم لذلك ، واستقرّت ، زادهم إيماناً مع إيمانهم " .^(٤)

(١) معجم مقاييس اللغة [ص/٣٤٦] ، بتصرف .

(٢) ينظر إعلام الموقعين [٤/١٥٤] .

(٣) معالم التنزيل [٧/٢٩٨] .

(٤) تفسير القرآن العظيم [١٣/٩٠] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وذلك أن الله لَمَّا أنزل مطلع سورة الفتح على رسوله ﷺ ، قال عمر رضي الله عنه أو فتح هو يا رسول الله ؟ قال : « نَعَمْ » ، فقال الصحابة : هنيئاً لك يا رسول الله ، مالنا ؟ فأنزل الله ﷻ : « هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ » .^(١)

وقد أكد سبحانه على هذا الأثر العظيم في ثنايا هذه السورة ، وأشار إلى سبب نزول السكينة عليهم فقال : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨] . فتأمل قوله جلَّ وعلا : « فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ » الدال على الإخلاص لله تعالى ، وصدق الإيمان به وبرسوله ، والتزام ما بايعوا عليه .

قال ابن جرير : " يقول تعالى ذكره : فعلم رُبُّك يا محمد ما في قلوب المؤمنين من أصحابك إذ يبايعونك تحت الشجرة ، من صدق النيَّة ، والوفاء بما يبايعونك عليه ، والصبر معك « فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ » يقول : فأنزل الطمأنينة ، والثبات على ما هم عليه من دينهم وحُسن بصيرتهم بالحقِّ الذي هداهم الله له " .^(٢)

فهذه السكينة والطمأنينة التي أنزلها تعالى في قلوبهم رضي الله عنهم أثر كبير من آثار إخلاصهم وصدقهم مع الله جلَّ جلاله ، ممَّا يدلُّ عظم أثر الإخلاص ، وحُسن عاقبة أهله في الدنيا ، فضلاً عن عاقبتهم في الآخرة ، وحُسن ثوابهم .

قال ابن القيم في ذكر الحكم من تلك الهدنة^(٣) : " وتأمَّل كيف وصف - سبحانه - النَّصْر بأنه عزيز في هذا الموطن ، ثمَّ ذكر إنزال السَّكِينَةَ في قلوب المؤمنين في هذا الموطن الذي

(١) ينظر زاد المعاد [٢٩٦/٣] ، وأخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية برقم (٤١٧٢) من حديث أنس .

(٢) جامع البيان [٢٧٧/٢١ - ٢٧٨] .

(٣) هي بيعة الرضوان التي بايع فيها الصحابة رسول الله ﷺ ألا يفروا ، وهي التي وضع يده ﷺ مباحياً عن عثمان رضي الله عنه حيث بعته إلى قريش . ينظر السيرة النبوية لابن هشام [ص/٢٠٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

اضطربت فيه القلوب ، وقلقت أشدَّ القلق ، فهي أحوج ما تكون إلى السَّكينة ، فازدادوا بها إيماناً إلى إيمانهم " هـ (١)

وقد تكرر ذكر إنزال السَّكينة في هذه السورة في ثلاثة مواضع : عند كتابة الصلح الذي كانت بنوده في ظاهرها ضيم وهضم للمسلمين ، وعند بيعة الرضوان ، وفي مقابل حمية الجاهلية ، وهي مواطن عصبية يحتاج العبد في مثلها إلى عون الله وتثبيتته .
فالله سبحانه يلقي في قلوب أهل الإيمان والإخلاص برد اليقين ؛ فلا يتأثرون بالمرعجات والمنعصات التي تدور حولهم ، ولا يكثرثون بالمؤامرات التي تُحاك ضدهم ؛ بل تزيدهم ثباتاً على إيمانهم العميق ومبادئهم السَّامية ، فيكونون أكثر رسوخاً وأقوى إيماناً .

ومما يؤكِّد هذا الأثر العظيم للإخلاص ما أنزله تعالى على رسوله ﷺ من الطمأنينة والثبات والثقة بالله تعالى : « إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ » رسول الله والصديق ﷺ فقد كان عليه الصلوة والسلام يثبت الصديق ويطمئنه ، ويقول مقالة الواثق برِّه المتوكل عليه - فهو إمام المخلصين - فقال : « لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » فكان لهذا التوكل على الله والثقة به الأثر العظيم حيث قال سبحانه : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ... ﴾ [التوبة : ٤٠] .

قيل : على النبي ﷺ . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت على أبي بكر ﷺ (٢) ؛ لأنَّ الرسول ﷺ لم تزل معه سَكينة .

ورجح ابن كثير أنه رسول الله ﷺ ، وقال : " ولا ينافي تجدد سَكينة خاصة بتلك الحال ؛ ولهذا قال : « وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا » " هـ (٣)

(١) زاد المعاد [٣/٣١١] .

(٢) ينظر معالم التنزيل [٤/٥٣] .

(٣) تفسير القرآن العظيم [٧/٢٠٦] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وتبعه في هذا ابن عاشور . (١)

وفي نظري أنه أصوب وأقرب ؛ لدلالة السياق ، ولأنه أقرب مذكور ، وذكر الصديق رضي الله عنه جاء في الآية معترضاً .

وكذلك ما أنزله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وصحبه الكرام رضي الله عنهم من الثبات واليقين يوم حنين حين ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وولى بعض الصحابة مدبرين ، فكانت سكينه طمأنة قلوبهم ، وثبتت أقدامهم ، وقوت عزائمهم ، فانتصروا على عدوهم .

قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦] .

" فهذه السكينة أمر فوق عقول البشر ، وهي من أعظم معجزاته عند أرباب البصائر ، فإنَّ الكذاب - ولا سيما على الله - أقلق ما يكون وأخوف ما يكون وأشدّه اضطراباً ، فلو لم يكن للرسول صلوات الله وسلامه عليهم من الآيات إلا هذه وحدها لكفتهم " . (٢)

والمقصود أنّ من أعظم ثمار الإخلاص اليانعة التي يجنيها المخلص في حياته ، وآثاره الطيبة ، ما ينزله تعالى من السكينة والطمأنينة والثبات على قلوب المخلصين من عباده ، ما يزدادون به إيماناً وثباتاً ، ويكون عوناً لهم على ما يلقون من الشدائد والصعاب .

فظهر بهذا أثر الإخلاص العظيم ، وثمرته اليانعة ، من إنزال السكينة ، وبعث الطمأنينة ، ودفع المخاوف ، وتثبيت القلب على أهل الإخلاص واليقين ممّا لا يخطر ببال .

(١) ينظر التحرير والتنوير [٢٠٤/١٠] .

(٢) إعلام الموقعين [١٥٤/٤] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

" فالقلب لا يصلح ، ولا يفلح ، ولا يلتذ ، ولا يسر ، ولا يطيب ، ولا يسكن ، ولا يطمئن ، إلا بعبادة الله ربّه وحبّه والإنابة إليه ، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن ؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربّه ، ومن حيث هو معبوده ومحبوه ومطلوبه ، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والسكون والطمأنينة " .^(١)

فهذا من أجلّ وأعظم ثمرات الإخلاص اليانعة وآثاره المباركة ، والتي تتمثل في الحياة الطيبة التي قال عنها ربنا : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ... ﴾ [النحل : ٩٧] .

فهذا وعد من الله صادق لمن أخلص دينه لله ، وأتبعه العمل الصالح ؛ بأن يحيا حياة طيبة مستقرة .

وفي قوله : « وَهُوَ مُؤْمِنٌ » ذكر ابن جرير بسنده عن الربيع قال : " الإيمان الإخلاص لله وحده ؛ فبيّن أنّه لا يقبل عملاً إلا بالإخلاص له " .^(٢)

فقد وعد الله المخلصين بالحياة الطيبة ، ولا تطيب الحياة إلا بذكره تعالى ، والإخلاص له سبحانه ، فهما متلازمان لا وجود لأحدهما إلا بالآخر ، فمن لم يجد لذّة وطمأنينة وسروراً فليتهم نفسه ؛ فإنّ الربّ شكور يشكر عبده على إخلاصه بطمأنينة وسكون وراحة وأنس يجدها في قلبه ، والنّاس في هذا بين مُستقل ومُستكثّر ومحروم ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .



(١) ينظر العبودية [ص/١٠٨] .

(٢) جامع البيان [٣٥٤/١٤] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

الأثر الخامس : الثبات على الدين .

الثبات لغة : الثاء والباء والتاء كلمة واحدة ، وهي دوام الشيء . يقال : ثبت يثبت ثباتاً وثبوتاً . ورجل ثبت وثبت . قال الراغب : الثبات ضد الزوال ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا .. ﴾ [الأنفال : ٤٥] . (١)

والثبات اصطلاحاً هو : عدم احتمال الزوال بتشكيك المشكك . (٢)

والثبات من آثار الإخلاص وثماره الطيبة على أهل الإخلاص التي دلَّ عليها القرآن الكريم.

فإنَّ الثبات على الدين مقصد من مقاصد الصالحين ، يلهجون بدعاء الله تعالى دائماً ألا يزيع قلوبهم ، كما قال عن الراسخين في العلم : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران : ٨] ؛ ذلك أنَّ قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن - جلَّ وعلا - يقبلها كيف يشاء ، وكان النبي ﷺ يدعو كثيراً : « يا مُقَلَّبَ القلوب ثبَّتْ قلبي على دينك » .

ف قيل له في ذلك ، فقال ﷺ : « إِنَّ القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه ، وإن شاء أن يزيعه أزاعه » . (٣)

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة [ص/١٧٥٤] ، والقاموس المحيط [٢٤٣/١] ، والمفردات [١٠١/١] .

(٢) ينظر كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم [٥٣٦/١] .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب القدر ، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن ، برقم (٢١٤٠) . وقد أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ مقارب ، برقم (٢٦٥٤) .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

ومن دعائه ﷺ أيضاً : « وأسألك الثبات في الأمر » .^(١)

" فالعبد يحتاج إلى الثبات في طول حياته ، وأحوج ما يحتاج إليه عند مماته " .^(٢)

ومن أعظم ما يعين على الثبات - بإذن الله - الإخلاص لله تعالى في جميع العبادات ؛ فإنَّ من لزم الإخلاص في أقواله وأفعاله وسائر أحواله حري - بإذنه تعالى - أن يثبتته تعالى حتى الممات ، فإنَّ ربَّنَا تعالى شكور يشكر أعمال عباده ويشيهم عليها في الدنيا بشهود آثارها وقطف ثمارها وتفيء ظلالها .

ومن الآيات الدالة على هذا الأثر الجليل قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ^ج وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ... ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

وقد اختلفت عبارات المفسرين في المراد بقوله : « في الحياة الدنيا » .

قال طاوس^(٣) وقتادة وجمهور العلماء : الحياة الدنيا هي مدَّة حياة الإنسان ، وفي الآخرة هي وقت سؤاله في القبر .

وقال البراء بن عازب^(٤) ، وجماعة : « في الحياة الدنيا » ، هي وقت سؤاله في قبره .^(٥)

(١) أخرجه النسائي برقم (١٣٠٤) ، وأحمد في مسنده برقم (١٧١١٤) وابن حبان في صحيحه برقم (١٩٧٤) ، والحاكم في مستدركه برقم (١٨٧٢) ، وغيرهم من حديث شداد بن أوس ، وضعفه الشيخ الألباني كما في ضعيف سنن النسائي [٤٤٨/٣] .

(٢) ينظر شرح حديث شداد بن أوس « إذا كنز الناس الذهب والفضة » لابن رجب [ص/٢٢] .

(٣) هو : أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان الخولاني الهمداني اليماني ، من أبناء الفرس ، أحد الأعلام التابعين ، سمع ابن عباس وأبا هريرة ، كان فقيهاً جليل القدر نبيه الذكر ، توفي حاجاً سنة (١٠٦) . ينظر وفيات الأعيان [٤١٦/٢] .

(٤) هو : البراء بن عازب بن الحارث بن عدي جُشَم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري ، يكنى أبا عمرو ، وقيل : أبا عمارة وهو أصح . ينظر أسد الغابة [٢٠٦/١] .

(٥) ينظر المحرر الوجيز [٢٣٩/٨] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وليس في حديث البراء رضي الله عنه التصريح بأن المراد بالحياة الدنيا : وقت سؤاله في قبره ؛ ولذا قال ابن عطية : " في لفظ متأول " . (١)

وقد أورد ابن جرير الأقوال ثم قال : " والصَّوَاب من القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ في ذلك ، وهو أن معناه : « يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » ، وذلك تثبيته إيَّاهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ ، « وَفِي الْآخِرَةِ » بمثل الذي تثبتهم به في الحياة الدنيا ، وذلك في قبورهم حين يُسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ﷺ " . هـ (٢)

وما ذكره - رحمه الله - وجيه جداً ؛ فإنَّ القبر أول منازل الآخرة ، وليس من الحياة الدنيا ؛ لأنَّ العبد إذا مات فارق الدنيا وانتقل إلى الدار الآخرة ، فهو في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة كما ورد في بعض روايات حديث البراء . (٣)

فهذه ثمرة عظيمة للإخلاص ، وأثر كبير من آثاره ؛ تدعو العبد إلى تحقيق الإخلاص ، وتلزمه جادة أهل الإيمان ؛ فإنَّ الثَّبات على الأمر ، والاستقامة على الدين من أهمَّ المطالب وأعزَّ المكاسب ، نسأل الله الثَّبات على دينه حتى نلقاه .

ولهذا علَّق ابن القيم على هذه الآية بقوله : " تحت هذه الآية كنز عظيم ، من وفق لمعرفة وحسن استخراجها واقتنائها وأنفق منه فقد غنم ، ومن حرمه فقد حرم .

وذلك أنَّ العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين ، فإنَّ لم يثبته الله ، وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما ، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله ﷺ : « وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُزُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً » [الإسراء : ٧٤] .

(١) المصدر السابق .

(٢) جامع البيان [٦٦٧/١٣] .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٨٥٣٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه برقم (١٢٠٥٩) ، من حديث البراء ، والحديث

صححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى كما في تخريجه لمشكاة المصابيح برقم (١٦٣٠) .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

والخلق كلهم قسمان : موفق بالتثبيت ، ومخذول بترك التثبيت .
ومادة التثبيت أصله ومنشؤه من القول الثابت ، وفعل ما أمر به العبد .
فبهما يثبت الله عبده ، فكل من كان أثبت قولاً وأحسن فعلاً كان أعظم تثبيتاً ، قال
تعالى : ((وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا)) [النساء: ٦٦] .
فأثبت الناس قلباً : أثبتهم قولاً .
والقول الثابت : هو القول الحق الصدق ، وهو ضد القول الباطل الكذب .
فالقول نوعان : ثابت له حقيقة ، وباطل لا حقيقة له .
وأثبت القول : كلمة التوحيد ولوازمها ، فهي أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا
والآخرة " . انتهى كلامه (١)

فله ما أجل كلمة الإخلاص وما أعظم أثرها على قائلها حقاً وصدقاً العامل بمقتضاها ؛
فإنها العروة الوثقى وكلمة التقوى التي توجب لصاحبها التعلق بالله وحده ، وإخلاص الدين له
دون ما سواه ، فيزداد هدى على هُده ، وإيماناً على إيمانه كما قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ
أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٧] ، وقال : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ
أَهْتَدُوا هُدًى ... ﴾ [مريم: ٧٦] ، وغيرها من الآيات ، وهذا من فضل الله تعالى وكرمه ومنته
على عباده المخلصين .

فإن هذه الآية الكريمة أعقبت قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ
طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ ﴿ تُوْتِي أ كُلَّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ... ﴾
[إبراهيم: ٢٣-٢٤] ، فقد ضرب تعالى المثل لكلمة التوحيد ، وبيان ثمارها اليانعة المباركة ، فهي

(١) التفسير القيم [٣٤٧/١] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ؛ فكان قوله تعالى : « يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا » في غاية المناسبة الدالّ على ثمار هذه الكلمة العظيمة ، وآثارها على أهلها . (١)

" حيث يخبر تعالى أنّه يثبّت عباده المؤمنين ، الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، المتضمن للإخلاص لله جلّ وعلا ، والذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها ، فيثبّتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين ، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها " . (٢)

وبهذا تظهر دلالة هذه الآية على أثر الإخلاص في تثبيت الله لعباده المخلصين ، وتقوية إيمانهم ، ومما يؤكّد هذا المعنى الجليل ، ويبرز أثر الإخلاص في ثبات المؤمن على دينه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠] .

قال الحافظ ابن كثير : " أي : أحلصوا العمل لله ، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم " . هـ (٣)

فبيّن سبحانه أنّهم قصدوه وحده بالتوحيد والعبادة ، ولزموا هذا الأمر ؛ فجازاهم بتثبته لهم وتطمينهم عند معاينة الموت ، بتنزل الملائكة عليهم ، ألا يخافوا مما يستقبلهم ، وألا يحزنوا على ما فاتهم .

" فأصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد ، كما فسرها أبو بكر الصديق رضي الله عنه وغيره قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ... ﴾ [الأحقاف : ١٣] ، بأنهم

(١) ينظر للاستزادة : نظم الدرر [١٠ / ٤١٤] ، التحرير والتنوير [١٣ / ٢٢٦] .

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص / ٤٩٢] .

(٣) تفسير القرآن العظيم [٧ / ١٧٥] .

الإخلاص في القرآن ===== الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

لم يلتفتوا إلى غيره ، فمتى استقام القلب على معرفة الله ، وعلى خشيته ، وإجلاله ، ومهابته ، ومحبته ، وإرادته ، ورجائه ، ودعائه ، والتوكل عليه ، والإعراض عما سواه ، استقامت الجوارح كلها على طاعته " . (١)

فاستقامة الجوارح على الطاعة ثمرة من ثمار الإخلاص والتوحيد الذي بالقلب ، وأثر من آثاره على صاحبه ، فضلاً عن تثبيته عند النزع ومعاينة الموت ؛ فإنَّ فِرَاقَ الدُّنْيَا وجع أليم ، وسكرات الموت أمر عظيم ، فلا يملك القلوب إلاَّ الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا . فمن آمن به سبحانه ، وأخلص له الدين ، واستقام على دينه ، تثبته عند الفراق . وبهذا يتبيَّن أثر الإخلاص في الثبات على الدين في الحياة الدنيا ، والاستقامة على أمر الله ، والثبات عند سياق الموت وفراق الدنيا ، والتوفيق للنطق بكلمة الإخلاص والخلاص (لا إله إلا الله) .



(١) ينظر جامع العلوم والحكم [٥١١/١-٥١٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

الأثر السادس : السلامة من إغواء الشيطان .

أقسم الشيطان بعزة الله تعالى على إغواء بني آدم ، وتوعدهم بالتزيين والتسويل ، فقال الله عنه : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢] ، وقال أيضاً : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمَسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَنْتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧] ، وقال : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩] .

فجعل الله له سلطاناً على بني آدم ابتلاءً منه واختباراً فقال : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ: ٢١] ، فكان سلطانه مجرد الإغواء والتزيين ، ونهاهم عن اتباع الشيطان وطاعته ، وأظهر لهم عداوته في مواضع كثيرة من القرآن فمن ذلك قوله : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦] . فاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا من المؤمنين الذين امتن الله عليهم فاستثناهم من تسلُّطه وإغوائه ، فلم يتمكن منهم ؛ لإخلاصهم لله تعالى فقال تعالى : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٣] ، وقال : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢] .

فلتأمل للآيات السابقة يدرك خطورة الأمر ، وعدواة الشيطان لبني آدم ، وسلطانه بالإغواء والإضلال والأمانى الكاذبة ، غير أنه لا سلطان له على أهل الإيمان والإخلاص .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

" وهم الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ مِنْ فُسَادٍ أَوْ رِيَاءٍ " . (١)

فقد خلصهم الله بإخلاصهم فقال : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾

[الحجر: ٤٠] .

" أي : الَّذِينَ أَخْلَصْتَهُمْ وَاجْتَبَيْتَهُمْ لِإِخْلَاصِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ وَتَوَكَّلْتَهُمْ " . (٢)

ولهذا قال النبي ﷺ : ((ما منكم من أحدٍ إلَّا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجنِّ .

قالوا : وإيَّاك يا رسول الله ؟ قال : وإيَّايَ ، إلَّا أن الله أعانني عليه فأسلمَ ، فلا

يأمرني إلَّا بخير)) . (٣)

قال النووي : " ((فَاسْلَمُ)) برفع الميم وفتحها ، وهما روايتان مشهورتان ، فمن رفع قال :

معناه أسلم أنا من شره وفتنته ، ومن فتح قال : إنَّ القرين أسلم من الإسلام وصار مؤمناً لا

يأمرني إلَّا بخير .

واختلفوا في الأرجح منهما فقال الخطابي : المختار الرفع . ورجح القاضي عياض (٤)

الفتح . وهو المختار ؛ لقوله : ((فلا يأمرني إلَّا بخير)) . انتهى كلامه (٥)

والمعنى على كلا الروايتين دالٌّ على سلامته ﷺ من الشيطان وكيده فلا يأمره إلَّا

بخير ، فقد عصمه الله منه ، وسلمه من كيده وفتنته ؛ إذ هو خير المخلصين المتقين .

(١) ينظر النكت والعيون [١٦١/٣] .

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٥٠٠] .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، برقم (٢٨١٤) ، وأحمد في مسنده برقم (٣٧٧٩) ، والدارمي

في مسنده برقم (٢٧٣٤) ، وابن حبان في صحيحه برقم (٦٤١٧) ، وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود به .

(٤) هو : أبو الفضل عياض بن موسى بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي ، ولد سنة ٤٧٦ هـ ، وتوفي

مُعَرَّباً عن وطنه في وسط سنة (٥٤٤) بمراكش . ينظر : وفيات الأعيان [٤٢٤/٣] ، سير الأعلام [٢١٣/٢٠ - ٢١٧] .

(٥) ينظر شرح صحيح مسلم [٢٣٠/١٧] ، بتصرف .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

قال القاضي عياض : " واعلم أنّ الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان ، لا في جسمه بأنواع الأذى ، ولا على خاطره بضروب الوسوس ، ولا على لسانه بما لم يقل " .هـ^(١)

ومن الآيات الدالة على سلامة المخلص من الشيطان قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠] .

وقد اختلف أهل التفسير في المراد بالسلطان في هذه الآية : فقيل : الحجة ، وقيل : السلطة ، وهي : التمكّن من الإغواء .

ورجّح ابن جرير الثاني ، وقال : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا فاستعاضوا بالله منه " .هـ^(٢)

وهذا القول دلّ عليه سياق الآية ؛ فإنّ الذين آمنوا إنّما سلموا من سلطانه بلجوئهم إلى الله تعالى ، واستعاضتهم به من كيده وسلطانه ، وهذا هو الإخلاص .

فقد غاير بينهم وبين من تمكّن الشيطان منهم ، بوصفه لهم بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ .

" فالمعنى : أنّ الإيمان مبدأ أصيل لتوهين سلطان الشيطان في نفس المؤمن فإذا انضمّ إليه التوكّل على الله اندفع سلطان الشيطان عن المؤمن المتوكّل " .هـ^(٣)



(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم [٣٥٠/٨-٣٥١] ، وينظر للاستزادة في هذا الشفا [٣٤٦/١] .

(٢) ينظر جامع البيان [٣٥٩/١٤-٣٦٠] ، والنكت والعيون [٣١٣/٣] .

(٣) ينظر التحرير والتنوير [٢٧٩/١٤] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

الأثر السابع : إجابة الدعاء .

الدُّعاء عبادة من أجلِّ العبادات ، وأفضل القربات ، تتجلى فيه العبودية بأعظم صورها وأسمى معانيها ؛ ذلك أنَّ الدعاء هو العبادة كما سمَّاه الله بذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٩٠] .

فسمي دعاءه وسؤاله عبادة ؛ لأنَّ الدَّاعي يظهر من الذلِّ والخضوع والاستكانة والمسكنة والافتقار وغيرها من المعاني التي لا تكون إلا لله تعالى ؛ ولهذا توعَّد المستكبر عن دعائه بدخول جهنم ذليلاً صاغراً .

وقال النبي ﷺ : « الدُّعاء هو العِبَادَة » (١) ، ولم يرد هذا اللفظ في أي أنواع العبادة الأخرى . (٢)

" وما هذه المرتبة السَّامية ، والمنزلة العالية - والله أعلم - إلا لأنَّه يجتمع فيه من أنواع التَّعبُّد ما لا يجتمع في غيره ، فيستدعي حضور القلب وعبادة الله بالتوجه ، والقصد ، والرجاء ، والتوكل ، والرغبة فيما عنده ، والرغبة من عذابه " . (٣)

ومراد الداعي وهمَّه من دعائه إجابته وتحققه ، وقد دلَّت الآية على اشتراط الإخلاص لله في الدعاء لتتحقق الإجابة حيث قال : « ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » ، فقوله : « ادعوني » أمر بدعائه وحده جلَّ وعلا المستلزم إخلاص الدعاء له ، وعدم صرفه لغيره كائناً من كان ، وقوله : « أَسْتَجِبْ لَكُمْ » جواب الطلب مرتب عليه ، فلا تتم إجابة الدُّعاء إلا مع الإخلاص لله فيه .

(١) سبق تخريجه ، في المبحث الثامن من الفصل الرابع [ص/١٦٣] .

(٢) ينظر شرح الإحياء [٤/٥] .

(٣) ينظر تصحيح الدعاء [ص/١٧] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

فإذا دعا العبد ربه مخلصاً في دعائه أثمر الإجابة بإذن الله تعالى .

ومن استقرأ القرآن العظيم ، وتأمل معانيه ، وتدبر آياته ، وجد أن أكثرها في التحذير من الشرك في الدعاء ؛ ذلك أن أغلب شرك المشركين دعاء غير الله تعالى وسؤاله في جلب نفع أو دفع ضرر ، والله يقول : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥] .

ويقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ ^ط فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٤] ، وغيرها من الآيات الدالة على هذا المعنى الجليل .

وقد دلَّ القرآن على هذا الأثر العظيم في مواضع متعددة ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ^ط أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وتأمل اللطيفة القرآنية في هذه الآية ؛ حيث لم يعقب السؤال بلفظ : « قل » كما هو في آيات السؤال الأخرى ، مما يدلُّ - والله أعلم - على رفع الوساطة بين العبد وربِّه في مقام التَّعَبُّدِ والدُّعَاءِ . (١)

ولهذا قال الطحاوي في عقيدته : " والله تعالى يستجيب الدعوات ، ويقضي الحاجات ، ويملك كلَّ شيء ، ولا يملكه شيء ، ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين ، ومن استغنى عن الله طرفة عين كفر وصار من أهل الحين " . هـ . (٢)

(١) ينظر التحرير والتنوير [١٧٩/٢] ، بتصرف .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية [٦٧٦/٢ - ٦٨٤] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

فهذه الآية الكريمة دلّت على أثر الإخلاص في إجابة الدعاء ؛ لأنّ الدعاء عبادة يجب صرفها لله وحده ، وذلك في قوله : « دعائي » ، وفي قوله : « فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي » الدالّ على اشتراط الإيمان به جلّ وعلا ، المتضمن قصده بالدعاء وحده وإخلاص الدين له .

ولهذا قال سبحانه : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

[غافر: ١٤] ، وقال : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥] .

" أي : أخلصوا لله وحده العبادة والدعاء وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم " . (١)

وهذا الأثر العظيم ظاهر في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] .

وفي قوله : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا تَجْحَدُ بِأَيِّتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ [لقمان: ٣٢] .

وغيرها من الآيات الدالة على إجابة دعاء المشركين إذا أخلصوا له الدعاء وحده ، ممّا

يبين أثر الإخلاص في إجابة الدعوات وقضاء الحاجات .

فإنّ أزمنة الأمور كلها بيد الله ، وعنده خزائن كل شيء ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما

منع ، ولا قابض لما بسط ولا باسط لما قبض ، وأنّه قريب مجيب ، وهو على كل شيء قدير .

فمتى استحضر العبد هذه المعاني العظيمة ، وسأل الله بصدق وإخلاص فما أسرع أن

يجاب .

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم [١٣٤/٧] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وقد قال سبحانه : ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام : ١٧] ، وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ﴾ [النمل : ٦٢] .

" فالدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب ، والسبب له شروط وموانع ، فإذا حصلت شروطه ، وانتفت موانعه ، حصل المطلوب " . (١)

والإخلاص لله تعالى أول أسباب إجابة الدعاء وأعظمها ، فإذا استحضر العبد الإخلاص ، واستجمع أسباب الإجابة فما أسرع أن يستجاب له .

وقد قال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥] .

وأعظم الاعتداء في الدعاء الشرك بالله تعالى بدعاء غيره في جلب نفع أو دفع ضرر ، فإنه مناقض للإخلاص منافي له من كل وجه ، والله يقول : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥] .

ويقول أيضاً : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴿٤﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴿٥﴾ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٣- ١٤] .

(١) ينظر شرح الطحاوية [٦٨٣/٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

فهؤلاء أعظم المعتدين عدواناً ، فإنَّ أعظم العدوان الشرك ، وهو وضع العبادة في غير موضعها ، فهذا العدوان لا بُدَّ أن يكون داخلاً في قوله تعالى : « إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » . (١)

ولهذا أكَّد في الآية بعدها على شرط الإخلاص في الدُّعاء فقال : ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا

وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦] .

فبيَّن قربه من عباده المحسنين الذين أحسنوا الظنَّ وأحسنوا العمل ؛ إذ مدار الإحسان على الحبِّ والخوف والرجاء المتضمنة للإخلاص والتوحيد لله تبارك وتعالى .

فأعظم الإحسان الإيمان والتوحيد والإنابة إلى الله تعالى ، والإقبال إليه والتوكل عليه ، وأنَّ يعبد الله كأنَّه يراه إجلالاً ومهابةً ، وحياءً ، ومحبةً ، وخشيةً . (٢)

فإذا حقق العبد الإخلاص لله تعالى ، حقق الله سؤاله ، فإنَّ سأله أعطاه ، وإنَّ دعاه أجابه ، وإنَّ استعاذ به أعاده .

وبهذا يظهر أثر الإخلاص في إجابة الدُّعاء ، وأنَّه أعظم الشروط التي تتحقق بها الإجابة بإذن الله تعالى .



(١) ينظر تفسير ابن تيمية [١٦٩/٣] .

(٢) المصدر السابق [١٧٢/١٣] .

الإخلاص في القرآن = الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

الأثر الثامن : القبول في الأرض والذكر الحسن .

القبول في اللغة : بمعنى الحُسن والشَّارة ، وهو من قولهم : فلان عليه القبول إذا قبلته النَّفْس . (١)

وفي الاصطلاح : " قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه " . (٢)
إنَّ من أعظم آثار الإخلاص وثماره التي يجنيها العبد في هذه الدنيا : قبول الخلق ومحبتهم له ، وبقاء ذكره الحَسَن ؛ إذ قلوب العباد بيد الله سبحانه وتعالى يصرفها كيف يشاء ، فمن آمن به إيماناً صادقاً وأخلص له الدِّين ، أثابه قبولاً من الناس وحباً ، وخلد له في الأرض ذكراً ، فالمرفوع من رفع الله ذكره ، ونشر في النَّاس حَبَّه .

ومن تأمل أي القرآن وتدبرها ظهر له هذا المعنى ، وتبيَّن له هذا الأثر العظيم ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم: ٩٦] . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " محبة في النَّاس في الدنيا " .

وعن قتادة قال : " يحبهم الله ويحبهم إلى عباده المؤمنين " .
قال ابن جرير : " « سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا » : إي والله في قلوب أهل الإيمان .
دُكر لنا أنَّ هرم بن حيان كان يقول : ما أقبل عبد بقلبه إلى الله ، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه ، حتَّى يرزقه موَدَّتْهم ورحمتهم " . (٣)

قيل : إنَّها نزلت في علي بن أبي طالب ، وقيل : في عبد الرَّحْمَن بن عوف . (٤)

(١) ينظر تاج العروس [٦٠٢/١٥] .

(٢) ينظر فتح الباري [٤٧٧/١٠] .

(٣) ينظر جامع البيان [٦٤٢/١٥ - ٦٤٣] .

(٤) ينظر الوجيز للواحدي [٦٩٠/١] ، وينظر للاستزادة : لباب النقول في أسباب النزول [ص/١٣٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وأياً كان فالعبرة في هذا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر في أصول التفسير .

فكل من أقبل على الله تعالى بصدق وإخلاص أقبل الله عليه فأحبه ، ووضع له المحبة في قلوب عباده المؤمنين .

قال ابن عطية : " ذهب أكثر المفسرين إلى أنّ هذا هو القبول الذي يضعه الله لمن يحب من عباده ، حسب ما في الحديث المأثور " هـ .^(١)

يشير إلى الحديث المشهور المخرّج في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « إذا أحبَّ الله عبداً نادى جبريل : إني قد أحببت فلاناً فأحبه ، فينادي في السماء ، ثمّ تنزل له المحبة في أهل الأرض ، فذلك قول الله : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا » ، ... الحديث » .^(٢)

قال النووي : " أي : يوضع له الحب في قلوب الناس ، ورضاهم عنه ، فتميل إليه القلوب وترضى عنه " هـ .^(٣)

وقيل معناه : الحب في قلوب أهل الدين والخير له والرضا به ، واستطابة ذكره في حال غيبته، كما أجرى الله عاداته بذلك في حق الصالحين من سلف هذه الأمة ومشاهير الأئمة .^(٤) بل قبلهم أنبياء الله ورسله عليهم السلام الذين حازوا قصب السبق في القبول والذكر الحسن ، فقد أودع الله تعالى لهم القبول والمحبة في قلوب عباده المؤمنين ، رغم تباعد الأزمان .

(١) المحرر الوجيز [٥٤٣/٩] .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم برقم (٣٢٠٩) ، وأخرجه مسلم في كتاب

البر والصلة والآداب برقم (٢٦٣٧) .

(٣) شرح صحيح مسلم [٢٨٢/١٦] .

(٤) ينظر دليل الفالحين [٢٦٩/٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وهذا من آثار رحمته ولطفه بأصفيائه وأحبابه الذين قاموا بمحابه ، أن الله يحبهم ويحبهم إلى ملائكته وإلى أهل الأرض ، وهو من البشارات العاجلة ، ولا ريب أن هذه المحبة تورث خيرات كثيرة من الدعاء لهم والثناء عليهم ، ومن ثم يكون كلامه معتبراً ونصائحه مقبولة وآثاره ماثورة وأقواله وأفعاله مؤتمماً بها ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .^(١)

والمستبَع لأي الذِّكْر الحكيم يشهد ثناءً من الله عليهم ، وذكرًا حسنًا ، ولسان صدق في الآخرين ، كما قال عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مریم: ٥١] ، وقال عنه وعن نوح وإلياس عليهم الصلاة والسلام في سورة الصفات : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [الصفات: ٧٨] .

قال ابن جرير : " وأبقينا عليه ، يعني على نوح ذكراً جميلاً وثناءً حسنًا في الآخرين ، يعني : فيمن تأخر بعده من الناس يذكرونه به .

وعن مجاهد قال : جعلنا لسان صدق للأنبياء كلهم " هـ .^(٢)

وهذا ظاهر بين لكل من قرأ القرآن بتدبر وتمعن ، فقد أتى الله عليهم في كتابه ثناءً عاطراً؛ لكمال إيمانهم وإخلاصهم لله تعالى .

وقد أفردتُ مبحثاً مستقلاً في الثناء على المخلصين .^(٣)

ولمَّا كان نبينا محمد ﷺ خير عباد الله المخلصين ؛ رفع الله ذكره في كتابه فقال تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤] .

(١) ينظر شرح كتاب أصول الإيمان لابن سعدي [ص/٨٥٦] ، ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي .

(٢) جامع البيان [٥٦١/١٩] .

(٣) ينظر [ص/٩٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

قال قتادة : « وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ » ، رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ، ولا متشهد ، ولا صاحب صلاة ، إلا ينادي بها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . (١)

ولهذا قال حسان (٢) رضي الله عنه :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ عَبْدَهُ *** بُرْهَانِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَجْدُ
 أَعْرُ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ *** مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
 وَضَمَّ إِلَيْهِ اسْمَ النَّبِيِّ مَعَ اسْمِهِ *** إِذَا قَالَ فِي الْحُمْسِ الْمُؤَدَّنُ : أَشْهَدُ
 وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجَلَّهُ *** فَدُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ .

وغرس محبته رضي الله عنه في قلب كل مؤمن ، وجعل محبته من الإيمان ، فقال رضي الله عنه :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ إليه من ولده ، ووالديه ، والناس أجمعين » . (٣)

قال ابن رجب : " وأما محبة الرسول رضي الله عنه فتنشأ عن معرفته ومعرفته كماله وأوصافه وعظم ما جاء به " هـ . (٤)

ومن كماله رضي الله عنه ، وأجل أوصافه : إخلاصه لله تعالى ، فهو أتقى الخلق وأخشاهم لله تعالى كما أخبر عن نفسه .

(١) ينظر جامع البيان [٤٩٤/٢٤] .

(٢) هو : حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار . واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، الأنصاري الخزرجي ، يكنى أبا الوليد ، وقيل : أبو عبد الرحمن ، وقيل : أبو حسام المناضلة عن رسول الله رضي الله عنه ، ولتقطيعه أعراض المشركين . يقال له : شاعر رسول الله رضي الله عنه . توفي قبل الأربعين في خلافة علي رضي الله عنه ، وقيل : بل مات سنة خمسين ، وقيل : سنة أربع وخمسين وهو ابن ١٢٠ سنة . ينظر : أسد الغابة (٥/٢) ، والأبيات من ديوانه رضي الله عنه [ص/٤٧] .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب حب الرسول رضي الله عنه من الإيمان برقم (١٥) ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (١٦٩) .

(٤) فتح الباري لابن رجب [٥٣/١] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وهذا أمر يشهد المرء من نفسه ، بحبّ الصالحين والأنس بذكرهم ، والنظر في سيرهم ، والتأسي والافتداء بهم ، وأولى الصالحين وأحقهم بهذا الحبّ رسول الله ﷺ .

فله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره ، بعد الله تعالى ، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جرى نبياً عن أمته . (١)

وكلّما كان العبد لله أتقى وللإخلاص محققاً ، كلّما ألقى الله محبته في قلوب الخلق ، ووضع له القبول في الأرض .

وقد جرت عادة الله التي لا تتبدل وسنته التي لا تتحوّل أن يلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق وإقبال قلوبهم إليه بحسب إخلاصه ونيتته ومعاملته لربه . (٢)

فالمخلص لا يطلب منزلة ولا ذكراً عند غير الله ؛ لأنّ عمله خالص لوجه الله تعالى ، ومع هذا ، فإنّ الله يعطيه المنزلة في قلوب الخلق والشرف عندهم ، وإن كان لا يريد ذلك ولا يقف معه . (٣)

والمقصود أنّ المخلص لله تعالى المبتغي ما عند الله تعالى ، يظهر أثر إخلاصه في إلقاء الودّ له في قلوب أهل الإيمان ، فتلهج ألسنتهم بالثناء عليه ، ويبقى ذكره فيهم ؛ فإنّ هذا من علامات الإيمان ، ففي الحديث : « ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما ، وأن يحبّ المرء لا يحبه إلاّ الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذّف في النار » . (٤)

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/١٠٩٦] .

(٢) ينظر أعلام الموقعين [٤/١٥٣] .

(٣) ينظر شرح حديث « ما ذئبان جائعان » لابن رجب [ص/٨١] .

(٤) سبق تخريجه [ص/٢٥٠] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

فلا تتمُّ محبة الله ورسوله ﷺ إلا بمحبة أوليائه ومولاتهم وبُغض أعدائه ومعاداتهم .^(١)
وبهذا يظهر أثر الإخلاص لله سبحانه في الذكر الحسن والقبول في الأرض ، وأنه من عاجل بُشرى المؤمن الدالة على رضا الله عنه ومحبة له .

والمقصود أن للإخلاص آثاراً عظيمة على الفرد في هذه الدنيا ، تقوي يقينه ، وتزيد إيمانه، وتثبت قلبه ، وتطمئن نفسه ، وتشرح صدره ، وغيرها مما دلَّ عليه القرآن ، ما يحمل المرء على تدبر القرآن ، وإطالة النظر في معانيه ؛ ليطلعه على معالم الخير والشر بحذافيرها ، وليدرك آثار الإخلاص المباركة .

وما ذكرته من الآثار قطرة يسيرة من بحر القرآن ودلالاته الغزيرة ، ومعانيه الواسعة .
فهو الذي لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تشبع منه العلماء .
وحسبي ما ذكرته دلالة على آثار الإخلاص الطيبة ، وثماره اليانعة ، وبركته على أهله ممَّا يزيد الإيمان ، ويقوي اليقين ، ويرغب في الإخلاص .



(١) ينظر فتح الباري لابن رجب [٥٦/١] .

المبحث الثاني

آثاره على المجتمع

المجتمع في اللغة : الفرق المختلفة من الناس .^(١)

فالمجتمع عبارة عن مجموعة من الأسر يجمعها مصالح مشتركة وأهداف واحدة .

إنَّ الإيمان بالله تعالى وتقواه المتضمَّن إخلاص الدين له جلَّ وعلا لا يقتصر أثره على الفرد فحسب ، بل يتعدى أثره إلى المجتمع والأمة إذا حققت ذلك ، فساد الإخلاص في الناس، وعمَّ الصلاح في المجتمع ، فتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

فَلَا بُدَّ لِلأُمَّةِ مِنْ مَفَاهِيمٍ سَلِيمَةٍ وَمَعَالِمٍ صَحِيحَةٍ فِي طَرِيقِ سِيرِهَا إِلَى اللَّهِ تَبِين لَهَا الْمَنْهَجُ السَّلِيمُ فِي فَهْمِ الْأَصْلِ الَّذِي تَبْنِي عَلَيْهِ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ وَالْقَاعِدَةَ الْأَسَاسِيَةَ لِإِنِّاءِ الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ السَّلِيمِ أَلَا وَهُوَ الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ تَعَالَى .

وكل أثر من آثار الإخلاص يجنيه الفرد ؛ فإنه يعود على المجتمع كله بأثره ونفعه ؛ إذ المجتمع مكون من أفراد إذا صلحوا صلح المجتمع كله ، فالحدود بين الفرد والمجتمع متداخلة مترابطة .

ولكن دَلَّ القرآن على آثار جليلة للإخلاص على المجتمع بعمومه ؛ لذا أفردت تلك الآثار بمبحث مستقل .

إنَّ منهج القرآن ظاهر في التوجه لإصلاح الفرد والمجتمع والأُمَّة ، بل إنَّ المتأمل لآيات القرآن والمتدبِّر لدلالاته يجد أنَّه يخاطب عموم النَّاس ، أو عموم المؤمنين ؛ إذ هو يهدف لبناء المجتمعات الصالحة المترابطة بعقد الإيمان .

(١) ينظر لسان العرب [٣٥٧/٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وقد كان النَّاسُ أُمَّةً واحدةً مجتمعة متفقة على توحيد الله تعالى وإخلاص الدين له فاختلَفوا فبعث الله الرسل بالدعوة إلى جمعهم على التوحيد والإخلاص ، ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ... ﴾ [البقرة: ٢١٣] .

ولهذا قال تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [١٢] وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا ۗ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣] .

قال ابن جرير : " « إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ » لربكم ، مدعون له بالطاعة . مخلصون له الألوهية والعبادة " .هـ (١)

وأمرهم جلَّ وعلا بالاعتصام بحبله المتين ، ودينه القويم ، ونهاهم عن التفرق والاختلاف فقال : « وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » ، فسَمَّى كلَّ ما يوصل إليه وإلى مرضاته حبلاً ، من التمسك بكتابه واتباع سنة نبيِّه ﷺ والاجتماع عليهما .
إذ الحبل : السبب الذي يوصل به إلى البُغية والحاجة . (٢)

فإذا اعتصموا بهذا الحبل المتين والصراط المستقيم وتمسكوا به ؛ ترتبت عليه آثاره المباركة ،
وثماره اليانعة .

(١) جامع البيان [٦٣٧/٥] .

(٢) ينظر جامع البيان [٦٤٣/٥] ، بتصرف .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وقد دلَّت السنَّة على هذا المعنى الجليل ، ففي صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا ، يَرْضَى لَكُمْ : أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وُلَاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ » .^(١)

فبدأ بالأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وثنى بالاعتصام بدينه ، وثالث بمناصحة ولاة الأمور ، لما لهذه الثلاثة من أثر كبير على تماسك المجتمع واستقراره .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : " ولم يقع خلل في دين النَّاس وديانهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها " . هـ .^(٢)

وصدق رحمه الله ؛ فإنَّ لهذه الأمور الثلاث والتي أعظمها الإخلاص أثراً كبيراً في سلامة دين النَّاس وديانهم إذا أخذوا بها كما سيأتي بيانه .

وقد أكَّد على أهمية الإخلاص وأثره على المجتمع بقوله ﷺ : « نَصَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها وَحَفَظَها وَبَلَّغَها ، فَرُبَّ حَامِلٍ فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغلَّ عليهنَّ قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة أئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم ، فإنَّ دعوتهم تحيط من ورائهم » .^(٣)

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٥) ، وأحمد في مسنده برقم (٨٧٩٩) ، ومالك في موطئه برقم (٣٦٣٢) ، وابن حبان في صحيحه (٣٣٨٨) ، وغيرهم من حديث أبي هريرة .

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ [٢٢٨/٦] .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب العلم ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع برقم (٢٦٥٦) ، وأبو داود في كتاب العلم باب فضل نشر العلم برقم (٣٦٦٢) ، وابن ماجه في كتاب باب برقم (٢٣٠) ، وغيرهم من حديث زيد بن ثابت ، والحديث صححه الشيخ الألباني كما في السلسلة الصحيحة برقم (٤٠٤) .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

" أي : لا يبقى فيه غِلٌّ مع هذه الثلاثة ، بل تنفي عنه غِلَّهُ وتنقيه منه وتخرجه عنه ، فإنَّ القلب يغلُّ على الشرك أعظم غِلًّا ، وكذلك يغلُّ على الغِشِّ ، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة ، فهذه الثلاثة تملؤه غِلًّا ، ودواء هذا الغِلِّ واستخراج أخلاطه : بتجريد الإخلاص والنصح ومتابعة السنَّة " . (١)

فمن آثار الإخلاص على المجتمع

الأثر الأول : الدخول في ركب أهل الإيمان .

فإنَّ اسم الإيمان من أجل الأسماء التي يتسمى بها ، ويفاخر بها ، ولا يتأتى هذا الاسم ولا يوصف به غير أهل التصديق الجازم والإخلاص الصادق ، الذين أتبعوا العلم العمل فوافق باطنهم ظاهرهم ، ولذا يحرم منه أهل النفاق الذين باينوا أهل الإيمان وخالفوهم في الباطن ؛ لخلو قلوبهم من الإخلاص لله تعالى .

ولهذا اشترط الإخلاص في توبة المنافقين فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ

الأسفلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ نَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿٥٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا

بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا

عَظِيمًا ﴿ [النساء: ١٤٥-١٤٦] .

فهذا من أعظم آثار الإخلاص على العبد ؛ فإنَّ اسم المؤمن والمخلص والمحسن ونحوها

من الأسماء الشرعية أسماء مدح وثناء على من استحقوها ؛ ولهذا قال سبحانه في وصف عباده

المؤمنين : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٩] .

(١) ينظر مدارج السالكين [٩٠/٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

" أي : والَّذِينَ يَخْلَصُونَ لِرَبِّهِمْ عِبَادَتَهُمْ ، فلا يجعلون له فيها لغيره شركاً لا لوثن ، ولا لصنم، ولا يُراءون بها أحداً من خلقه ، ولكنَّهُمْ يجعلون أعمالهم لوجهه خالصاً ، وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شيء سواه " . (١)

فكفى بهذا الاسم والوصف شرفاً وفخراً ، وكفى به أثراً من آثار الإخلاص وثمره من ثماره المباركة .

ولهذا ذكر سبحانه منته على عباده بهذا الاسم العظيم فقال : ﴿ هُوَ سَمُّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ... ﴾ [الحج : ٧٨] .

فقد خصَّ الله أهل الإخلاص الذين أسلموا لله وانقادوا لدينه وشرعه بهذا الاسم الجليل . قال ابن جرير : " ولم يذكر الله بالإسلام والإيمان غير هذه الأُمَّة ، ذُكرت بالإيمان والإسلام جميعاً ، ولم نسمع بأُمَّة ذُكرت إلا بالإيمان " . هـ (٢)

فدلَّت الآية الكريمة على تشريفهم بهذا الاسم الشريف والجمع بين الإسلام والإيمان ؛ فإنَّهما إذا افترقا اجتمعا ، وإذا اجتمعا افترقا .

قال ابن عاشور : أي : هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَخَصَّكُمْ بِهَذَا الْإِسْمِ الْجَلِيلِ فَلَمْ يُعْطِهِ غَيْرَكُمْ . (٣)

فظهر بهذه الآيات أثر تحقيق الإخلاص في نيل شرف اسم الإسلام ، والدخول في ركب أهل الإيمان .



(١) ينظر جامع البيان [٦٦/١٧] .

(٢) ينظر جامع البيان [٤٦٤/١٦] .

(٣) ينظر التحرير والتنوير [٣٥١/١٧] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

الأثر الثاني : حلول البركات وكثرة الخيرات .

فكلما كان المجتمع قائماً بأمر الله تعالى ، متحلياً بالإيمان والتقوى ، مستحضراً الإخلاص لله تعالى ، كلما عمته الاستقرار والرخاء ، وساده الأمن والطمأنينة ، وحلت عليه الخيرات والبركات .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

قال الواحدي: " ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا ﴾ و﴿ حَادُوا اللَّهَ ﴾ ، ﴿ وَاتَّقُوا ﴾ الشُّرَكَ ، ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ بالمطر ، ﴿ وَ ﴾ من ، ﴿ الْأَرْضِ ﴾ بالنبات والثمار " هـ^(١) .
فدلَّت الآية الكريمة على امتناع البركات عنهم ؛ لامتناعهم عن التوحيد والإخلاص لله وتحقيق تقواه ؛ مما يؤكِّد أثرهما في حلول البركات ، وحصول الخيرات .
فإنَّ الخير كلُّه بيد الله سبحانه ، فمن قام بأمره واستقام على دينه وأخلص له العبادة ؛ أحلَّ عليه بركته وعمَّه بخيره وفضله .

قال تعالى : ﴿ وَاللَّوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴾ [الجن: ١٦] ،
على أحد التفسيرين .^(٢)

وأعظم أسباب الإستقامة الإخلاص لله تعالى في جميع الأقوال والأعمال .
فظهر بهذا أثر الإخلاص في حلول البركات وكثرة الخيرات .



(١) الوجيز [ص/٤٠٤] .

(٢) ينظر للاستزادة جامع البيان [٢٣/٦٦٢-٦٦٣] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

الأثر الثالث : النَّصْر والتمكين للأُمَّة .

فإنَّ النَّصْر على الأعداء ، والتمكين في الأرض حليف أهل الإخلاص ، وأثر من أثار صدقهم مع الله وإخلاصهم له ، قال تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴿ [الحج : ٤١] .

فهذه الآية الكريمة دالة على نصر الله تعالى وتمكينه لأهل الإخلاص ؛ إذا نصروا الله تعالى بالتمسُّك بدينه ، وتحقيق التوحيد والإخلاص

فقد روى ابن جرير بسنده عن أبي العالية ، في قوله : « الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ » [النور : ٥٥] ، قال : " كان أمرهم بالمعروف أنهم دعوا إلى الإخلاص لله وحده لا شريك له ؛ ونهيهم عن المنكر أنهم نهوا عن عبادة الأوثان وعبادة الشيطان .

قال : فمن دعا إلى الله من الناس كلهم فقد أمر بالمعروف ، ومن نهى عن عبادة الأوثان وعبادة الشيطان فقد نهى عن المنكر " هـ (١)

فإنَّ الإخلاص أعظم معروف يُؤمر به ، والشرك أعظم منكر يُنهى عنه ، فإذا أتوا بهذا الشرط تحقق لهم المشروط .

" ولهذا قال في وعده الصادق المطابق للواقع : « وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ » أي : يقوم بنصر دينه ، مخلصاً له في ذلك ، يقاتل في سبيله ، لتكون كلمة الله هي العليا .

(١) جامع البيان [٥٨٨/١٦] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

كما قال في موضع آخر : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ

أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧] ؛ ولهذا قال : « وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ » أي : جميع الأمور ، ترجع إلى الله ، وقد أخبر أن العاقبة للتقوى ، فمن سلَّطه الله على العباد من الملوك ، وقام بأمر الله ، كانت له العاقبة الحميدة ، والحالة الرشيدة ، ومن تسلَّط عليهم بالجبروت ، وأقام فيهم هوى نفسه ، فإنَّه وإن حصل له ملك مؤقت ، فإنَّ عاقبته غير حميدة ، فولايته مشغومة ، وعاقبته مذمومة " . (١)

وقد دلَّت السنَّة على هذا المعنى الجليل والآخر الكبير فعن مصعب بن سعد ، عن أبيه رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعْفَائِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ » . (٢)

فقد حصر ﷺ سبب النصر في هذا الأثر العظيم ؛ لأنَّ من لجأ إلى الله بصدق وإخلاص ويقين تحقق له ما يريد بإذن رب العبيد .

وقد أكَّد القرآن على هذا الأثر العظيم ببيان وعده الصادق الذي لا يخلف بتمكين المؤمنين المخلصين في الأرض في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۗ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ... ﴾ [النور: ٥٥] .

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٥٣٩] ، بتصرف .

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الجهاد باب الاستنصار بالضعيف برقم (٣١٧٨) ، والبيهقي في سننه الكبرى برقم

(١٢٦٨٣) ، وغيرهما من حديث سعد بن أبي وقاص ، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير [١/٤٧٠] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

فهذا وعد من الله تعالى للمؤمنين المخلصين الذين أتبعوا الإيمان العمل الصالح بالاستخلاف في الأرض والتمكين في الدين .

وهذه الآية وإن كانت في رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين ، فليست خاصة بهم دون غيرهم ؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما هو متقرر في أصول التفسير. (١)

ومن الأدلة على أثر الإخلاص في تحقق النصر وتعجيله قوله تعالى : ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي

قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨] .

فقوله : « وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا » مرَّتب على قوله : « فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ » ، أي : من الإخلاص وابتغاء ما عند الله تعالى .

قال ابن جرير : " يقول تعالى : فعلم رثك يا محمد ما في قلوب المؤمنين من أصحابك إذ يبايعونك تحت الشجرة ، من صدق النيّة ، والوفاء بما يبايعونك عليه ، والصبر معك ، وعوّضهم في العاجل مما رجوا الظفر به من غنائم أهل مكة بقتالهم أهلها فتحاً قريباً " . (٢)

فقد صدقوا الله في بيعتهم رسوله ، وأخلصوا له النيّة ، وأيقنوا بنصره لهم ؛ فأثابهم هذه المكاسب الجليلة ونصرهم على عدوهم .

ولهذا قال ابن الجوزي : " والمعنى : علم أنهم مُخْلِصُونَ ، « فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ » يعني : الطمأنينة والرّضى حتّى بايعوا على أن يقاتلوا ولا يفرّوا ، « وَأَثَبَهُمْ » أي : عوّضهم على الرّضى بقضائه والصّبر على أمره ، « فَتْحًا قَرِيبًا » وهو خيبر ، « وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا » ، أي : من خيبر " . (٣)

(١) ينظر أسباب النزول للواحي [ص/٣١٧-٣١٨] .

(٢) جامع البيان [٢١/٢٧٧-٢٧٨] ، بتصرف .

(٣) زاد المسير [٤/١٣٣] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

" فقد أثابهم فتحاً قريباً وهو : فتح خيبر فلم يحضره سوى أهل الحديبية ، فاختصوا بخيبر وغنائمها ، جزاء لهم ، وشكراً على ما فعلوه من طاعة الله تعالى والقيام بمرضاته " .^(١)
فتبين بهذه الآية أثر الإخلاص في تحقق النصر على الأعداء وتعجيله لهم ، بل والظفر بالغنائم الكثيرة .

ويشهد لهذا المعنى قوله ﷺ : « مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » .^(٢)
فمن علق قلبه بالله ، وتوكل عليه ، فأخلص له العمل ، واتقاه حق التقوى ، كفاه الله أمر دينه ودنياه ، ورزقه الله من حيث لا يحتسب .
وشواهد هذا الأثر العظيم في القرآن كثيرة لمن أمعن النظر ، وتدبر كلام ربّ البشر .



(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٩٣٧] .
(٢) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة برقم (٢٤٦٥) ، ووکیع بن الجراح في كتاب الزهد برقم (٣٥٩) ، وغيرهما من حديث أنس ، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير [١١١٠/٢] ، والسلسلة الصحيحة برقم (٩٤٩-٩٥٠) .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

الأثر الرابع : حصول الأمن والهداية للمجتمع .

وقد سبق الحديث عن هذا الأثر في المبحث السابق في بيان أثر الإخلاص على الفرد بخصوصه ، وإيراده هنا لبيان أثره على المجتمع المخلص الموحد الذي لم يخلط توحيده بشرك كما دلَّ عليه قوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

فإنَّه تعالى أشار باسم الإشارة « أولئك » الدالُّ على الجمع في استفهام إبراهيم عليه السلام بقوله : ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۗ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١] ، ليأتي الجواب عليه بسياق الجمع ؛ فإنَّ أمن الفرد جزء من أمن المجتمع لما بينهم من الترابط والتعايش . ولهذا قال في سورة النور : ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ... ﴾ [النور: ٥٥] ، المرتب على وعده الذي لا يخلف في قوله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ ... ﴾ [النور: ٥٥] .

فجعل تأمينهم من الخوف من آثار إيمانهم بالله وإخلاصهم دينهم وصلاح أعمالهم . " والخطاب في : « مِنْكُمْ » ، لأمَّة الدعوة بمشركيها ومنافقيها بأنَّ الفريق الذي يتحقق فيه الإيمان وعمل الصالحات هو الموعد بهذا الوعد . وإنما قال : « وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا » ، ولم يقل : وَلَيُؤَمِّنَنَّهُمْ ، كما قال في سابقه ؛ لأنَّهم ما كانوا يطمحون يومئذ إلا إلى الأمن ، فكانوا في حالة هي ضد الأمن ولو أعطوا الأمن دون أن يكونوا في حالة خوف لكان الأمن منة واحدة . وإضافة الخوف إلى ضميرهم للإشارة إلى أنه خوف معروف مقرر .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وتنكير أمناً للتعظيم بقريظة كونه مبدلاً من بعد خوفهم المعروف بالشدة " هـ (١)
وعلى حسب تحقق الإخلاص من المجتمع يتحقق الأمن والهداية ؛ إذ الإخلاص يتفاوت
والإيمان يتفاضل ، فكلما كان المجتمع لله أتقى ولدينه أخلص كان أكثر أمناً وأتمّ هداية ، وهذا
ما تحقق للنبي ﷺ وصحبه الكرام الذين آمنوا على دينهم وكانوا مهتدين ، حتى ضربوا أروع
الأمثلة وأجمل الصور في حصول الأمن والهداية .

ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۗ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ

وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۗ ﴾ [قريش : ٤-٥] .

قال ابن كثير : " ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ،
ومن عصاه سلبها منه " هـ (٢)

فالإطعام والأمن مرتبان على عبادة الله وحده لا شريك له .

فقد أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين .

" فإن قلت : فلم دخلت الفاء ؟ قلت : لما في الكلام من معنى الشرط ؛ لأنّ المعنى :

إما لا فليعبدوه لإيلافهم " هـ (٣)

" وأصل نظم الكلام : لتعبد قريش رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من

خوف إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فلما اقتضى قصد الاهتمام بالمعمول تقديمه على

عامله، تولّد من تقديمه معنى جعله شرطاً لعامله ، فاقترن عامله بالفاء التي هي من شأن جواب

الشرط ، فالفاء الداخلة في قوله : ((لِيَعْبُدُوا)) ، ما قبلها في قوة الشرط ، أي : مؤذنة بأن

(١) ينظر التحرير والتنوير [٢٨٧/١٨] .

(٢) تفسير القرآن العظيم [٤٦٦/١٤] .

(٣) ينظر الكشاف [٨٠٣/٤] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

تقديم المعمول مقصود به اهتمام خاص وعناية قوية هي عناية المشترك بشرطه ، وتعليق بقيّة

كلامه عليه لما ينتظره من جوابه ، وهذا أسلوب من الإيجاز بديع " . (١)

فهذه جمل من آثار الإخلاص على المجتمع ، يجني ثمارها ، ويتفياً ظلالها ، وينعم بها جزاء

إخلاصه وتقواه ، واعتصامه بالله وتمسّكه بدينه ، دلّت عليها آيات الكتاب الكريم .

وغير خافٍ أنّ آثار الإخلاص على الفرد عائدة على المجتمع بالأثر الكبير .

فتبيّن بهذه الآيات عظم آثار الإخلاص على المجتمع .



(١) ينظر التحرير والتنوير [٣٠/٥٥٤ - ٥٥٥] .

المبحث الثالث

آثار الإخلاص في الآخرة ﴿﴾

إن آثار الإخلاص ليست مقصورة على الحياة الدنيا فحسب ؛ بل إنها تتعدى إلى أبعد منها وأجلّ ، حيث تتعدى آثاره وتنمو ثماره ليحصدها المخلصون في دار القرار ، والتي هي الحياة الباقية ، في : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء: ٨٧-٨٨] .

والقلب السليم هو : القلب الذي سلم من الشرك ، وخلص من شوائبه ، واتصف بالإخلاص لله تعالى . (١)

فمن حمل بين جنبه قلباً سليماً من نواقض الإخلاص ومبطلاته انتفع به عند الله انتفاعاً عظيماً ، وظهرت آثاره على صاحبه في الآخرة ، فتفياً ظلها وبنى ثمارها .

" فلا ينجو من عذاب الله إلا صاحب القلب السليم الذي قد سلم لعبودية ربه " . (٢)

وهذه الآثار هي الباعثة على الإخلاص ، والدافع الأول لتحقيقه ، وهي المقصودة منه . وهي آثار جليلة كثيرة :

الأثر الأول : البشرى عند الموت والتثبيت في القبر .

فإنَّ العبد المخلص تُرْفُ إليه البُشرى إذا عاين الموت وأقبل على ربِّه قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ [النحل: ٣٢] .

(١) ينظر للاستزادة : جامع البيان [٥٩٦/١٧] ، وتفسير ابن تيمية [٤٦/٥] ، وإغاثة اللهفان [٤١/١] .

(٢) ينظر مفتاح دار السعادة [٢٠٠/١] ، بتصرف .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

" أخبر الله عن حال المستحقين لدخول الجنة ، وأنهم أولئك الذين حضرهم الموت وهم طيبون مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء ، وأن الملائكة تُسَلِّم عليهم وتُبَشِّرُهُم بِالْجَنَّةِ " .^(١)

فهذه البشرية من الله تعالى لمن أخلص دينه لله ولم يشرك به شيئاً ، فإنها أول ثمار إخلاصه التي يجنيها فيطمئن قلبه ويفرح بلقاء ربه .

ومن هذا المعنى قوله ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : إِنَّا لَنُكَرُهُ الْمَوْتَ ، قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَ الْمَوْتَ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حَضَرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعَقُوبَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهُ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » .^(٢)

فمن آمن بالله واستقام على دينه وأخلص له العمل ، جاءت به الإشارة من الله تعالى بالجنة .
فيا لها من بشرى عظيمة ، وبهاها من ثمرة يانعة ، سقيت بماء الإخلاص ، فأتت أكلاً طيباً وثماراً مباركاً ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠] .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه^(٣) « ثُمَّ اسْتَقَامُوا » أي : " لم يشركوا بالله شيئاً " .

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم [٣٠٨/٨] ، بتصرف .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه برقم (٦٥٠٧) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة برقم (٦٠٠٦) ، والنسائي في كتاب الجنائز باب فيمن أحب لقاء الله برقم (١٨٣٦) ، والترمذي في كتاب الجنائز باب من أحب لقاء الله برقم (١٠٦٦) ، وغيرهم من حديث عبادة بن الصامت .

(٣) هو : عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي ، أبو بكر ابن أبي قحافة ، الصديق الأكبر ، خليفة رسول الله ﷺ ، مات في جمادي الأولى سنة (١٣) ، وله (٦٣) سنة . ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة [٤/١٤٤-١٥٠] ، والاستيعاب في معرفة الاصحاب [٣/٩١-١٠٢] ، وتقريب التهذيب [ص/٥٢٦] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وقال عثمان رضي الله عنه ^(١) : " ثُمَّ أَخْلَصُوا الْعَمَلُ لِلَّهِ " . ^(٢)

وقال ابن كثير : " أَخْلَصُوا الْعَمَلُ لِلَّهِ " . ^(٣)

ومن بعد هذه البشرية يأتي التثبيت في قبره عند السؤال قال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ^ط وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ^ع وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

وهذه ثمرة أخرى من ثمار الإخلاص التي يجنيها المخلص في الآخرة ، وأثر من آثاره المباركة.

فإنَّ المخلص لَمَّا أَخْلَصَ لِلَّهِ الْعَمَلُ وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ شَيْئاً ، واستقام على دين الله وشرعه في حياته ؛ كان جزاؤه الثبات في الدنيا عند الموت كما سبق بيانه في المبحث الأول ، وثباته في أول منازل الآخرة عند السؤال ، وهذا معنى قوله : « وفي الآخرة » .

قال ابن جرير : " « وفي الآخرة » بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا ، وذلك في قبورهم حين يُسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم " . ^(٤)

وقال الواحدي : " يعني : في القبر يُلقنهم كلمة الحق عند سؤال الملكين " . ^(٥)

وهذا القول هو الملائم لسياق الآية ، وقد دلَّ عليه حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ ، شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ

(١) هو : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي ، أبو ليلى ، أمير المؤمنين ذو النورين ، أحد السابقين الأولين ، والخلفاء الأربعة ، والعشرة المبشرة ، استشهد في ذي الحجة بعد عيد الأضحى سنة (٣٥) ، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة ، وعمره (٨٠) ، وقيل أكثر وقيل أقل . ينظر : الاصابة في تمييز الصحابة [٣٧٧/٤-٣٧٩] ، والاستيعاب في معرفة الاصحاب [١٥٥/٣-١٦٥] ، وتقريب التهذيب [ص/٦٦٧] .

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن [٤١٦/١٨] .

(٣) ينظر تفسير القرآن العظيم [٢٣٤/١٢] .

(٤) جامع البيان [٦٦٧/١٣] .

(٥) الوجيز [٥٨٢/١] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : « يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ » . (١)

قال ابن تيمية : " وثبت عنه في الصحيح أَنَّ الميت يسأل في قبره ؛ فيقال له : من ربُّك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيُّك . فيثبَّت اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت ، فيقول : ربي اللهُ ، والإسلام ديني ، ومحمد نبيي ، ويقال له : ما تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم ؟ فيقول المؤمن : هو عبد الله ورسوله ، جاءنا بالبينات والهدى فأمننا به واتبعناه ؛ وهذا تأويل قوله تعالى : «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ» .

وقد صحَّ عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ " هـ (٢)

وبهذا يظهر أثر الإخلاص في تثبيت صاحبه في الآخرة ، وتلقيه الجواب عند السؤال .
قال البغوي : " يعني في القبر ، هذا قول أكثر أهل التفسير ، وقيل : في الحياة الدنيا عند السؤال في القبر ، وفي الآخرة عند البعث . والأول أصحَّ " هـ (٣)
وذلك أَنَّ العبد في قبره قد انقطع عن الدنيا وأقبل على الآخرة ، وهو في غربة ووحشة يحتاج معها إلى تثبيت الله تعالى عند السؤال من الملكين .

فقد قال ﷺ حين دَفَنَ أَحَدَ أَصْحَابِهِ : « استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت ؛ فَإِنَّهُ الآن يُسأل » . (٤)

فتبيِّن بهذا أثر الإخلاص لله تعالى في تثبيت العبد عند الممات والبشرى بالجنَّات .



(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة إبراهيم برقم (٤٦٩٩) ، وأبو داود في كتاب السنة باب السؤال في القبر وعذاب القبر برقم (٤٧٥٢) ، وغيرهما من حديث البراء بن عازب .

(٢) مجموع الفتاوى [٧٥-٧٤/٤] .

(٣) معالم التنزيل [٤٧٦/٣] .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز باب الاستغفار عند القبر للميت برقم (٣٢٢١) ، والبيهقي في السنن الكبرى

(٤/٥٦) ، وحسنه النووي في الأذكار (ص/١٣٧) ، وصححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح (٤٨/١) .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

الأثر الثاني : حصول الشفاعة .

وقد مضى الحديث عن الشفاعة في الفصل الثاني بما أغنى عن إعادته ، وإنما الحديث هنا لبيان أثر الإخلاص في حصول الشفاعة للمخلصين الموحدين ، واقتصارها عليهم دون غيرهم من أهل الشرك الذين نفى الله عنهم الانتفاع بالشفاعة بقوله : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨] ، وقوله : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٠] .

فإنَّ الشفاعة حق ، وهي ملك لله وحده قال تعالى : ﴿ قُلِ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ... ﴾ [الزمر: ٤٤] .

ولا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص ، وهي الشفاعة التي أثبتها القرآن للمخلصين الذين رضي الله قولهم وعملهم .

فقد قال سبحانه وتعالى عن الملائكة : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَىٰ ... ﴾ [الأنبياء: ٢٨] .

وجمع الشرطين في قوله تعالى : ﴿ وَكَرَّمْنَا مَلَكِي فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [النجم: ٢٦] .

وقال أيضاً : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

وأكد على هذين الشرطين في سياق الحديث عن يوم القيامة بقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

" فنفى سبحانه أن تنفع الشفاعة أحداً إلا من أذن له الرحمن ورضي قوله وعمله ، وهو المؤمن المخلص " . (١)

وهذا من أثر إيمانه وإخلاصه أن يحظى برضى الله عنه ؛ لينتفع بالشفاعة في ذلك اليوم العصيب الشديد الأهوال ، فإنه لما نفاها في حق المشركين دلَّ على ثبوتها للمؤمنين المخلصين .
وبهذا يتبين أن الشفاعة الواردة في القرآن نوعان :

الأولى : شفاعة مُثَبَّتة وهي الشفاعة لأهل التوحيد والإخلاص الذين رضي الله أقوالهم وأعمالهم .

والثانية : شفاعة مَنْقِيَّة وهي ما كان فيها شرك ؛ فإنَّ الشرك مانع من الانتفاع بالشفاعة يوم القيامة . (٢)

قال ابن سعدي : " ولا يأذن إلا لمن رضي قوله ، أي : شفاعته ، من الأنبياء والمرسلين ، وعباده المقربين ، فيمن ارتضى قوله وعمله ، وهو المؤمن المخلص ، فإذا اختلَّ واحد من هذه الأمور ، فلا سبيل لأحد إلى شفاعة من أحد " . هـ (٣)

فهذه الآيات دلَّت على أنَّ الشفاعة حق وأنها ملك لله ، ولا تكون إلا بإذنه ، ولا يشفع إلا لمن رضي قوله وعمله ، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد الخالص من الشرك .

وحقيقة الشفاعة : أن الله يتفضَّل على أهل الإخلاص ، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ؛ ليكرمه ، وينال المقام المحمود .

والمقصود من الشفاعة أمران :

الأول : إكرام الشافع بالشفاعة ، وبيان فضله ومنزلته عند الله تعالى .

(١) ينظر تيسير العزيز الحميد [ص/٢١٨] .

(٢) ينظر للاستزادة : تيسير العزيز الحميد [ص/٢٠٢-٢١٦] ، القول المفيد [١/٣٤٨] .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٥٩٨] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

الثاني : نفع المشفوع له وهو من رضي الله قوله وعمله .

ولمَّا كان حصول الشفاعة والانتفاع بها يوم القيامة فضلاً من الله كبيراً ، ومنَّةً منه عظيمة؛ سأل الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه ، النبي ﷺ فقال : « يا رسول الله مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ ﷺ : لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَّ مِنْكَ ؛ لَمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ : أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ » .^(١)

فهذا الحديث الشريف دالٌّ على عظم أثر الإخلاص في الانتفاع بالشفاعة يوم التغابن ، وأنَّ أسعد الناس بها أهلُ التوحيد والإخلاص ، وعلى قدر الإخلاص وكماله يكون الانتفاع بها أكمل وأتم .

" فعلم أنَّما يحصل للعبد بالتوحيد والإخلاص من شفاعَةِ الرسول ﷺ وغيرها ما لا يحصل بغيره من الأعمال " .^(٢)

قال ابن قيم الجوزية : " تأمَّل قول النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه وقد سأله ، كيف جعل أعظم الأسباب التي تُنال بها شفاعته تجريد التوحيد ؛ عكس ما عند المشركين " .^(٣)
" فأسعد النَّاسَ بهذه الشفاعة من يكون إيمانه أكمل ممن دونه ، والحاصل أن في قوله : « أسعد » إشارة إلى اختلاف مراتبهم في السبق إلى الدخول باختلاف مراتبهم في الإخلاص " .^(٤)

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار برقم (٦٥٧٠) ، والنسائي في سننه الكبرى برقم (٥٨٤٢) ، وأحمد في مسنده برقم (٨٨٥٨) ، والبراز في مسنده برقم (٨٤٩٦) ، وغيرهم من حديث أبي هريرة .

(٢) ينظر تيسير العزيز الحميد [ص/٢١٥] .

(٣) ينظر مدارج السالكين [٣٤١/١] .

(٤) ينظر فتح الباري [٤٥١/١١] ، بتصرف .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

ولهذا اختبأ النبي ﷺ دعوته المستجابة شفاعته لأُمَّته يوم القيامة فقال : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دعوة مستجابة فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً » . (١)

فقد دلَّ قوله ﷺ : « فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً » على انتفاع المخلص بالشفاعة وحصولها له ؛ لسلامته من الشرك ، وتحقيقه التوحيد الخالص لله رب العالمين .

وبهذا يتبين أثر تحقيق الإخلاص في الحصول على الشفاعته يوم القيامة والانتفاع بها ؛ ممَّا يظهر عظم شأن الإخلاص وأثره على أهله في الآخرة .



(١) سبق تخريجه [ص/٧٦] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

الأثر الثالث : الوقاية من شر يوم القيامة ، وحصول النضرة والسرور .

إنَّ يومَ القيامةِ يومٌ عظيمُ الأهوالِ ، شديدُ الكربِ ، بيّنَ اللهُ شيئاً من أوصافه ، وذكر شيئاً من أهواله ، وعدّد كثيراً من أحواله .

ولقد بيّن سبحانه سبيل السّلامة من شرِّ يومِ القيامةِ المستطير ، وخطره الجسيم في كتابه الكريم ، والتي منها ابتغاء وجهه سبحانه ، وإخلاص الدين له فقال عن عباده الأبرار :

﴿ يُوَفُّونَ بِالْأَنْذَرِ وَتَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الإنسان: ٧-١٠] .

فتأمل سياق هذه الآيات الكريمة في بيان حال الأبرار في الدنيا ، وإخلاصهم لربهم جلّ وعلا في إطعام الطعام ابتغاء وجه الله ومرضاته ، والذي أثمر - بإذن الله تعالى - وقيامتهم من شرِّ ذلك اليوم العظيم حيث قال سبحانه : ﴿ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ [الإنسان : ١١] .

والوقاية المذكورة تعم كل شر يحصل في ذلك اليوم ، فيسلمون منه - بإذن ربهم - كفاء وإخلاصهم وجزاء إيمانهم بالله تعالى .

قال ابن جرير : " يقول جلّ ثناؤه : فدفع الله عنهم ما كانوا في الدنيا يحدرون ، من شرِّ اليوم العبوس القمطير بما كانوا في الدنيا يعملون ، بما يرضي عنهم ربهم ، ولقاهم نضرة في وجوههم ، وسروراً في قلوبهم " هـ (١)

(١) جامع البيان [٥٥٠/٢٣] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وهذه من أجلّ ثمار الإخلاص وأعظم آثاره ، أن يقى الله المخلص شرّ ذلك اليوم الشديد الأهوال العظيم الأحوال ، بل ويبدله الخوف في الدنيا من ذلك اليوم نضرةً في الوجه وسروراً في القلب . " وهذا من باب التجانس البليغ " . (١)

فإنّ من دوافع الإخلاص لله تعالى وأسبابه الخوف من يوم القيامة وأهواله ومآل العباد فيه .

فلمّا خاف المؤمن مقام ربّه أخلص له العمل ، ونهى النّفس عن الهوى ، واتّقى الشرك بالله تعالى ؛ فأمنّه تعالى مما يخاف ، وألبسه ثوب السرور والحبور .

وبهذا يظهر أثر الإخلاص في الوقاية من شرّ يوم القيامة ، وحصول النّضرة والسّرور .



(١) ينظر تفسير القرآن العظيم [٢١١/١٤] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

الأثر الرابع : الأمن من الفزع يوم القيامة .

إنَّ يومَ القيامةِ يومٌ عظيمٌ ، وخطبٌ جليلٌ ، تفزع فيه الخلائق من شدَّةِ الأهوالِ ، ولا أبلغ من وصف القرآن لذلك اليوم حيث قال سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج : ٢] ، وقال : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَىٰ الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٌ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر : ١٨] ، وغيرها من الآيات الدالة على شدة هوله وعظيم كربه .

لكن الله تعالى الكريم المَنَّان يمنُّ على أهل الإيمان في ذلك بالأمن من الفزع ، والسَّلامة من الهلع ؛ بسبب إيمانهم وإخلاصهم لله تعالى .

والأمن في الآخرة جزءٌ عظيمٌ من الأمن العام الذي يتفضَّل اللهُ به على أهل التوحيد والإخلاص كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

فإنَّ « ال » في قوله : « الأمن » من ألفاظ العموم كما تقرر عند أهل الأصول .^(١) والتي تدلُّ على عموم الأمن وشموله لجميع أحوال المخلصين ، ومن أعظمها أحوال الآخرة وأهوالها .

وقد دلَّ القرآن على حصول الأمن من فزع يوم القيامة بخصوصه في مواضع منها : قوله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٩] .

والمراد بالحسنة في هذه الآية : التوحيد كما ذكره جمع من أهل التفسير .

(١) ينظر للاستزادة : روضة الناظر [١٢٢/٢] ، والمستصفي [١١٠/٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

قال ابن جرير : " يقول تعالى ذكره : « مَنْ جَاءَ » الله بتوحيده والإيمان به ، وقول لا إله إلا الله موقناً به قلبه « فَلَهُ » من هذه الحسنة عند الله « خَيْرٌ » يوم القيامة ، وذلك الخير أن يشبّه الله « مِنْهَا » الجنة ، ويؤمنه « مِنْ فَرْعٍ » الصيحة الكبرى وهي النَّفْخ في الصُّور " هـ (١)
فإنّه تعالى أخبر عن فرع النَّاس عند النَّفْخ في الصُّور ، واستثنى منهم أهل الإيمان والإخلاص الذي آمنهم من الفرع بسبب إخلاصهم له سبحانه ، وابتغائهم رضوانه والجنة .
وهذا من أعظم الآثار المترتبة على هذا العمل الجليل ، والدَّالُّ على عِظَم شأن الإخلاص ، وعلى عُلو شأن المخلصين عند الله تعالى .

ومن المواضع الدَّالَّة على هذا الأثر العظيم قوله تعالى عمَّن سبقت لهم من الله الحسنى :
﴿ لَا تَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّهْمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] .

وقد اختلف أهل التفسير في المراد بالفرع الأكبر على أقوال ذكرها ابن جرير وغيره حيث قال : " وأولى الأقوال في ذلك بالصَّواب قول من قال : ذلك عند النَّفْخة الآخرة ؛ وذلك أنَّ مَنْ لم يحزْنه ذلك الفرع وأمن منه ، فهو ممَّا بعده أخرى ألا يفزع ، وأنَّ من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفرع ممَّا بعده " هـ (٢)

ومن تأمل هذا القول وجدّه في غاية المطابقة للآية ؛ فإنّه لا فرع أعظم من فرع نفخة الصُّور والتي تكرّر ذكرها في القرآن ، وبيّن فرع الخلائق منها ، فمن آمنه الله منها فهو لما سواها من الأهوال المفزعة آمن - بإذن الله .

وبهذا يظهر أثر الإخلاص في الأمن من فرع يوم القيامة ، وتطمين أهل الإخلاص وإذهاب الخوف والفرع عنهم ؛ مما يبرز عِظَم شأن الإخلاص وكبير أثره في الآخرة .



(١) جامع البيان [١٣٩/١٨] .

(٢) جامع البيان [٤٢٢ / ١٦] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

الأثر الخامس : النجاة من النار .

فما أنذر الله عباده وخوفهم بشيء أعظم من النار ؛ لأنَّ عذابها كان غراماً قال تعالى :
﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴾ [الليل: ١٤] .

ومن أعظم ما يخافه أهل الإيمان ويطمعون في السلامة منه عذاب النار ، فقد أخبر الله عن حالهم في الدنيا بقوله : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٠] .
وقال عنهم أيضاً : ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ بَلَّغْنَا اللَّهُ عَلَيْنَا
وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٦-٢٧] .

ومن دعاء عباد الرحمن قولهم : ﴿ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
غَرَامًا ﴿١٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٥-٦٦] .

والخوف من النار حملهم على عبادة الله وحده لا شريك له ، وإخلاص الدين له . فكان
جزاؤهم أن نجَّاهم مما يخافون ، وصرف عنهم ما يحذرون ، قال سبحانه : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا
الْآتِقَى ﴾ [الليل: ١٧] .

وأعظم ما يُتَّقَى الشرك بالله تعالى ؛ فمن اتقى الشرك نجى من النار - بإذن الله تعالى .
قال ابن كثير : " وقد ذكر غير واحد من المفسرين أنَّ هذه الآيات نزلت في أبي بكر
الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، حتَّى إِنَّ بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك . ولا شك أنَّه
داخل فيها ، وأولى الأمة بعمومها ؛ فإنَّ لفظها لفظ العموم " هـ (١)

(١) تفسير القرآن العظيم [٣٧٩/١٤] ، وللاستزادة ينظر : أسباب النزول للواحي [ص/٣٠١] ، ولباب النقول
[ص/٢١٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وقد بيّن تعالى الدافع له على اتّقاء النَّار ، وأنّه الإخلاص لله تبارك وتعالى فقال : ﴿ وَمَا

لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا أَتْبَغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل : ١٩-٢٠] .

قال ابن قيم الجوزية : " إنّ من يجب عذابه عزّ وجلّ هم أهل التّقوى والإحسان

والإخلاص " هـ .^(١)

ولهذا قال ﷺ : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » .^(٢)

ووجه الدلالة من الحديث : أنّ التصدّق بنصف تمرة من كسب طيب وبنية خالصة يقي صاحبها من النَّار بإذن الله ، فكيف بغيرها من الأعمال الصالحة إذا قارنتها النية الخالصة ، فإنّه تعالى ذكر من جملة أعمال الأتقى الإنفاق فقال : ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾ [الليل : ١٨] .

وأشار إلى الإخلاص في ذلك بقوله : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا

أَتْبَغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل : ١٩-٢٠] .

" فالعبرة ليست في صورة العمل ، وإنما العبرة في نية العامل ، فإن كانت نية العامل خالصة لله عزّ وجلّ فهذا العمل عملٌ صالح ، وإن كانت نية العامل غير خالصة لوجه الله عزّ وجلّ فهذا عملٌ فاسد وإن كانت صورته صورة عمل صالح ، فلا تنظر إلى كثرة الإنفاق والتبرّعات والمشاريع ، فربّما يكون من يتصدّق بشيء قليل مع نية صالحة ينال به أجراً عظيماً ، كما قال ﷺ : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » ، فالعمل القليل مع الإخلاص يكون كثيراً " .^(٣)

(١) التبيان في أقسام القرآن [ص/٧٨-٧٩]

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم برقم (٦٠٢٣) ، ومسلم في كتاب الزكاة برقم (١٠١٦) ، والنسائي في كتاب الزكاة باب القليل في الصدقة برقم (٢٥٥٢) ، من حديث عدي بن حاتم .

(٣) ينظر إعانة المستفيد [١٠٥/٢] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وبهذا يظهر أثر الإخلاص في النجاة من النار، والوقاية من عذابها برحمة الله تعالى وفضله. ومن المواضع الدالة على هذا الأثر قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴾ [مرم: ٧١-٧٢] . فدلّت الآية الكريمة على عموم ورود على النار ، وأنه يشمل البرّ والفاجر ، والمؤمن والكافر .

وقد اختلف أهل التفسير في معنى الورد على أقوال أوردها ابن جرير ثم قال : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون ، فينجيهم الله ، ويهوي فيها الكفار وورودهم هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم ، فجاج مسلّم ومكسدٍ فيها " .^(١)

وما ذكره ابن جرير هو ما دلّ عليه قوله ﷺ بأنه : « المُرور على الصراط » .^(٢) ولا منافاة بين هذه الأقوال عند التأمل ، فيطلق الورد على الدخول وعلى المرور والعبور. قال ابن تيمية : " ولفظ الورد والدخول قد يكون فيه إجمال فقد يقال لمن دخل سطح الدار : إنه دخلها ووردها ، وقد يقال لمن مرّ على السطح ولم يثبت فيها : إنه لم يدخلها ، فإذا قيل فلان دخل هذا المكان الرديء ثم نجّاه الله منه ، وقيل فلان : لم يدخله الله إيّاه ، كان كلا الخبرين صدقاً لا منافاة بينهما .^(٣)

وهذا توجيه سديد ، وجمع مناسب ، والمقصود من إيراد الآية الدلالة على نجاة المتقين المخلصين من النار بعد ورودها ؛ فإنّ أعظم ما يتقى الشُّرك بالله تعالى ، وعلى قدر تحقيق الإخلاص والتّقوى والإخلاص يكون العبور كما دلّ عليه حديث مرور الناس على الصراط .

(١) جامع البيان [٦٠١/١٥] .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة برقم (٢٣٥٠) .

(٣) مجموع الفتاوى [٢٧٩/٤] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

ومن الآيات التي نصّت على أنّ للإخلاص أثراً كبيراً في النجاة من النَّار قوله تعالى في شأن توبة المنافقين : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١٤٦].

فإنّ المنافق إذا تاب إلى الله تعالى ، وراجع الحق وأقر بوحداية الله وأصلح عمله ، وأخلص طاعته وأعماله لله وحده ، فهو مع المؤمنين في الجنّة برحمة أرحم الراحمين .
ومعنى أخلصوا دينهم : " أي : جعلوه خالصاً له غير مشوب بطاعة غيره " .^(١)
" فالتائب من المنافقين مع المؤمنين ، وله ثوابهم " .^(٢)
وما ذاك إلا برحمة الله تعالى له وإخلاصهم وصدقهم ؛ فإنّه شرط لقبول توبته كما هو ظاهر .

ومن الآيات في هذا بيان هذا الأثر إخباره تعالى عن أهل الجنّة بقوله : ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ بَلَّغْنَا اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ [الطور : ٢٦-٢٨] .

قال ابن جرير : " إنّنا كنّا في أهلنا في الدنيا خائفين من عذاب الله وجلين أنّ يعذبنا ربّنا اليوم فمنّ علينا بفضلته فنجانا من النَّار ، إنّنا كنّا في الدنيا من قبل يومنا هذا نعبد مخلصين له الدين لا نشرك به أحداً ؛ إنّّه اللطيف بعباده " .^(٣)

(١) ينظر فتح القدير [٥٣٠/١] .

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٢٣٠] .

(٣) جامع البيان [٥٩١/٢١] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

فخوفهم من عذاب النَّار حملهم على الإخلاص ، الَّذي أثمر برحمة الله ومغفرته نجاتهم من النَّار ، وبئس القرار . " والفوز والنَّجاة هي بإخلاص العبادة لا بمجرد السؤال والطلب " . (١)

وقد دلت السنَّة على هذا المعنى الجليل ، وبَيَّنت أثر الإخلاص في النَّجاة من النَّار .

ففي حديث عتبان رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ النَّارَ مِنْ قَالٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ » . (٢)

" فالعمل الَّذي يبتغى به وجه الله تعالى ينجِّي صاحبه إذا قبله الله تعالى " . (٣)

" فَإِنَّهُ إِذَا قَالَهَا بِإِخْلَاصٍ وَيَقِينٍ تَامَ ، لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْحَالِ مُصِرًّا عَلَى ذَنْبٍ أَصْلًا ، فَإِنَّ كَمَالَ إِخْلَاصِهِ وَيَقِينَهُ يَوْجِبُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحْرِمُ عَلَى النَّارِ " . (٤)

نعم قد يصدر منه ذنوب صغائر أو كبائر لكنَّه سرعان ما يتذكَّر ويتوب كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾

[الأعراف: ٢٠١] .

أما المصِّر على الكبائر فهو تحت المشيئة إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ... ﴾ [النساء: ٤٨] .

وبهذه الآيات يظهر أثر الإخلاص في النَّجاة من النَّار برحمة الله تعالى وفضله .



(١) ينظر بدائع التفسير [٢٢٣/٢] .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب المساجد في البيوت برقم (٤١٥) ، ومسلم في كتاب المساجد برقم (١٥٢٨) ، وأحمد في مسنده برقم (٢٣٧٧٠) ، وغيرهم من حديث عتبان بن مالك .

(٣) ينظر فتح الباري [٨٢/٢] .

(٤) ينظر تيسير العزيز الحميد [٦٢/ص] ، بتصرف .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

الأثر السادس : دخول الجنة وحصول الرضى من الله .

إنَّ الغاية التي يسعى إليها المؤمنون ، ويدندن حولها الصالحون ، ويشمّر لها المشمرون ، جنة عرضها السماوات والأرض ، فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ودخول هذه الجنة من أعظم آثار الإخلاص إن لم يكن أعظمها ، وقد دلَّ القرآن الكريم على هذا الأثر العظيم في مواضع عدّة منها :

قوله تعالى : ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ ^(١) أُولَئِكَ هُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ^ص وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ [الصفات : ٤٠-٤٤] .

فقد استثنى جلَّ وعلا عباده المخلصين من العذاب الأليم؛ جزاء إخلاصهم وإيمانهم بالله. قال ابن سعدي : " يقول تعالى : « إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ » فَإِنَّهُمْ غَيْرُ ذَائِقِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ، لِأَنَّهُمْ أَخْلَصُوا لِلَّهِ الْأَعْمَالَ ، فَأَخْلَصَهُمْ ، وَاجْتَنَبَهُمْ بِرَحْمَتِهِ ، وَجَادَ عَلَيْهِمْ بِلُطْفِهِ " ^(١) ففي هذا بيان أثر إخلاصهم ، وثمرة عبادتهم ، بذكر جزائهم عند الله تعالى ، وإكرامه لهم. " و « الْمُخْلِصِينَ » صفة عباد الله ، وهو بفتح اللام إذا أريد الذين أخلصهم الله لولايته ، وبكسرهما أي الذين أخلصوا دينهم لله .

« وأولئك » إشارة إلى عباد الله ، قصد منه التنبية على أنهم استحقوا ما بعد اسم الإشارة لأجل ممَّا أثبت لهم من صفة الإخلاص " ^(٢) .

وفي هذا إشارة واضحة إلى أثر الإخلاص في حصول هذا النعيم المقيم والرزق المعلوم ، وأنَّ الإخلاص لله تعالى سبب من أسباب دخول الجنة .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٨٢٥-٨٢٦] .

(٢) ينظر التحرير والتنوير [١١١/٢٣] ، بتصرف .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

ويدلُّ على هذا الأثر الكبير حديث معاذ رضي الله عنه حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ، قال : « لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئاً ... الحديث » .^(١)

فبيّن له صلى الله عليه وسلم أسباب دخول الجنة ، وأعظمها التوحيد والإخلاص لله تعالى وحده لا شريك له .

وقد دلّت أحاديث كثيرة على أثر التوحيد والإخلاص في دخول الجنة ، وأنه أعظم الآثار الموجبة - بإذن الله ورحمته - للجنة ، وإن وقع من المخلص الموحد شيء من المعاصي ، فإنَّ حسنَةَ التوحيد وإفرادَ الله بالعبادة وحده لا شريك له تمحو أثر تلك المعاصي - بإذنه تعالى ، وقد يعذب في النار على قدر معاصيه ثم مآله إلى الجنة .

كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » .^(٢)

" فهذا الحديث من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد ، فإنه صلى الله عليه وسلم جمع فيه ما يخرج عن جميع مِلَل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم " .^(٣)

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٢٠١٦) ، وعبد الرزاق في مصنفه برقم (٢٠٣٠٣) ، وابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣٠٣١٤) ، وغيرهم من حديث معاذ ، والحديث صحح إسناده الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب [١٨١/١] .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ... » برقم (٣٢٥٢) واللفظ له ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (٤٦) ، وأحمد في مسنده برقم (٢٢٦٧٥) ، وابن حبان في صحيحه برقم (٢٠٧) ، وغيرهم من حديث عبادة .

(٣) ينظر شرح صحيح مسلم للنووي [١٨٣/١] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

" فَإِنَّ تَحَقُّقَ الْقَلْبِ بِمَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَصَدَقَهُ فِيهَا ، وَإِخْلَاصَهُ بِهَا يَقْتَضِي أَنْ يَرِسَخَ فِيهِ تَأَلُّهُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، إِجْلَالاً ، وَهَيْبَةً ، وَمُخَافَةً ، وَمُحَبَّةً ، وَرَجَاءً ، وَتَعْظِيماً ، وَتَوَكُّلاً ، وَيَمْتَلِئُ بِذَلِكَ ، وَيَنْتَفِي عَنْهُ تَأَلُّهُ مَا سِوَاهُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ " . (١)

والحق أن الآيات الدالة على دخول المخلص الجنة ، وأنه ثمرة من ثمار الإخلاص والتوحيد ، وأثر من آثاره كثيرة جداً . فكل آية ورد فيها ذكر جزاء المؤمنين بالجنة دالة على هذا الأثر ، والمقصود الإشارة إلى شيء منها يظهر به أثر الإخلاص في حصول هذا النعيم ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه في قوله : « وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » : " معناه أخلصوا الأعمال ، يدل عليه قوله : « فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا » أي : خالصاً لأن المنافق والمرائي لا يكون عمله خالصاً " . (٢)

فدلاً على اشتراط صلاح العمل المتضمن كونه خالصاً لله تعالى لا شرك فيه .

(١) ينظر جامع العلوم والحكم [٥٢٤/١] .

(٢) ينظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن [١٧٠/١] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

قَالَ مُعَاذٌ^(١) : "العمل الصالح الذي فيه أربعة أشياء : العلم والنية والصبر والإخلاص".^(٢)
فدلَّت الآية الكريمة على أثر إيمانهم بالله تعالى ، وإتباعه بالعمل الصالح الذي صلحت فيه النية والقصد فكان لله خالصاً وحده لا شريك له .

ومن الآيات الدالة على هذا الأثر العظيم ، والغاية الكبرى قوله تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ

هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ^ع لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ [المائدة: ١١٩] .

قال الصَّحَّاحُ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ : " يوم ينفع الموحدين توحيدهم " .^(٣)

" والصادقون هم الَّذِينَ استقامت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم على الصراط المستقيم والهدى القويم ، فيوم القيامة يجدون ثمرة ذلك الصِّدْقِ ، إذا أحلَّهم الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر " .^(٤)

فأظهرت هذه الآية الكريمة ما يلقاه الصَّادِقُونَ مع الله المخلصون من التَّعْيِيمِ المقيم والرِّضْوَانِ مِنَ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ ؛ حيث نفعهم صدقهم وإخلاصهم فأثمر هذه الثَّامَرَةَ المباركة الَّتِي من أجلها يتنافسون المتنافسون ، وفي طلبها يتسابق المتسابقون .

(١) هو : معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تريد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ، أبو عبد الرحمن المدني ، صحابي جليل ، أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة ، وشهد بدرًا والعقبة والمشاهد ، مات سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة وهو ابن أربع وثلاثين ، وقيل مات وهو ابن ثمان وثلاثين . ينظر : الإصابة [١٣٦/٦] ، وتهذيب الكمال [١٠٥/٢٨] .

(٢) ينظر معالم التنزيل [٥٣/١] .

(٣) ينظر تفسير القرآن العظيم [٤٣١/٥] .

(٤) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٢٧٦-٢٧٧] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

" ومعنى نفع الصّدق صاحبه في ذلك اليوم أنّ ذلك اليوم الحق فالصّدق ينتفع فيه

بصدقه ، لأنّ الصّدق حسن فلا يكون له في الحق إلاّ الأثر الحسن " . (١)

فتبيّن بهذه الآية أثر الإخلاص على المخلصين في الآخرة بدخولهم الجنّة والخلود فيها ، بل

وحصول الرّضى من الله تعالى الذي هو أكبر من نعيم الجنّة .

قال تعالى : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٧٢] .

قال ابن جرير : " فإنّ معناه : ورضى الله عنهم أكبر من ذلك كلّه ، وبذلك جاء الخبر

عن رسول الله ﷺ " . هـ (٢)

يشير رحمه الله إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ! فَيَقُولُونَ : لَيْسَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ! فَيَقُولُ :

هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا لَنَا لَا نَرْضَى ، وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ؟

فَيَقُولُ : أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ . قَالُوا : يَا رَبِّ ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ! قَالَ :

أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي ، فَلَا أُسْخِطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا » . (٣)

فهذا الرّضوان من الرّحيم الرّحمن من أعظم آثار الإخلاص في الجنان .

قال ابن الجوزي : " فإنّ قيل : لم كان الرّضوان أكبر من النّعيم ؟ فعنه جوابان :

أحدهما : أنّ سرور القلب برضى الرّبّ نعيم يختص بالقلب ، وذاك أكبر من نعيم الأكل

والشرب .

(١) ينظر التحرير والتنوير [١١٨/٧] .

(٢) جامع البيان [٥٦٤/١١] .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب كلام الرب مع أهل الجنة برقم (٧٥١٨) ، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة

وصفة نعيمها وأهلها برقم (٢٨٢٩) ، والترمذي في كتاب صفة الجنة برقم (٢٥٥٥) ، وغيرهم من حديث أبي سعيد

الخدري .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

والثاني : أنَّ الموجِب للنَّعيم الرِّضوان ، والموجِب ثمره الموجب ، فهو الأصل " . هـ (١)
ولا شك أنَّ رضوانه تعالى مقصد عظيم من مقاصد أهل الإخلاص ؛ بل هو المحرك لهم ،
والدَّافع لهم نحو تحقيق الإخلاص لله تعالى ، كما دلَّ عليه قوله تعالى : ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ
اللَّهِ وَرِضْوَانًا ... ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ
أَنْفُسِهِمْ ... ﴾ [البقرة : ٢٥٧] ، وغيرها من الآيات .

" فإنَّ نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربِّهم ورضوانه عليهم ، ولأنَّه الغاية التي أمَّها العابدون ،
والنَّهاية التي سعى نحوها المحبون ، فرضا ربُّ الأرض والسموات ، أكبر من نعيم الجنَّات " . (٢)
" ولأنَّ رضوان الله أصل لجميع الخيرات . وفيه دليل على أنَّ السَّعادات الرُّوحانيَّة أعلى
وأشرف من الجُثمانيَّة " . (٣)

فظهر بهذه الآية الكريمة أثر الإخلاص لله تعالى ، وابتغاء مرضاته في حصول الرِّضوان من
الكريم المَنَّان ؛ فإنَّ هذه الآية جاءت في مقابل ذكر أهل النَّفاق في قوله تعالى :
﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ ... ﴾ [التوبة : ٦٧] .

فكانت هذه الآيات في المؤمنين المخلصين .

فمن رضي الله عمله رضي عنه وأرضاه بالنَّعيم المقيم والجزاء الحَسَن في الآخرة .

(١) زاد المسير [٤٦٩/٣] .

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان [ص/٣٩٣] .

(٣) ينظر التحرير والتنوير [٢٦٥/١٠] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

ومن الآيات الدالة على حصول المخلصين على ما يرضون ثمرة لإخلاصهم ، وأثراً من آثار صدقهم مع الله تعالى قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا أَتْبَغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ [الليل: ١٩-٢١] .

فهذه نزلت في الصديق الأكبر أبي بكر رضي الله عنه حين أعتق بلالاً رضي الله عنه فقال المشركون ما قالوا .

قال الواحدي : " وذلك أن الكفار قالوا لَمَّا اشترى أبو بكر رضي الله عنه بلالاً فأعتقه : ما فعل أبو بكر ذلك إلا ليد كان عند بلال فقال الله تعالى : « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى » أي : لم يفعل ذلك مجازة ليد أسديت إليه " هـ ^(١) وهي وإن كانت في شأن الصديق نزولاً إلا أنها عامة في كل من أخلص لله تعالى وابتغى وجهه ؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

قال ابن كثير : " وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك .

ولا شك أنه داخل فيها ، وأولى الأمة بعمومها ، فإن لفظها لفظ العموم " هـ ^(٢) وقد وعد سبحانه بأن يرضي من ابتغى وجهه ، وأخلص في عمله بأن يرضيه ، والله لا يخلف الميعاد ، فلا تسأل عمّا أعدّ لهم من الكرامة والنعم المقيم الذي يحقق رضاهم كما قال تعالى : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [البينة: ٨] .

ومقام رضاه عنهم أعلى ممّا أُوتوه من النعم المقيم ، « وَرَضُوا عَنْهُ » فيما منحهم من الفضل العميم .

وقوله : « ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ » " أي : هذا الجزاء حاصل لمن خشى الله واتقاه حق تقواه ، وعبده كأنه يراه ، وقد علم أنه إن لم يره فإنه يراه " ^(٣) .

(١) الوجيز [١/١٢٠٩] .

(٢) تفسير القرآن العظيم [١٤/٣٧٩] .

(٣) ينظر تفسير القرآن العظيم [١٤/٤٢٥] .

الإخلاص في القرآن ————— الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم

وهذا حال المخلص لرّبّه الرَّاجي فضله ومغفرته ، فإنّ خشية الله نابعة من صحة الإخلاص، وصدّق الرّغبة فيما عند الله تعالى ، فرضي عنهم وأرضاهم بما لا يخطر على بال ولا يحيط به خيال ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] .

وهذا ما أكّده الحديث القدسي أنّ النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرَ على قلب بشر » .^(١)
وبهذا يبرز أثر الإخلاص لله تعالى في دخول الجنّة ، والرّضى من الله سبحانه ممّا يتنافس فيه المتنافسون ، ويتسابق إليه المتسابقون .

وبالجملّة فإنّ سلعة الله غالية ، ولا ينعم بها إلا من أخلص لله تعالى ، وصدق في إيمانه .
وإلى هنا ينتهي بنا المطاف في الإشارة إلى آثار الإخلاص في الآخرة على أهله ، في دلالة على عظم الإخلاص وكبير أثره ، وجليل نفعه ، وحسن عاقبة أهله .
فحري بمن علم هذه الآثار أن يشمّر عن ساعد الجدّ ، ويخلص لله العمل ، ويرجو ثوابه ويخاف عقابه ؛ ليتحقق له ما يصبو إليه من الفوز بالمطلوب والنّجاة من المهوب .



(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنّة وأنها مخلوقة برقم (٣٠٧٢) ، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم (٢٨٢٤) ، والترمذي في كتاب التفسير سورة السجدة برقم (٣١٩٧) ، وغيرهم من حديث أبي هريرة .

الختام

وفيها : نتائج البحث .

نتائج البحث

الحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، أحمدُه حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ويرضى ، وأصلي وأسلم على أخلص النَّاسِ لرَبِّه وأتقى ، وعلى آله وصحبه ومن بهديه اقتدى أمَّا بعد .

فإنَّ التدبُّرَ لكلام الله تعالى يطلع المرء على كثير من عجائب القرآن التي لا تنقضي . وإنَّ مثل هذه الدراسة الموضوعية لتعين على هذا التدبُّر والتأمُّل ، وعلى استخراج كنوز القرآن ، واستخلاص مكنوناته .

ومن خلال دراستي لموضوع الإخلاص في القرآن الكريم ، يحسن أن أُشير إلى أهمِّ النتائج التي توصلتُ إليها ، وهي على النحو الآتي :

١- بيان أهميَّة الإخلاص لله تعالى وأنَّه من أجلِّ العبادات ، وأعظم القربات ، وشموله لكثير من جوانب الحياة .

٢- عزة الإخلاص وعِظم موقعه ، وشدة الحاجة إليه ، وعناية القرآن به .

٣- أنَّ الإخلاص لله تعالى من أعظم صفات الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين الذين عرفوا الله تعالى فعرفوا عظيم حَقِّه ؛ فأخلصوا له في شؤونهم كلها .

٤- كشفت هذه الدراسة معاني الإخلاص ومفهومه ، وبيَّنت إطلاقاته المتعددة في القرآن ، والألفاظ التي ورد بها القرآن في التعبير عن الإخلاص .

٥- أظهرت الدِّراسة ألواناً من الوسائل في الدَّعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم من خلال الأمر به ، والثَّناء على أهله ، وبيان جزائهم الحَسَن في الدُّنيا والآخرة .

الخاتمة _____ نتائج البحث والتوصيات والمقترحات

- ٦- أن الإخلاص لا يتحقق للعبد إلا ببذل الأسباب والوسائل المعينة - بإذن الله - على ذلك .
- ٧- ظهر حُسن الإخلاص من خلال بيان ضده من الشُّرك بالله والتَّفاق والرِّياء وأحوال أهلها الشَّنيعة ؛ ممَّا يوجب على العبد الحذر منها ومجانبتها .
- ٨- خطورة نواقض الإخلاص وقوادحه ، وبيان السبل المنجية منها .
- ٩- بيان سعة الإخلاص وشموله لمجالات كثيرة من خلال آيات القرآن الكريم .
- ١٠- بيان آثار الإخلاص الطَّيِّبة على الفرد والمجتمع في الدُّنيا ، وآثاره العظيمة في الآخرة ، والتلازم بين هذه الآثار والترابط الوثيق .
- وختاماً أسأل الله العليّ القدير بأسمائه الحسنى وصفاته العُلىّ أن يبارك في هذا البحث ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، نافعاً لكاتبه وقارئه ، إنَّه سميع مجيب .
- وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .



الإخلاص في القرآن الكريم ((دراسة موضوعية))

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في (قسم القرآن وعلومه) .

إعداد / حمد بن محمد بن إبراهيم الوهبي .

إشراف / تركي بن سعد الهويمل ، الأستاذ المشارك في (قسم القرآن وعلومه) .

خطة البحث

تتكون الخطة من مقدمة وسبعة فصول وخاتمة وفهارس وهي على النحو الآتي :

المقدمة : وتتضمن ما يلي :

١- أهمية الموضوع وأسباب اختياره .

٢- حدود البحث وأهدافه .

٣- الدراسات السابقة .

٤- خطة البحث ومنهجه .

الفصل الأول : مفهوم الإخلاص في القرآن الكريم .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه .

المبحث الثاني : إطلاقات الإخلاص في القرآن .

المبحث الثالث : الألفاظ التي ورد التعبير بها عن الإخلاص .

الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن الكريم .

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : الإخلاص ميدان التفاضل .

المبحث الثاني : عزة الإخلاص وعظم موقعه .

المبحث الثالث : شموله لمناحي الحياة .

المبحث الرابع : أثره في العمل ، وفيه ستة مطالب :

١- أثره في قبول العمل .

الخاتمة _____ نتائج البحث والتوصيات والمقترحات

٢- أثره في إجابة الدعاء .

٣- أثره في حصول الشفاعة .

٤- أثره في مضاعفة الأجر .

٥- أثره في قبول التوبة .

٦- أثره في وقوع الأجر من غير عمل .

المبحث الخامس : تسمية بعض سور القرآن باسم الإخلاص ، وفيه مطلبان :

١- سورة الإخلاص ((قل هو الله أحد)) .

٢- سورة الإخلاص ((قل يا أيها الكافرون)) .

الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم .

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : أمر الرسول ﷺ بالإخلاص .

المبحث الثاني : أمر المؤمنين بالإخلاص .

المبحث الثالث : أمر الناس بالإخلاص عموماً .

المبحث الرابع : حصر الأمر في الإخلاص .

المبحث الخامس : الثناء على المخلصين .

المبحث السادس : بيان جزاء المخلصين .

المبحث السابع : بيان فضل الإخلاص .

الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم .

وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : العلم بالله .

المبحث الثاني : معرفة حقيقة الإخلاص .

المبحث الثالث : مجاهدة النفس .

المبحث الرابع : تدبر أحوال المخلصين في القرآن .

الخاتمة _____ نتائج البحث والتوصيات والمقترحات

المبحث الخامس : الاستعانة بالله تعالى .

المبحث السادس : المراقبة .

المبحث السابع : استحضار أجر المخلصين .

المبحث الثامن : الدُّعاء .

المبحث التاسع : التأمل والنظر في عاقبة المرئيين .

الفصل الخامس: أساليب القرآن الكريم في النهي عما يضاد الإخلاص .

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : النهي عن الشرك .

المبحث الثاني : بيان حال المشرك .

المبحث الثالث : التحذير من النفاق .

المبحث الرابع : تحريم الرياء .

المبحث الخامس : ضرب الأمثال .

المبحث السادس : الترهيب من إرادة الإنسان بعمله الدنيا .

الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن الكريم .

وفيه ستة عشر مبحثاً :

المبحث الأول : الإخلاص في توحيد العبادة .

المبحث الثاني : الإخلاص في العبادات ، وفيه مطلبان :

١- العبادات القلبية . ٢- العبادات العملية .

المبحث الثالث : الإخلاص في الدعوة .

المبحث الرابع : الإخلاص في الاستجابة .

المبحث الخامس : الإخلاص في الخشوع .

المبحث السادس : الإخلاص في الصبر .

المبحث السابع : الإخلاص في الإنفاق .

الخاتمة _____ نتائج البحث والتوصيات والمقترحات

- المبحث الثامن : الإخلاص في الصلاة والنحر .
- المبحث التاسع : الإخلاص في الحج والعمرة .
- المبحث العاشر : الإخلاص في الدُّعاء .
- المبحث الحادي عشر : الإخلاص في الإطعام .
- المبحث الثاني عشر : الإخلاص في الوسيلة .
- المبحث الثالث عشر : الإخلاص في الجهاد .
- المبحث الرابع عشر : الإخلاص في الصدقة وبذل المعروف والإصلاح بين الناس .
- المبحث الخامس عشر : الإخلاص في تلاوة القرآن .
- المبحث السادس عشر : الإخلاص في الحياة كلها .
- الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم .

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : آثاره على الفرد .
- المبحث الثاني : آثاره على المجتمع .
- المبحث الثالث : آثاره في الآخرة .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج .

الفهارس العامة : وهي كما يلي :

- ١- فهرس الآيات .
- ٢- فهرس الأحاديث .
- ٣- فهرس الآثار .
- ٤- فهرس الأعلام المترجم لهم .
- ٥- فهرس المصادر والمراجع .
- ٦- فهرس الموضوعات .

Sincerity in the Qur'an ((objective study))

Research presented to obtain a master's degree in (the Quran and its Sciences Department) .

Setup / Hamad bin Mohammed bin Ibrahim Al Wahaibi .

Supervision / Turki bin Saad Howaimel , associate professor (Department of the Quran and its Sciences) .

Research Plan

Plan consists of an introduction and seven chapters and a conclusion and indexes are as follows :

Introduction : and include the following :

- 1 - the importance of the subject and the reasons for his choice .
- 2 - limits and objectives of the research .
- 3 - previous studies .
- 4 - research plan and approach .

Chapter I : The concept of fidelity in the Koran .

And the three sections :

First topic: the meaning of loyalty and understandable .

The second topic : Fidelity releases in the Koran .

The third topic : the terms that received in the expression for fidelity .

Chapter II : the importance of fidelity and his status in the Koran .

It contains five sections :

The first topic : Sincerity field Differential .

The second topic : Azza sincerity and his bone .

Section III : comprehensiveness walks of life .

Section IV : its impact on employment .

And the six demands :

- 1 - its impact on the acceptance of the work .
- 2 - its impact on the answer to pray .
- 3 - Impact on for intercession .
- 4 - Impact on double pay .
- 5 - its impact on the acceptance of repentance .
- 6 - its impact on the occurrence of non-wage work .

Section V : naming some verses of the Qur'an as fidelity

And it Mtalban :

- 1 - Surat Sincerity ((Say God is a)) .
- 2 - Surat Sincerity ((Say O disbelievers)) .

Chapter III : call to fidelity in the Koran .

And where seven sections :

First topic : is Prophet & dedication .

The second topic : the faithful dedication .

The third topic : something people generally fidelity .

Section IV : Survey it in sincerity .

Section V : praise for the faithful .

Section VI : Statement penalty loyal .

Section VII : Statement virtues of fidelity .

Chapter IV : The means to achieve fidelity in the Koran .

And the nine sections :

First topic : knowing God .

The second topic : know the truth about fidelity .

Section III : nafs .

Section IV : manage the conditions of the faithful in the Qur'an .

Section V : the use of God Almighty .

Section VI : surveillance .

Section VII : evoke reward loyal .

Section VIII : pray .

Section IX : meditation and consider the consequences of hypocrites .

Chapter V : Methods Quran in forbidding what is contradictory to fidelity.

And the six sections :

Section I : Prevention of polytheism .

The second topic : if an atheist statement .

Section III : warning of hypocrisy .

Section IV : the prohibition of hypocrisy .

Section V : striking parables .

Section VI : intimidation of human will work lower .

Chapter VI : Areas of devotion in the Holy Quran .

And the six ten Mbgesa :

First topic : Sincerity in unifying worship .

The second topic : sincerity in worship .

And it Mtalban :

1 - worship of a heart attack . 2 - worship process .

Section III : Sincerity in the invitation .

Section IV : Sincerity in response .

Section V : Sincerity in reverence .

Section VI : Sincerity in patience .

Section VII : Sincerity in spending .

Section VIII : faithfulness in prayer and sacrifice .

Section IX : Sincerity in Hajj and Umrah .

Section X : Sincerity in supplication .

Section XI : Sincerity in feeding .

Section XII : Sincerity means .

Section XIII : Sincerity in Jihad .

Section XIV : Sincerity in charity and make known and reform among the people .

Section XV : Sincerity in the recitation of the Quran .

Section XVI : sincerity in all of life .

Chapter VII : the effects of the faithful in the Holy Quran .

And the three sections :

Section I : effects on the individual .

Section II : its effects on society .

The third topic : effects in the Hereafter .

Conclusion : And the most important results .

Indexes : They are as follows :

- 1 - Index verses .
- 2 - Index conversations .
- 3 - Index effects .
- 4 - Index compiler flags them .
- 5 - Index of sources and references .
- 6 - Subject Index .

The most important result of the research :

Statement of the importance of devotion to God Almighty and that in order to worship , and the greatest acts of worship , and comprehensiveness of the many aspects of life .

Blessings and peace upon our Prophet Muhammad and upon his family and companions .□

الفهارس العامة

وتشمل ما يلي :

- ١- فهرس الآيات القرآنية .
- ٢- فهرس الأحاديث الآثار .
- ٣- فهرس الأعلام .
- ٤- فهرس الأشعار .
- ٥- ثبت المصادر والمراجع .
- ٦- فهرس الموضوعات .

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مستلسل	الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة			
١	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	١٥٠
سورة البقرة			
٢	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	٢	١١٥
٣	﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ... ﴾	٢-٣	٢٥٣
٤	﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ... ﴾	٥	١١٥
٥	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا ... ﴾	١١	١٨٨
٦	﴿ مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ... ﴾	١٧	٢٠٥ ٢١٠
٧	﴿ يَتَّبِعُهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ... ﴾	٢١	-١٠٧ -٢٣٧
٨	﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٢٢	-١٠٧ -١٧٣ ١٨٠
٩	﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾	٢٥	-١٣٢ ٣٩٥
١٠	﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ﴾	٤٠	٣٣٠
١١	﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ... ﴾	٤٥	٢٧١
١٢	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَقَوْمِ إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ ... ﴾	٥٤	٨٢

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
١٣	﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْأَخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ ... ﴾	٩٤	-٢٧
١٤	﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا ... ﴾	١١١	١٢٢
١٥	﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ... ﴾	١١٢	-٤٠ -١٢٢ ١٣٧
١٦	﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا ... ﴾	١٢٨	١٦٤
١٧	﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ... ﴾	١٣٩	٢٨
١٨	﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ... ﴾	١٥٠	٢٤٦
١٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ... ﴾	١٥٣	٢٧١
٢٠	﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾	١٦٣	٩٥
٢١	﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... ﴾	١٦٥	-١٨٠ -٢٤٨ ٢٤٩
٢٢	﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ ... ﴾	١٧٧	-٢٤٤ ٢٥٣
٢٣	﴿ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى ... ﴾	١٧٧	٢٩٢
٢٤	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ... ﴾	١٨٦	-٧٢ ٣٥٣
٢٥	﴿ وَاتَّمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ... ﴾	١٩٦	٢٨٣

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مستلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٢٦	﴿ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ... ﴾	١٩٧	٦٣
٢٧	﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءً ... ﴾	٢٠٧	٣١
٢٨	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ ... ﴾	٢١٣	٣٦٤
٢٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا ... ﴾	٢١٨	-٣٨ -١١٦ ٣٠٣
٣٠	﴿ أَوْلَيْكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ... ﴾	٢١٨	٣٦
٣١	﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ... ﴾	٢٣٥	١٥٥
٣٢	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ... ﴾	٢٤٥	٧٨
٣٣	﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ... ﴾	٢٥٣	٤٤
٣٤	﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	٢٥٤	١٧٤
٣٥	﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ ... ﴾	٢٥٥	-٧٤ -٩٢ ٣٨٠
٣٦	﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ .. ﴾	٢٥٧	٣٢٨
٣٧	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾	٢٦١	-٧٨ ٢٢٤
٣٨	﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾	٢٦٢	-٤١ ٢٧٦

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٣٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ ... ﴾	٢٦٤	١٦٨ ٢١٥
٤٠	﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ ءَمْوَالَهُمْ ءَبْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ .. ﴾	٢٦٥	-٣٤ -٢٢٢ ٣٧١
٤١	﴿ أَيُّودٌ ءَحَدُّكُمْ ءَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ... ﴾	٢٦٦	٢١٥
٤٢	﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ ءِلَّا ءَبْتِغَاءَ وَجْهِ ءَللّٰهِ ... ﴾	٢٧٢	-٣١ -٣٤ ٧٩
٤٣	﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسِكُمْ ... ﴾	٢٧٢	٢٧٤
سورة آل عمران			
٤٤	﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا ... ﴾	٨	٣٤٣
٤٥	﴿ قُلْ ءِنْ تُحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ ءَوْ تَبْدُوهُ يَعْلَمُهُ .. ﴾	٢٩	١٥٥
٤٦	﴿ ءِنْ هَذَا لَهَوَ ءَلْقَصَصِ ءَلْحَقِّ وَمَا مِنْ ءِلَهِ ءِلَّا ءَللّٰهُ.. ﴾	٦٣	١١٢
٤٧	﴿ قُلْ يَا ءَهْلَ ءَلِكْتِبِ تَعَالَوْا ءِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَءٍ ... ﴾	٦٤	١١٢
٤٨	﴿ وَءَللّٰهُ ءَلَىٰ ءَلنَّاسِ حِجُّ ءَلْبَيْتِ مِنْ ءَسْتَطَاعَ ... ﴾	٩٧	٢٨٤
٤٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَاتَّقُوا ءَللّٰهُ حَقَّ تَقَاتِهِ ... ﴾	١٠٢	-٧ ٣٦٤
٥٠	﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ ءَلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ... ﴾	١٤٦	٢٣٤

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٥١	﴿ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ ... ﴾	١٥٢	٣٥
٥٢	﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ .. ﴾	١٦٢	٤٧
٥٣	﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ ... ﴾	١٧١	٢٦٣
٥٤	﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا ... ﴾	١٧٢	١١٦
٥٥	﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ... ﴾	١٧٥	٢٤٦
٥٦	﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾	١٧٥	٢٤٨
٥٧	﴿ وَإِنَّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ... ﴾	١٩٩	٢٦٥
سورة النساء			
٥٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾	١	-٧ ١٥٥
٥٩	﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... ﴾	٣٦	-١٠٩ ١٧٦
٦٠	﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ ... ﴾	٣٨	٢٠١
٦١	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ... ﴾	٤٨	-١٢٧ ٣٩٢
٦٢	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا ... ﴾	٦٦	٣٤٥
٦٣	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾	٧٦	٣٠٦
٦٤	﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى ... ﴾	٩٥	٨٥

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٦٥	﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا ... ﴾	١٠٠	-٤١ -٨٣ ٨٥
٦٦	﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ^ط إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ ﴾	١٠٤	-١٦٢ ٣٠٧
٦٧	﴿ وَتَرَجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ... ﴾	١٠٤	٣٩
٦٨	﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ هَمَّتْ ... ﴾	١١٣	١٣٤
٦٩	﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ ... ﴾	١١٣	١٣٩
٧٠	﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ ... ﴾	١١٤	-٣١ -٣٤ -٥٩ -٧٧ ١٥٩
٧١	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ... ﴾	١١٦	١٢٧
٧٢	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ ... ﴾	١٢٤	١٥٩
٧٣	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾	١٢٥	-٤٠ ١١٦
٧٤	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ .. ﴾	١٣٦	١٠٤
٧٥	﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ ... ﴾	١٤٢	-١٦٧ ٣٦٦

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٧٦	﴿ يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	١٤٢	-١٩٩ ٢٠٠
٧٧	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ... ﴾	١٤٤	١٩٢
٧٨	﴿ إِنَّ النَّارَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ.. ﴾	١٤٥	-٨٠ -١٢٣ -١٩٠ ١٩٢
٧٩	﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ ... ﴾	١٤٦	-٢٩ ١٢٤
٨٠	﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾	١٤٦	٣٩١
سورة المائدة			
٨١	﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾	٢٧	-٦٤ ٦٨
٨٢	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ ... ﴾	٣٥	٢٩٥
٨٣	﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُونِ ... ﴾	٤٤	٢٤٦
٨٤	﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ... ﴾	٥٤	٢٤٨
٨٥	﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ... ﴾	٧٢	-١٧٨ ١٨٦
٨٦	﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ ... ﴾	٧٤	٨٢
٨٧	﴿ فَكَفَّرْتَهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا ... ﴾	٨٩	٢٩٣

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٨٨	﴿ أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ... ﴾	٩٦	٢٩٣
٨٩	﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ... ﴾	١١٩	٣٩٦
	سورة الأنعام		
٩٠	﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ... ﴾	١٧	٣٥٥
٩١	﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَاكُمْ ... ﴾	٤٠	٧١
٩٢	﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ... ﴾	٥٢	٣٥
٩٣	﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ ... ﴾	٦٣	٧١
٩٤	﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا ... ﴾	٧١	١٨٤
٩٥	﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ ... ﴾	٧٥	١٣٨
٩٦	﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ ... ﴾	٧٩	١٣٨
٩٧	﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ ... ﴾	٨١	٣٣٣
٩٨	﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٨١	٣٧٣
٩٩	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾	٨٢	٣٧٣ ٣٨٦
١٠٠	﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	٨٨	١٢١
١٠١	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ ... ﴾	٩٠	-١٢١ ١٤٧
١٠٢	﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ ... ﴾	٩٣	١٨٦

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
١٠٣	﴿ أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي .. ﴾	١٢٢	١٨٤
١٠٤	﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ تَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ... ﴾	١٢٥	١٨٢
١٠٥	﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ ... ﴾	١٣٩	٢٧
١٠٦	﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ... ﴾	١٥١	١٧٧
١٠٧	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ ... ﴾	١٦٢	-٥٩ -١٣٨ -١٤٧ -278 ٣١٦
سورة الأعراف			
١٠٨	﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ... ﴾	١٦	٣٤٩
١٠٩	﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندِي ... ﴾	٢٩	٢٩
١١٠	﴿ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾	٢٩	٢٨٨
١١١	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ... ﴾	٣٢	٢٨
١١٢	﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ... ﴾	٥٥	-٢٣٩ -٢٨٩ ٣٥٥
١١٣	﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ... ﴾	٥٦	٣٥٦
١١٤	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا ... ﴾	٩٦	٣٦٨

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
١١٥	﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَغِيثُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا ... ﴾	١٢٨	١٥٢
١١٦	﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ... ﴾	١٥٨	١١٠
١١٧	((وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ...))	١٨٠	٣٠٠
١١٨	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ . ﴾	١٩٤	٣٥٣
١١٩	﴿ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ... ﴾	١٩٦	٣٢٦
١٢٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنْ ... ﴾	٢٠١	٣٩٢
سورة الأنفال			
١٢١	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ... ﴾	٢٤	٢٦١
١٢٢	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ ... ﴾	٣٠	٣٣٦
	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا .. ﴾	٤٥	٣٤٣
١٢٣	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا ... ﴾	٤٧	٢٠٢
١٢٤	﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ ... ﴾	٥٠	١٨٧
١٢٥	﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ... ﴾	٦٧	٣٥
سورة التوبة			
١٢٦	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .. ﴾	٢١	٢٣٨
١٢٧	﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ ... ﴾	٢٥	٣٤١
١٢٨	﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ .. ﴾	٣١	١١٢

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
١٢٩	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ... ﴾	٣١	٩٥
١٣٠	﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ ... ﴾	٤٠	٣٣٦
١٣١	﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ ... ﴾	٤٠	٣٤٠
١٣٢	﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾	٤٤	٤٤
١٣٣	﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ... ﴾	٥٢	١٦٢
١٣٤	﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ ... ﴾	٥٤	٦٥
١٣٥	﴿ تَحَذِّرُوا الْمُنَافِقِينَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ... ﴾	٦٤	٢١٣
١٣٦	﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ... ﴾	٦٧	-١٩٣ ٣٩٨
١٣٧	﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	٦٧	١٨٨
١٣٨	﴿ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾	٧٢	٣٩٧
١٣٩	﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ... ﴾	٩٢	٨٨
١٤٠	﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .. ﴾	٩٩	٢٧٥
١٤١	﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .. ﴾	١٠٠	٢٨٧
١٤٢	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ .. ﴾	١٠٣	٢٨٨
١٤٣	﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ ... ﴾	١٢٠	٨٨

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مستلسل	الآية	رقمها	الصفحة
سورة يونس			
١٤٤	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ ﴾	٧	٣٦- ٣٩
١٤٥	﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ... ﴾	١٦	١٧٤
١٤٦	﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ ... ﴾	٢٢	٢٩- ٧١
١٤٧	﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا ... ﴾	٦١	١٥٦- ٣١٣
١٤٨	﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ ... ﴾	٦٢	٣٣٢
١٤٩	﴿ قُلْ يَتَأَيَّبُ النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي ... ﴾	١٠٤	١٠١
سورة هود			
١٥٠	﴿ كَتَبْنَا أَحْكَامَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلْنَا مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ ﴾	١	١١١
١٥١	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ ... ﴾	١٥	٣٤- ٣٥ ٢٣٠
١٥٢	﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾	٨٨	١٥٣
١٥٣	﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ... ﴾	١٢٣	١٥٣
-	---	-	-
-	---	-	-

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مستلسل	الآية	رقمها	الصفحة
سورة يوسف			
١٥٤	﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾	٢٤	-٢٦ -٥٦ -١١٧ -١٨٤ ٣٢٢
١٥٥	﴿ إِنَّهُرْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾	٢٤	٢
١٥٦	« ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء »	٣٨	٣٢٩
١٥٧	﴿ يَصْنَعِي السِّجْنَءَ رَبَّابٌ مُتَفَرِّقُونَ حَيْرٌ... ﴾	٣٩	٢١٧
١٥٨	﴿ وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ... ﴾	٥٣	١٤٢
١٥٩	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِءَ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي... ﴾	٥٤	٢٧
١٦٠	« والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين »	٦٤	٣٢٩
١٦١	﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾	٧٦	١٣٤
١٦٢	﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾	١٠١	١٥٦
١٦٣	﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾	١٠٦	٥٤
١٦٤	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ... ﴾	١٠٨	٢٥٥
سورة الرعد			
١٦٥	﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ... ﴾	٢٢	-٢٢ ٢٧٢

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مستلسل	الآية	رقمها	الصفحة
سورة إبراهيم			
١٦٦	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أََعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ ... ﴾	١٨	٦١
١٦٧	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ... ﴾	٢٤	-٢٢٦ ٣٤٤
١٦٨	﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ... ﴾	٢٧	-٣٤٤ ٣٧٨
١٦٩	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا ... ﴾	٣٥	١٦٤
سورة الحجر			
١٧٠	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ... ﴾	٣٩	٣٤٩
١٧١	﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾	٤٠	٣٥٠
١٧٢	﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾	٤١	٥١
١٧٣	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ ... ﴾	٤٢	-٥٠ -٣٢٥ ٣٤٩
١٧٤	﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾	٩٩	٩٣
سورة النحل			
١٧٥	﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ .. ﴾	٣٢	٣٧٦
١٧٦	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾	٣٦	-٤٩ ٢٤٠

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
١٧٧	﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۗ نَسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ... ﴾	٦٦	٢٦
١٧٨	﴿ مِنْ بَيْنِ فَرثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا ... ﴾	٦٦	٢٣
١٧٩	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ... ﴾	٩٧	-١٥٩ ٣٤٢
١٨٠	﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ... ﴾	٩٩	-٥٠ ٣٥١
١٨١	﴿ إِنَّ إِبْرٰهِيْمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّٰهِ حَنِيفًا ... ﴾	١٢٠	١١٧
١٨٢	﴿ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۗ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ ... ﴾	١٢١	١١٨
١٨٣	﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرٰهِيْمَ حَنِيفًا ... ﴾	١٢٢	١١٧
١٨٤	﴿ وَلَمْ يَكْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	١٢٣	١٦٤
١٨٥	﴿ أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ .. ﴾	١٢٥	٢٥٧
١٨٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾	١٢٨	١٥٤
سورة الإسراء			
١٨٧	﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... ﴾	٩	١١٥
١٨٨	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ ... ﴾	١٨	-٣٥ ٢٣٠
١٨٩	﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ... ﴾	١٩	-٣٤ ١٥٨
١٩٠	﴿ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾	٢٤	٤

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
١٩١	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُرَءِ اِهْمَةُ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا ... ﴾	٤٢	٢٩٩
١٩٢	﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ وَّءَاتَيْنَا ... ﴾	٥٥	٤٤
١٩٣	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ ... ﴾	٥٧	-٤٥ ٢٩٨
١٩٤	« وَلَوْلَا أَنْ تَبْتُنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا »	٧٤	٣٤٥
١٩٥	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾	٨٩	٢٠٨
١٩٦	﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ .. ﴾	١٠٧	٢٦٧
سورة الكهف			
١٩٧	﴿ وَآتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا ... ﴾	٢٧	٣١١
١٩٨	﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ ﴾	٢٨	٣٥
١٩٩	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ ... ﴾	٥٤	٢٠٨
٢٠٠	﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَحْسَرِينَ أَعْمَلًا ﴿١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ .. ﴾	١٠٣	٢٣٣
٢٠١	﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا .. ﴾	١١٠	-٣٦ -٥٠ -٦٦ -١٩٩
سورة مريم			
٢٠٢	﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ رِنْدَاءٍ خَفِيًّا ﴾	٣	-٢٥ ٢٨٩
٢٠٣	﴿ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُرَ ... ﴾	٤٩	١١٨

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٢٠٤	﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾	٥٠	٣٥٩
٢٠٥	﴿ وَأذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ ... ﴾	٥١	-٢٥ -٥٤ -١١٨ -١٤٨ ٣٢٩
٢٠٦	﴿ وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا ... ﴾	٧١	٣٩٠
٢٠٧	﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ... ﴾	٧٦	٣٤٦
٢٠٨	﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ ... ﴾	٨٢	٢١٨
٢٠٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ .. ﴾	٩٦	٣٥٧
سورة طه			
٢١٠	﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾	٣٩	-١٥٥ ٣٢٩
٢١١	﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ... ﴾	١٠٩	٣٨٠
٢١٢	﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ... ﴾	١١٤	١٣٤
٢١٣	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ... ﴾	١٢٤	١٨٥
سورة الأنبياء			
٢١٤	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ ... ﴾	٢٥	-٤٩ -١٠٩

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مستلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٢١٥	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ ... ﴾	٢٥	٤٩ - ١٠٩ - ٢٤١
٢١٦	﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ... ﴾	٢٨	٧٤ - ٧٥ - ٣٨٠
٢١٧	﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ... ﴾	٨٧	٣٣٥
٢١٨	﴿ وَكَذَلِكَ نُجَيِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٨٨	٣٣٥
٢١٩	﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا ... ﴾	٩٠	٧٠
٢٢٠	﴿ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾	٩٠	٢٦٦
٢٢١	﴿ لَا تَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ ... ﴾	١٠٣	٣٨٧
٢٢٢	﴿ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ ... ﴾	١١٢	١٥٢
سورة الحج			
٢٢٣	﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ... ﴾	٢	٣٨٦
٢٢٤	﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ... ﴾	٣١	١٨٥
٢٢٥	﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ الْهُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّفْؤَىٰ ... ﴾	٣٧	٢٨١
٢٢٦	﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ ... ﴾	٤١	٣٦٩
٢٢٧	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ ... ﴾	٧٣	٢١٩

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٢٢٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا ... ﴾	٧٧	١٠٣
٢٢٩	﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ... ﴾	٧٨	2٣٠
٢٣٠	﴿ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا ... ﴾	٧٨	٣٦٧
سورة المؤمنون			
٢٣١	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ ... ﴾	٢-١	٢٦٧
٢٣٢	﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلْكِ فَقُلِ ... ﴾	٢٨	٣٣٢
٢٣٣	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾	٥٩	-١٢٠ ٣٦٦
٢٣٤	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى ... ﴾	٦٠	٦٧
سورة النور			
٢٣٥	﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ ... ﴾	٣١	٨١
٢٣٦	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ تَحْسَبُهَا ... ﴾	٣٩	٦١
٢٣٧	﴿ وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ... ﴾	٥٤	١٤٧
٢٣٨	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾	٥٥	-٣٣٦ -٣٧٠ ٣٧٢
٢٣٩	﴿ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ... ﴾	٥٥	٣٧٢
٢٤٠	﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ... ﴾	٥٥	٣٦٩

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مستلسل	الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفرقان			
٢٤١	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ... ﴾	٢١	٣٦
٢٤٢	﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً ... ﴾	٢٣	-٦١ ٢٣٢
٢٤٣	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ ... ﴾	٥٨	-١٥٣ ١٧٥
٢٤٤	﴿ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا ... ﴾	٦٥	٣٨٨
٢٤٥	﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ... ﴾	٦٨	١١٩
سورة الشعراء			
٢٤٦	﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيّدِينَ ﴾	٦٢	٣٣٤
٢٤٧	﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ ... ﴾	٨٨	-٢٤٣ ٣٧٦
٢٤٨	﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ ... ﴾	٩٧	١٨٠
٢٤٩	﴿ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٩٨	١٧٢
٢٥٠	﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾	١٠٠	80٣
٢٥١	﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ ... ﴾	١٠٩	-١٤٨ ٢٥٦

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مستلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٢	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ ... ﴾	٢١٧	١٥٤
سورة الزمل			
٢٥٣	﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ... ﴾	٦٢	٣٥٧
٢٥٤	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ ... ﴾	٨٩	٣٨٦
٢٥٥	﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ ... ﴾	٩١	٣١٢
سورة القصص			
٢٥٦	﴿ وَأَتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ... ﴾	٧٧	٣١٩
٢٥٧	﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ... ﴾	٨٨	١٧٥
سورة العنكبوت			
٢٥٨	﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ... ﴾	٥	-٣٦ -٣٧ -١٤٣
٢٥٩	﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ ... ﴾	٦	١٤٣
٢٦٠	﴿ فَأَنْجِنُهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ ... ﴾	٢٤	٣٣٥
٢٦١	﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ... ﴾	٣٦	-٣٦ -٣٨ -٢٥٠
٢٦٢	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ... ﴾	٤١	٢١٨

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٢٦٣	﴿ وَتَلَّكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ... ﴾	٤٣	٢٠٦
٢٦٤	﴿ أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ... ﴾	٤٥	٣١١
٢٦٥	﴿ يَعْبادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي ... ﴾	٥٦	١٠٦
٢٦٦	﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾	٦٥	-٢٩ -٧١ ٣٥٤
٢٦٧	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ ... ﴾	٦٩	١٤٣
سورة الروم			
٢٦٨	﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا ... ﴾	٢٨	٢٢٠
٢٦٩	﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ ... ﴾	٣٠	١٠١
٢٧٠	﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ ... ﴾	٣٨	٣٥
٢٧١	﴿ وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّن رِّبَا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا ... ﴾	٣٩	-٣٥ ٢٧٧
سورة لقمان			
٢٧٢	﴿ يَبْنِي لَّا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	١٣	١٧٤
٢٧٣	﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ... ﴾	١٤	٤
٢٧٤	﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ... ﴾	٢٢	-٤٠
٢٧٥	﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ... ﴾	٣٢	-٢٠ ٣٥٤

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مستلسل	الآية	رقمها	الصفحة
سورة السجدة			
٢٧٦	﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ... ﴾	١٧	٤٠٠
سورة الأحزاب			
٢٧٧	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴾	٢١	١٤٦
٢٧٨	﴿ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ... ﴾	٢١	٢٤٨
٢٧٩	﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ ﴾	٢٩	٢٤٩
٢٨٠	﴿ يُضَعِفُ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ ... ﴾	٣٠	٧٧
٢٨١	﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾	٣٥	-٢٦٨ ٢٧٣
٢٨٢	﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ ... ﴾	٣٩	١٤٧
٢٨٣	﴿ إِن أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ .. ﴾	٥٠	٢٧
٢٨٤	﴿ إِن تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفِّفُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ ... ﴾	٥٤	١٥٥
	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ... ﴾	٧٠	٧
سورة سبأ			
٢٨٥	﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ ... ﴾	٢١	٣٤٩
٢٨٦	﴿ فَأُولَئِكَ هُم جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ... ﴾	٣٧	٧٧
-	---	-	--

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مستلسل	الآية	رقمها	الصفحة
سورة فاطر			
٢٨٧	﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا ... ﴾	٦	٣٤٩
٢٨٨	﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ ... ﴾	١٠	-٦٦ ٢٢٧
٢٨٩	﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ ... ﴾	١٣	٣٥٥
٢٩٠	﴿ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ... ﴾	٢٨	-١٣١ ١٣٩
٢٩١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ... ﴾	٢٩	-١٦٠ ٣١٣
سورة يس			
٢٩٢	﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾	٢١	٢٥٧
٢٩٣	﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ ... ﴾	٧٤	٢١٨
سورة الصافات			
٢٩٤	﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمْ رِزْقٌ ... ﴾	٤٠	-٥٢ -١٢٤ ٣٩٣
٢٩٥	﴿ أُولَئِكَ هُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴾	٤١	٥٣
٢٩٦	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظِرْ كَيْفَ ... ﴾	٧٢	٥٣
٢٩٧	﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾	٧٨	٣٥٩

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٢٩٨	﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ ... ﴾	١٢٧	٥٣
سورة ص			
٢٩٩	﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ ... ﴾	٢٩	٧
٣٠٠	﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾	٤٦	٢٥
٣٠١	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٨٢	-٥٠ ٣٤٩
٣٠٢	﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾	٨٣	-٥٠ ٣٤٩
٣٠٣	﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾	٨٦	-١٠٠ ٢٥٧
سورة الزمر			
٣٠٤	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ ... ﴾	٢	٩٩
٣٠٥	﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا ... ﴾	٣	١٤٠
٣٠٦	﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ... ﴾	٣	٢٩٧
٣٠٧	﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ... ﴾	٣	-٢٦ ١٤٠
٣٠٨	﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنْتَرٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا ... ﴾	٩	٤٧
٣٠٩	﴿ سَخَذَ الأَخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ... ﴾	٩	٢٤٨
٣١٠	﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	١٠	٢٧٣

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٣١١	﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾	١١	١٠٠
٣١٢	﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾	١٤	١٤٧
٣١٣	﴿ وَالَّذِينَ أَحْتَنِبُوا أَطْغَوْتْ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا ... ﴾	١٧	١١٩
٣١٤	﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا ... ﴾	٢٣	١٢٥
٣١٥	﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ ... ﴾	٢٧	٢٠٧
٣١٦	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ ... ﴾	٢٩	-٢١٦ ٢٢٥
٣١٧	﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ^ط وَخَوْفُونَكَ بِالَّذِينَ ... ﴾	٣٦	-٣٢٧ ٣٣٥
٣١٨	﴿ قُلِ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ... ﴾	٤٤	-٧٤ ٣٨٠
٣١٩	﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا ... ﴾	٤٥	١٨٣
٣٢٠	﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ ... ﴾	٦٥	-٥٨ ١٧٥
سورة تافه			
٣٢١	﴿ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾	٣	٨٠
٣٢٢	﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾	١٤	-٣٠ -٧١ -٧٣ -٢٨٧ -٢٩٠ ٣٥٧

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مستلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٣٢٣	﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ... ﴾	١٨	٣٨٦
٣٢٤	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ... ﴾	٦٠	-٧٠ -١٦٣ -٢٨٧ ٣٥٢
٣٢٥	﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ... ﴾	٦٥	-٣٠ -١٠١ ٢٩٠
٣٢٦	﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ .. ﴾	٦٦	١٠٠
٣٢٧	﴿ هُوَ الَّذِي تَحِيَّءُ وَيُمِيتُ فَاِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ... ﴾	٦٨	٣٥٤
سورة فصلت			
٣٢٨	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ ... ﴾	٣٠	-٣٤٧ ٣٧٧
٣٢٩	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ ... ﴾	٣٣	٢٥٨
سورة الشورى			
٣٣٠	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ... ﴾	٢٠	-٣٤ -٣٥ ٢٣٤
٣٣١	﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ... ﴾	٣٦	٢٦٣
٣٣٢	﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ ... ﴾	٤٧	٢٦٤

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٣٣٣	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ... ﴾	٥٢	١٣٩
٣٣٤	﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ ... ﴾	٥٢	١٤٦
سورة الزخرفة			
٣٣٥	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا ... ﴾	٢٦	٩٢
٣٣٦	﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا ... ﴾	٣٦	١٨٤
سورة الأحقاف			
٣٣٧	﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا ... ﴾	٥	-٣٥٣ ٣٥٥
٣٣٨	﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ ﴾	٦	١٠٨
٣٣٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ... ﴾	١٣	٣٤٧
٣٤٠	﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ ... ﴾	١٥	٦٧
سورة محمد			
٣٤١	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ... ﴾	٧	-٣٢٩ ٣٧٠
٣٤٢	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ ... ﴾	١١	٣٢٩
٣٤٣	﴿ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾	١٧	٣٤٦
٣٤٤	﴿ فَاعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ ... ﴾	١٩	١٣٣
٣٤٥	﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ ... ﴾	٢٧	١٨٧

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٣٤٦	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ ... ﴾	٣٠	٣١
سورة الفتح			
٣٤٧	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴾	٤	٣٣٨
٣٤٨	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ... ﴾	١٨	٣٣٩
٣٤٩	﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ ... ﴾	١٨	٣٧١
٣٥٠	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ.. ﴾	٢٩	-١١٩ ١٦١
٣٥١	﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ... ﴾	٢٩	٣٩٧
سورة الحجرات			
٣٥٢	﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ... ﴾	٧	٣٣١
٣٥٣	﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ ... ﴾	١٣	٤٤
٣٥٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾	١٣	٤٤
٣٥٥	﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ... ﴾	١٤	٢٥٣
سورة الذاريات			
٣٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	١٠٨
سورة الطور			
٣٥٩	﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ... ﴾	٢٦	-٣٨٨ ٣٩١

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
سورة النجم			
٣٦٠	﴿ وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا... ﴾	٢٦	-٧٤ ٣٨٠
سورة الحديد			
٣٦١	﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ... ﴾	٤	١٥٥
٣٦٢	﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾	١٣	١٩٤
٣٦٣	﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ... ﴾	١٦	٢٦٦
سورة العنكبوت			
٣٦٤	﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ... ﴾	٨	٣١
٣٦٥	﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ ... ﴾	٢٢	١٣٢
سورة المنافقون			
٣٦٦	﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	٢	٢١٢
٣٦٧	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا ... ﴾	٣	٢١١
٣٦٨	﴿ تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾	٤	٢١٣
سورة التوبة			
٣٦٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا... ﴾	٨	٨٢
سورة الملك			
٣٧٠	﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ ... ﴾	٢	٤٩

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
سورة نوح			
٣٧١	﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾	١٣	٣٧
سورة الجن			
٣٧٢	﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾	١٨	٢٩٠
سورة المزمل			
٣٧٣	﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ... ﴾	١٩	٦٢
سورة المدثر			
٣٧٤	﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَدْثَرُ ﴿٦﴾ فَمَّا نَذَرَ ﴾	٢-١	١٧٩
٣٧٥	﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾	٧	٢٦٨
٣٧٦	﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ ... ﴾	٤٢	٢٩٤
٣٧٧	﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴾	٤٨	-٧٥ ٣٨٠
سورة القيامة			
٣٧٨	﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٣٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾	٢٠	٢٢٨
سورة الإنسان			
٣٧٩	﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَتَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ... ﴾	٧	٣٨٤
٣٨٠	﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا ... ﴾	٨	-١٦١ ٢٩١

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٣٨١	﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾	١٠	٣٨٨
٣٨٢	﴿ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا ﴾	١١	٣٨٤
سورة الزبا			
٣٨٣	﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾	٢٧	٣٧
سورة البلد			
٣٨٤	﴿ أَوْ إِطْعَمُوا فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ... ﴾	١٤	٢٩٢
سورة الليل			
٣٨٥	﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴾	١٤	٣٨٨
٣٨٦	﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْآتَى ﴾	١٧	٣٨٨
٣٨٧	﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾	١٨	٣٨٩
٣٨٨	﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾	٢٠	٣٤-٣١
٣٨٩	﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١١﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ ... ﴾	١٩	-٣٨٩ ٣٩٨
سورة الضحى			
٣٩٠	﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾	٧	١٣٩
سورة الشرح			
٣٩١	﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾	٤	-١١٨ ٣٥٩

الإخلاص في القرآن = الفهاس العامة : فهرس الآيات

مستلسل	الآية	رقمها	الصفحة
سورة البينة			
٣٩٢	﴿ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ... ﴾	٥	-٣٠ -١١٤ -١٤١ -٢٣٩ ٢٥٤
٣٩٣	﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾	٨	٣٩٩
سورة الزلزلة			
٣٩٤	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾	٧	-٦١ -٦٢ ٣٢٠
سورة قريش			
٣٩٥	﴿ فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٢﴾ الَّذِي أَطَعَهُمْ ... ﴾	٢	٣٧٤
سورة الماعون			
٣٩٦	﴿ وَلَا تَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾	٣	-١٦٩ ٢٩٤
٣٩٧	﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ ... ﴾	٥-٤	-٢٠٢
سورة الكوثر			
٣٩٨	﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ﴾	٢	٢٧٩

ثانياً فهرس الأحاديث
والأثر

أولاً فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	مسلسل
٣٨٩	اتقوا النار ولو بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة .	١
١٥٤	الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .	٢
٣٣٠	احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، ...	٣
٣٥٨	إذا أحب الله عبداً نادى جبريل ...	٤
٢٧٦	إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا ، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً .	٥
١٥١	إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ...	٦
٨٦	إذا مرض العبد أو سافر ، كُتِبَ له ما كان يعمل وهو صحيح مقيم .	٧
٣١٨	أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز ...	٨
٣٧٩	استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت ؛ فإنه الآن يسأل .	٩
٢٥١	الإسلام علانية ، والإيمان في القلب .	١٠
٣١٧	أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي ...	١١
٢٨٠	أقام بالمدينة عشر سنين يُضحى .	١٢
٢٠٣	ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي ...	١٣
١٧٧	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً ...	١٤
٢٣٩	أليس يجرمون ما أحل الله فتحرمونه ...	١٥
٢٤١	أُمرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ...	١٦
-١٦٨ ٢٠٠	أنا أغنى الشركاء عن الشرك ...	١٧

الإخلاص في القرآن _____ الفهارس العامة : فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث	مسلسل
١٧١- ١٧٣	أن تجعل لله نداً وهو خلقك ...	١٨
٢٦٨	أن ترى الجسد خاشعاً ، والقلب ليس بخاشع ...	١٩
٢٤٧	أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .	٢٠
١٣١	إنَّ أخشاكم لله وأتقاكم له أنا ...	٢١
٥٥	إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ...	٢٢
١٦٨	إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه ...	٢٣
١٦٦	إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم ...	٢٤
٨٦	إنَّ بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً ...	٢٥
٣٤٣	إن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن ...	٢٦
٢٣٧	إنَّ الله أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكْرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ...	٢٧
١٩٥	إن الله صدقك يا زيد ...	٢٨
٨٤	إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ...	٢٩
٣٠٥	إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه ...	٣٠
٢٥٢	إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ...	٣١
٣٦٥	إنَّ الله يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا ...	٣٢
٣٩٧	إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ...	٣٣
٢٧٦- ٣١٨	إنَّكَ لَن تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجَهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا ، ...	٣٤
٢٨٦	إنما جعل الطواف بالبيت والسعي ...	٣٥
٨٧	إنما الدنيا لأربعة نفر ...	٣٦

الإخلاص في القرآن = الفهارس العامة : فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث	مسلسل
٣٧٠	إنما ينصر الله هذه الأمة بضعفائها ، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم .	٣٧
٧٥	أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً ...	٣٨
٣٣٩	أو فتح هو يا رسول الله ...	٣٩
٣٠٦	أول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل استشهد ...	٤٠
٩٦	أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن ...	٤١
٢٩٣	أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام ...	٤٢
٢٣٣	بشّر هذه الأمة بالسّنَاء والرفعة والدين ...	٤٣
٢٩٣	تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف .	٤٤
٢٠٤	تلك عاجل بشرى المؤمن .	٤٥
-٢٥٠ ٣٦١	ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ...	٤٦
٩٤	حتى أنظر ما يأتي من عند ربّي .	٤٧
-١٦٣ -٢٨٧ ٣٥٢	الدعاء هو العبادة . ثم قرأ ...	٤٨
٣٣٥	دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت ...	٤٩
٢٨٠	ذبح في حجة الوداع بيده الشريفة (٦٣) بدنة .	٥٠
٣٢٤	رجل دعت امرأة ذات منصب وجمال ، فقال إني أخاف الله .	٥١
٥٥	الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النملة السوداء ...	٥٢
٣٩٢	فإن الله حرم النار من قال لا إله إلا الله ، يبتغي بذلك وجه الله .	٥٣
١١٩	فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ...	٥٤

الإخلاص في القرآن _____ الفهارس العامة : فهرس الأحاديث والآثار

مستلسل	الحديث	الصفحة
٥٥	فلما استوى رسول الله ﷺ على راحلته أهلّ بالتوحيد ...	٢٨٣
٥٦	فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ...	٢٥٩
٥٧	فيعرفه الله نعمه فيعرفها ثم يقول الله له ...	٣١٢
٥٨	قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ...	٤٠٠
٥٩	قرأ بهذه السورة و (قل هو الله أحد) في الركعتين بعد المغرب .	٩٣
٦٠	كان ﷺ يصلي من الليل حتى تفتط قدماه ...	٢٨٠
٦١	كان يقرأ بهذه السورة في سنة الفجر ، وركعتي الطواف .	٩٣
٦٢	كل عمل ابن آدم يُضاعف الحسنة بعشر أمثالها ...	٢٢٤
٦٣	كنت أصلي فمر بي رسول الله ﷺ فدعاني ...	٢٢٦
٦٤	لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ...	١٣٣
٦٥	لا يا بنت أبي بكر يا بنت الصديق ، ولكنه الذي يصلي ...	٦٨
٦٦	لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ...	٣٠٦
٦٧	لا يقولن أحدكم إني خير من يونس بن متى ...	٤٥
٦٨	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ، ووالده ، والناس ...	٣٦٠
٦٩	لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه ...	٣٩٤
٧٠	لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث ...	٣٨٢
٧١	لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ...	-٧٦
		٣٨٣
٧٢	اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك وأنا أعلم ...	١٦٥
٧٣	اللهم حجة لا رياء فيها ولا سُمعة ...	٢٨٣

الإخلاص في القرآن _____ الفهارس العامة : فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث	مسلسل
٣٢٤	اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ...	٧٤
٦٢	ما أنزل عليّ فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة ...	٧٥
٣٥٠	ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن ...	٧٦
١٩٢	مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين ...	٧٧
٣٩٠	المروور على الصراط ...	٧٨
٣٧٨	الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ ...	٧٩
٣٧٧	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ...	٨٠
٢٥٩	من دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه ...	٨١
٣٩٤	من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ...	٨٢
٩٢	من شهد أن لا إله إلا الله وكفر بما يعبد ...	٨٣
٢٩٧	من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ...	٨٤
٣٠٥	من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله .	٨٥
٧٥	من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ...	٨٦
٢٣٣	من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره ...	٨٧
٢٣٢	من قَتَلَ قَتِيلاً لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ .	٨٨
٣٧٢	من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه ...	٨٩
١٥١	المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف ...	٩٠
٣٦٣	نضر الله امرأ سمع مقاتلي فوعاها وحفظها وبلغها ...	٩١
٣٤٣	وأسألك الثبات في الأمر ...	٩٢
٢٤٣	وأسألك قلباً سليماً ...	٩٣
٩٦	والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن .	٩٤

الإخلاص في القرآن _____ الفهارس العامة : فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث	مسلسل
٣١٨	وفي بُضْع أحدكم صدقة ...	٩٥
١١٠	وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة .	٩٦
٩٣	وكان يقرأ بها في صلاة الليل .	٩٧
١٤٤	والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله ...	٩٨
١٢٨	يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ...	٩٩
١٥٠	يا معاذ والله إني لأحبك ...	١٠٠
٣٤٣	يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ...	١٠١

ثانياً فهرس الآثار

مسلسل	الأثر	قائله	الصفحة
١	أخلصوا الأعمال	عثمان بن عفان	٣٩٥
٢	إذا استقر العلف في الكرش	عبد الله بن عباس	٢٦
٣	أدركت ثلاثين من أصحاب محمد	ابن أبي مليكة	١٩٠
٤	إذا سمع ذكر الله اشتمأز قلبه	عبد الله بن عباس	١٨٢
٥	« اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ففسقينا ... » .	عمر بن الخطاب	٣٠٢
٦	« اللهم اجعل عملي صالحاً ... »	عمر بن الخطاب	١٦٥
٧	أنَّ المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ...	أبي بن كعب	٩٧
٨	إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم	عبد الله بن عباس	٢٦٦
٩	إن قوماً يضعونها على غير موضعها	عبد الله بن عون	٣١٩
١٠	إنما قلَّ ذكر المنافق لأن الله لم يقبله	قتادة بن دعامة	١٩٢
١١	إنما قلَّ لأنه لغير الله .	الحسن البصري	١٩٢
١٢	إنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب .	عبد الله بن عباس	١٠٥
١٣	إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي .	معاذ بن جبل	٣١٧
١٤	أما والله ما قالوه بألسنتهم ، ولكن علمه الله	سعيد بن جبیر	٢٩١
١٥	بعضهم على دين بعض .	عبد الله بن عباس	١٩٤
١٦	جعلنا لسان صدق للأنبياء كلهم .	مجاهد بن جبر	٣٥٩
١٧	رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب .. .	قتادة بن دعامة	٣٦٠
١٨	الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي فِيهِ أَرْبَعَةٌ أَشْيَاءٌ : الْعِلْمُ	معاذ بن جبل	٣٩٦
١٩	فأمر رسول الله ﷺ زيداً فجاء بكتف فكتبها .	البراء بن عازب	٨٦

الإخلاص في القرآن = الفهارس العامة : فهرس الأحاديث والآثار

مسلسل	الأثر	قائله	الصفحة
٢٠	فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ آيَةَ	عمر بن الخطاب	٢١٥
٢١	كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ...	حذيفة بن اليمان	١٧٤
٢٢	كنت في غزاة مع رسول الله ﷺ	زيد بن أرقم	١٩٦
٢٣	لما نزلت قال أصحابه : وأينا لم يظلم	عبدالله بن مسعود	٣٣٤
٢٤	لم يشركوا بالله شيئاً .	أبو بكر الصديق	٣٧٧
٢٥	لو صححت لم تخف أحداً .	أحمد بن حنبل	٣٣٤
٢٦	ليس في القرآن سورة أشد لغيظ	عبد الله بن عباس	٩٢
٢٧	ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بإخلاص العبادة ...	عبد الله بن عباس	١١٤ - ٢٤٠
٢٨	ما أمنه إلا منافق وما خافه إلا مؤمن .	الحسن البصري	١٩٠
٢٩	ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن	إبراهيم التيمي	١٨٩
٣٠	ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله	عبدالله بن مسعود	٢٦٦
٣١	محبة في الناس في الدنيا .	عبد الله بن عباس	٣٥٧
٣٢	من سره أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ	عبدالله بن مسعود	١٧٧
٣٣	هذه آية القراء .	مطرف بن عبدالله	٣١٣
٣٤	هذه الآية ضربت مثلاً للمشرك والمخلص .	عبد الله بن عباس	٢١٧
٣٥	هم الذين لا يعدلون بالله فيتولاهم وينصرهم	عبد الله بن عباس	٣٢٧
٣٦	هي وقت سؤاله في قبره .	البراء بن عازب	٣٤٦
٣٧	الْوَقَارُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَهُمْ الصَّحَابَةُ يَوْمَ	قتادة بن دعامة	٣٣٨
٣٨	« والله ما سبقهم أبو بكر بصلاة ولا صوم ... »	بكر المزني	٤٦
٣٩	والله لولا الناس ما صلى المنافق ولا يصلي إلا	قتادة بن دعامة	١٩١

الإخلاص في القرآن _____ الفهارس العامة : فهرس الأحاديث والآثار

مسلسل	الأثر	قائله	الصفحة
٤٠	وحدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم .	عبد الله بن عباس	٢٣٧
٤١	ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء	الحسن البصري	٢٨٩
٤٢	ولي هدايتهم .	الحسن البصري	٣٢٨
٤٣	يا ابن أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم	حذيفة بن اليمان	١٨٩
٤٤	يا حذيفة : « نشدتك بالله هل سماني ... »	عمر بن الخطاب	١٨٩
٤٥	« يُحبس الناس يوم القيامة في بقيق واحد ... »	معاذ بن جبل	٦٥
٤٦	يحبهم الله ويحبهم إلى عباده المؤمنين .	قتادة بن دعامة	٣٥٧
٤٧	يكاد يحكم القرآن يدل على عورات المنافقين .	عبد الله بن عباس	١٩٠
٤٨	يَوْمَ يَنْفَعُ الْمُؤَحِّدِينَ تَوْحِيدُهُمْ .	عبد الله بن عباس	٣٩٦

ثالثاً فهرس

الأعلام

الإخلاص في القرآن = الفهارس العامة : فهرس الأعلام

الصفحة	الاسم	مسلسل
٤٧	إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي .	١
١٦٤	إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي .	٢
٢٧	أحمد بن إسماعيل بن يونس المرادي ، أبو جعفر النحاس .	٣
٤١	أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ، ابن تيمية الحراني .	٤
٧٨	أحمد بن علي بن محمد بن شهاب الدين المصري الشافعي، ابن حجر .	٥
٢١	أحمد بن فارس بن زكريا الرازي .	٦
٢٧	أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي .	٧
٦٠	أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني .	٨
٢٢٢	إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدّي .	٩
٥٤	إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي الدمشقي .	١٠
٢٢	أيوب بن موسى الحسيني الكفوي .	١١
٣٤٧	البراء بن عازب .	١٢
٤٦	بكر بن عبد الله بن عمرو بن هلال المزني ، أبو عبد الله البصري .	١٣
١٤٥	الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، أبو القاسم .	١٤
١٥٦	الحارث بن أسد المحاربي ، أبو عبد الله البغدادي .	١٥
١٧٤	حُدَيْقَةُ بن اليمَان حُسَيْل .	١٦
٣٦٠	حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو ، الأنصاري الخزرجي .	١٧
٥٤	الحسن بن أبي الحسن واسمه يسار أبو سعيد البصري .	١٨
١٢٩	حسن بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطيبي .	١٩
٣٩	حسين بن محمد بن إبراهيم ، أبو عبد الله الدامغاني .	٢٠
٦٩	الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الاصبهاني، المعروف بالراغب	٢١

الإخلاص في القرآن = الفهارس العامة : فهرس الأعلام

الصفحة	الاسم	مسلسل
٣٨	الحسين بن مسعود بن محمد ، أبو محمد ، المعروف بالفراء البغوي .	٢٢
٦٩	حمّد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي ، أبو سليمان الخطابي .	٢٣
٥٢	حميد بن قيس أبو صفوان المكي الأعرج المقرئ .	٢٤
١٣٧	زيد بن عمرو بن نفيل العدوي .	٢٥
٣٧	سعيد بن جبير بن هشام الأسدي .	٢٦
٥٥	سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن ثور .	٢٧
١٢٠	سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .	٢٨
٢٣	سهل بن عبد الله بن يونس ، أبو محمد التستري .	٢٩
٣٩	سوار بن مضرب السعدي .	٣٠
٥٢	الضحاك بن مزاحم الهلالي .	٣١
٣٤٧	طاوس بن كيسان اليماني .	٣٢
٢٢٢	عامر بن الحارث بن رياح بن عبد الله ، أعشى باهلة .	٣٣
٣٢	عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ، أبو محمد ابن عطية .	٣٤
٦٠	عبد الرحمن بن أحمد بن رجب زين الدين أبو الفرج البغدادي الحنبلي .	٣٥
٣٤	عبد الرحمن بن شهاب الدين ، أبو الفرج زين الدين ابن رجب .	٣٦
٢٥	عبد الرحمن بن علي بن محمد ، أبو الفرج ابن الجوزي .	٣٧
٢٣	عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ، العز بن عبد السلام .	٣٨
٨٦	عبد الله بن زائدة بن الأصمّ ، ابن أم مكتوم .	٣٩
٣٨	عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم .	٤٠
٣٧٧	عبد الله بن عثمان بن عامر ، أبو بكر الصديق .	٤١
١٨٩	عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي	٤٢

الإخلاص في القرآن = الفهارس العامة : فهرس الأعلام

الصفحة	الاسم	مسلسل
٦٢	عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبد الرحمن الهذلي .	٤٣
٢٥	عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهليّ، أبو سعيد الأصمعيّ	٤٤
٧٢	عبد الواحد بن زيد البصري ، أبو عبيدة الزاهد .	٤٥
٣٧٨	عثمان بن عفان بن أبي العاص ، ذو النورين .	٤٦
٢١١	علي بن أبي طلحة سالم .	٤٧
٢٨	علي بن أحمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري .	٤٨
١٢٩	علي بن سلطان محمد ، نور الدين الملا الهروي القاري .	٤٩
٣٢	علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي الشافعي ، علاء الدين بالخازن .	٥٠
٢٩	علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي .	٥١
٢٢	علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني .	٥٢
٥٢	علي بن مسلم النخعي الكوفي المقرئ .	٥٣
٥٢	عمران بن تيم البصري أبو رجاء العطاردي .	٥٤
٢٠٦	عمرو بن مرة بن عبس بن مالك بن الحرث بن مازن .	٥٥
٢٩٦	عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العبسي .	٥٦
٣٥٠	عياض بن موسى بن عياض بن عمرو ، أبو الفضل القاضي اليحصبي	٥٧
٥٠	الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر .	٥٨
٥٢	قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن الحارث السدوسي .	٥٩
١٣٩	مالك بن أنس بن مالك الأصبحي ، أبو عبد الله .	٦٠
٤٦	محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ، شمس الدين ابن القيم الجوزية .	٦١
٩٠	محمد بن أحمد بن سعيد بن مسعود المكّي ، ابن عقيلة .	٦٢
٤١	محمد بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري الخزرجي ، أبو عبد الله القرطبي .	٦٣

الإخلاص في القرآن = الفهارس العامة : فهرس الأعلام

الصفحة	الاسم	مسلسل
٦٠	محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المطلبي .	٦٤
٢٨	محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، أبو جعفر الطبري .	٦٥
٢٢	محمد بن عبد الرؤوف المناوي .	٦٦
٣٨	محمد بن عبد الله بن عيسى الأندلسي ، أبو عبد الله ابن أبي زمنين .	٦٧
٧٠	محمد بن عبد الله بن محمد المعافري ، أبو بكر بن العربي المالكي .	٦٨
٥٨	محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف التميمي .	٦٩
٨٤	محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عثيمين .	٧٠
٥٣	محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور .	٧١
٣٣	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني .	٧٢
٨٤	محمد بن علي بن وهب ، ابن دقيق العيد .	٧٣
٤٢	محمد بن عمر بن الحسن بن علي البكري ، فخر الدين الرازي .	٧٤
٢٣	محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ، أبو حامد الغزالي .	٧٥
٣٣	محمد بن محمد بن مصطفى ، أبو السعود العمادي .	٧٦
١٥٦	محمد بن موسى القطان .	٧٧
٤٠	محمد بن نصر بن الحجاج المروزي .	٧٨
٣١٠	محمود بن السيد عبد الله أفندي الحسيني ، شهاب الدين الألوسي .	٧٩
١٦٦	مطرف بن عبد الله بن الشخير .	٨٠
٣٩٥	معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الأنصاري الخزرجي .	٨١
٣٨	معمر بن المثنى التيمي أبو عبيدة .	٨٢
٣٧	مقاتل بن سليمان الأزدي الخرساني .	٨٣
١٥٧	يحيى بن شرف ، يحيى الدين أبو زكريا النووي الحزامي الحوزاني الشافعي	٨٤

الإخلاص في القرآن = الفهارس العامة : فهرس الأعلام

الصفحة	الاسم	مسلسل
٥٢	يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله ، مولى الحضرميين .	٨٥
١٤٤	يوسف بن أسباط .	٨٦
٥٦	يوسف بن الحسين أبو يعقوب الرازي .	٨٧

رابعاً فهرس

الأشعار

الإخلاص في القرآن = الفهارس العامة : فهرس الأشعار

مستلسل	البىء	الصفاة
١	أترجو بني مروان سعي وطاعتي * وقومي تميم والفلاة ورائيا .	٣٩
٢	أم تر أن الله أرسل عبده * بئر هانبه ، والله أعلى وأجحد أغر عليه للنبوّة خاتم * من الله مشهود يلوخ ويشهد وصم الإله اسم النبي مع اسمه * إذا قال في الخمس المؤذن: أشهد وشق له من اسمه ليجله * فدو العرش محمود وهذا محمد .	٣٦٠
٣	إن الرجال هم إليك وسيلة * إن يأخذوك ، تكحلي وتحصي .	٢٩٦
٤	فالضد يظهر حسنه الضد * وبضدها تتميز الأشياء .	١٧٣
٥	ما روضة من رياض الحسن معشبة * خضراء جاد عليها مسبل هطلها .	٢٢٢
٦	وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا .	١٣٨
٧	والشرك فاحذره فشره ظاهر * ذا القسم ليس بقابل الغفران وهو اتخاذ الند للرحمن * أيا كان من حجر ومن إنسان يدعوه أو يرجوه ثم يخاف * ويحبه كمحبة الديان .	١٧٢
٨	والشرك نوعان : فشرك أكبر * به خلود النار إذ لا يغفر وهو اتخاذ العبد غير الله * ندا به مسويا مضاهي .	١٨٠
٩	ومما زادني شرفا وتيها * وكدت بأحمصي أطأ الثريا دخولي تحت قولك يا عبادي * وأن صيرت أحمد لي نبيا فلواحد كن واحدا في واحد * أعني سبيل الحق و الإيمان .	٥١
١٠	وهو العفور فلو أتى بفراها * من غير شرك بل من العصيان لأناه بالعفران ملء فراها * سبحانه هو واسع العفران .	١٢٨

خامساً ثبت

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١- (القرآن الكريم)

حرفه الألفه

- ٢- (ابن القيم الجوزية حياته آثاره موارد) ، ت/ بكر بن عبد الله أبو زيد .
- ٣- (أحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، ت د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى ١٤٢٧- ٢٠٠٦ .
- ٤- (الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي ، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ١٤٢٤- ٢٠٠٣ ، المكتبة العصرية .
- ٥- (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام) لابن دقيق العيد ، ت/ عادل أحمد عبد الجواد - وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩ .
- ٦- (إحياء علوم الدين) لأبي حامد محمد الغزالي ، ت/ محمد بن مسعود الأحمد ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦- ٢٠٠٥ .
- ٧- (الإخلاص) لعمر سليمان الأشقر ، دار النفائس ، الطبعة السادسة ، ١٤٢٢- ٢٠٠١ .
- ٨- (الإخلاص والنية) لابن أبي الدنيا ، ت/ إياد الطباع ، دار البشائر ، دمشق ، الطبعة الأولى .
- ٩- (الآداب الشرعية) لمحمد بن مفلح المقدسي ، ت/ شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى ، ١٤١٦- ١٩٩٦ .
- ١٠- (أدب الدنيا والدين) لعلي بن محمد الماوردي ، ت/ ياسين محمد السواس ، دار ابن كثير ، الطبعة الخامسة ١٤٢٩- ٢٠٠٨ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ١١- (الأذكار) ليحيى بن شرف النووي ، ت/ علي الشرجي وقاسم النوري ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ .
- ١٢- (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لأبي السعود ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠ .
- ١٣- (أسباب النزول) لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩-١٩٨٨ .
- ١٤- (الإستقامة) لأحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، ت/ محمد رشاد سالم ، دار الفضيلة ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٠-٢٠٠٠ .
- ١٥- (الاستيعاب في أسماء الأصحاب) ليوسف بن عبد البر النمري القرطبي ، دار الفكر ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٣-٢٠٠٢ .
- ١٦- (أسد الغابة في معرفة الصحابة) لعز الدين ابن الأثير ، دار الشعب .
- ١٧- (الإصابة في معرفة الصحابة) لأحمد بن علي بن حجر ، ت/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٩-٢٠٠٨ .
- ١٨- (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) لمحمد الأمين الشنقيطي ، دار عالم الفوائد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦ .
- ١٩- (إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد) لصالح بن فوزان الفوزان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى ، ١٤٢١-٢٠٠٠ .
- ٢٠- (الأعلام) لخير الدين الزركلي ، دار العلم بيروت ، الطبعة الرابعة .
- ٢١- (الأعلام) لخير الدين الزركلي ، دار العلم بيروت ، الطبعة الثانية .
- ٢٢- (الإعلام بفوائد عمدة الأحكام) لعمر بن علي الأنصاري المعروف بابن الملقن ، ت/ عبد العزيز بن أحمد المشيخ ، دار العاصمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١-٢٠٠٠ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ٢٣- (إعلام الموقعين عن رب العالمين) لمحمد بن أبي بكر الزرعي ابن قيم الجوزية ،
ت/ محمد عبد السلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤-١٩٩٣ .
- ٢٤- (إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان) لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ت/
علي حسن عبد الحميد ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ .
- ٢٥- (اقتضاء الصراط المستقيم) لأحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، ت/ ناصر بن عبد
الكريم العقل ، دار عالم الكتب ، الطبعة السابعة ، ١٤١٩-١٩٩٩ .
- ٢٦- (إكمال المعلم بفوائد مسلم) للقاضي عياض (ت ٥٤٤) ، تحقيق : د / يَحْيَى
إسماعيل ، دار الوفاء ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ .
- ٢٧- (الأمثال في القرآن) لابن قيم الجوزية ، ت/ سعيد محمد نمر الخطيب ، دار
المعرفة بيروت ، الطبعة الثالثة .
- ٢٨- (أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع) لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار
القلم دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢-١٩٩٢ .
- ٢٩- (الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله) للدكتور/ عبدالله بن عبدالرحمن
الجربوع ، الإصدار (٥٣) لعمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة
الأولى .
- ٣٠- (الإيمان) لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تخريج / الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ،
المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٦-١٩٩٩ .

حرفه الباء

- ٣١- (البحر المحيط) لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي ، دار الفكر
بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨-١٩٧٨ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ٣٢- (بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم) جمع وتخرّيج/ يسري السيد محمد ، دار الجوزي الطبعة الأولى .
- ٣٣- (البداية والنهاية) لابن كثير ، تحقيق : د/ عبد الله عبد المحسن التركي ، دار هجر، الجيزة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ .
- ٣٤- (البرهان في تناسب سور القرآن) لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ، دار ابن الجوزي ، ت/ سعيد بن جمعة الفلاح ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨ .
- ٣٥- (البرهان في علوم القرآن) لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ .
- ٣٦- (بلوغ السعادة من أدلة توحيد العبادة) لصلاح بن محمد البدير ، ت/ شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ودار المؤيد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ - ٢٠٠٤ .
- ٣٧- (بلوغ المرام) لابن حجر العسقلاني ، ت/ سالم راشد أبو زرعة ، دار الخير ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ .
- ٣٨- (بهجة الأريب في بيان ما في الكتاب العزيز من الغريب) لعلي بن عثمان التركماني ، ت/ علي حسين البواب ، مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء ، ١٤١٠ - ١٩٩٠ .

حرفه التاء

- ٣٩- (تاج العروس من جواهر القاموس) لمرتضى الزبيدي ، ت/ علي بشيري ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ .
- ٤٠- (تأويل مشكل القرآن) لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ت/ السيد أحمد صقر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ٤١- (التاج المكمل من جواهر مآثر الطراز الأول) لصديق خان القنوجي ، مكتبة دار السلام ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦-١٩٩٥ .
- ٤٢- (تاج العروس من جواهر القاموس) للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، مطبعة حكومة الكويت ، ت/ عبد الستار أحمد فراج ، الطبعة الأولى .
- ٤٣- (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ .
- ٤٤- (التبيان في شرح الديوان) للعكبري .
- ٤٥- (تفسير التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر ابن عاشور ، دار سحنون - تونس .
- ٤٦- (تفسير التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر ابن عاشور ، مؤسسة التاريخ العربي ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ .
- ٤٧- (تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي) لمحمد عبد الرحمن المباركفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٤٨- (تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب) لأبي حيان الأندلسي ، ت/ سمير طه المجذوب ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨-١٩٨٨ .
- ٤٩- (تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية) ، أو (الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير) لأحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، ت/ إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢ .
- ٥٠- (تذكرة الحفاظ) للذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، وضع حواشيه : زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ .
- ٥١- (الترغيب في الدعاء والحث عليه) لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، ت/ فؤاد أحمد ، دار بن حزم ، طبعة سنة ١٤١٦ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ٥٢- (الترغيب والترهيب) لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ .
- ٥٣- (التعريفات للجرجاني) لعلي بن محمد الجرجاني ، دار الكتاب العربي ، ت / إبراهيم الإياري ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣-١٩٩٢ .
- ٥٤- (التسهيل لعلوم التنزيل) محمد بن أحمد بن جزى الكلبي ، دار الكتب العلمية ، ت / محمد سالم هاشم ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٨-٢٠٠٧ .
- ٥٥- (تصحيح الدعاء) لبكر بن عبد الله أبو زيد ، دار العاصمة ، الطبعة الأولى ١٩٩٩-١٤١٩
- ٥٦- (تعظيم قدر الصلاة) لمحمد بن نصر المروزي ، ت / عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ .
- ٥٧- (التعليق المختصر على القصيدة النونية) لصالح بن فوزان الفوزان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤-٢٠٠٤ .
- ٥٨- (تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان) لنظام الدين الحسن بن محمد القمي ، ت / زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٣١٦ .
- ٥٩- (تفسير القرآن العزيز) لابن أبي زمنين ، ت / حسين عكاشة ومحمد مصطفى الكنز ، الفاروق الحديثة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣-٢٠٠٢ .
- ٦٠- (تفسير القرآن العظيم) لابن أبي حاتم ، ت / أحمد فتحي عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ .
- ٦١- (تفسير القرآن العظيم) لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤) ، تحقيق / مصطفى السيد محمد ، وآخرون ، دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ٦٢- (تفسير القرآن العظيم) إسماعيل بن كثير الدمشقي ، دار عالم الكتب ، ت :
مجموعة من الباحثين ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥-٢٠٠٤ .
- ٦٣- (تفسير القرآن الكريم سورة آل عمران) لمحمد بن صالح العثيمين ، دار ابن
الجوزي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦ .
- ٦٤- (تفسير القرآن الكريم سورة البقرة) لمحمد بن صالح العثيمين ، دار ابن الجوزي ،
الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ .
- ٦٥- (تفسير القرآن الكريم سورة يس) لمحمد بن صالح العثيمين ، دار الثريا ، الطبعة
الثانية ، ١٤٢٤ .
- ٦٦- (تفسير القرآن الكريم سورة الكهف) لمحمد بن صالح العثيمين ، دار ابن الجوزي ،
الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ .
- ٦٧- (تفسير القرآن الكريم من الحجرات إلى الحديد) لمحمد بن صالح العثيمين ، دار
الثريا ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥-٢٠٠٤ .
- ٦٨- (تفسير القرآن الكريم سورة ص) لمحمد بن صالح العثيمين ، دار الثريا ، الطبعة
الأولى ، ١٤٢٥-٢٠٠٤ .
- ٦٩- (تفسير القرآن الكريم) لمحمد بن صالح العثيمين ، دار الثريا ، الطبعة الثالثة ،
١٤٢٤-٢٠٠٣ .
- ٧٠- (التفسير القيم) لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، مكتب الدراسات والبحوث
العربية والإسلامية ، بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة
الأولى ، ١٤١٠ هـ .
- ٧١- (التفسير الكبير) لفخر الدين محمد بن عمر الرازي ، دار الكتب العلمية ،
الطبعة الأولى ، ١٤٢١ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ٧٢- (تفسير مقاتل بن سليمان) دار إحياء التراث العربي ، ت/ د عبد الله محمود شحاته ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣-٢٠٠٢ .
- ٧٣- (تقريب التهذيب) لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) ، تحقيق : صغير أحمد شاغف الباكستاني ، دار العاصمة ، الرياض ، النشرة الثانية ، ١٤٢٣ .
- ٧٤- (التقريب لعلوم ابن القيم) بكر بن عبدالله أبوزيد ، دار الراجية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١-١٤١١ .
- ٧٥- (التمهيد شرح كتاب التوحيد) صالح بن عبد العزيز ال الشيخ ، دار التوحيد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤-٢٠٠٣ .
- ٧٦- (تهذيب اللغة) لأبي منصور الأزهري ، ت/ مجموعة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ .
- ٧٧- (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) للمزي ، ت/ د بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ .
- ٧٨- (توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح الكافية الشافية) لأحمد بن إبراهيم بن عيسى ، المكتب الإسلامي ، ط : ١٤٠٦-١٩٨٦ .
- ٧٩- (توضيح الكافية الشافية) لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مكتبة ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧-١٩٨٧ .
- ٨٠- (التوقيف على مهمات التعاريف) لعبد الرؤف المناوي ، ت/ محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ .
- ٨١- (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد) لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، دار الفكر ، ١٤٢١-١٩٩٢ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ٨٢- (التيسير في القراءات السبع) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، ت /
أوتوبرتزل، مؤسسة الريان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩ .
- ٨٣- (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ،
ت / عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، دار السلام ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٢-٢٠٠٢ .

حرفه الجيم

- ٨٤- (جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ) لمجد الدين ابن الأثير ، ت / أيمن
صالح شعبان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ .
- ٨٥- (جامع الأصول في أحاديث الرسول) لابن الأثير الجزري ، ت / عبد القادر
الأرناؤوط ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠-٢٠٠٠ .
- ٨٦- (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لمحمد بن جرير الطبري ، ت / محمود نصار
الحلي ، مكتبة مصطفى الباوي الحلبي وأولاده ، الطبعة الثانية .
- ٨٧- (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لمحمد بن جرير الطبري ، دار هجر ، ت /
عبد الله عبدالمحسن التركي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢-٢٠٠١ .
- ٨٨- (الجامع الصحيح) وهو (صحيح البخاري) للبخاري (ت ٢٥٦) ، تحقيق :
د / مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ .
- ٨٩- (الجامع الصحيح) وهو (صحيح مسلم) لمسلم بن الحجاج (ت ٢٦١) ،
تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة .
- ٩٠- (جامع العلوم والحكم) لعبد الرحمن بن شهاب الدين ابن رجب ، ت / شعيب
الأرناؤوط ، وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السادسة ، ١٤١٥-١٩٩٥ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ٩١- (جامع العلوم والحكم) لابن رجب (ت ٧٩٥) ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ .
- ٩٢- (الجامع الكبير) للترمذي (ت ٢٧٩) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٩٣- (الجامع لأحكام القرآن) أو (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١) ، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ .
- ٩٤- (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (ت ٦٧١ هـ) ، تحقيق : أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٤ .
- ٩٥- (الجامع لشعب الإيمان) للبيهقي (ت ٤٥٨) ، تحقيق : د/ عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ .
- ٩٦- (جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن « قل هو الله أحد » تعدل ثلث القرآن) لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ت/ عبد العزيز بن فتحي بن السيد ندا ، دار القاسم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧-١٩٩٦ .
- ٩٧- (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي) أو (الداء والدواء) لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، ت/ عمرو عبد المنعم سليم ، دار عباد الرحمن ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٣١-٢٠١٠ .
- ٩٨- (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ٩٩- (الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر) للإمام السخاوي ، ت / إبراهيم باجس عبد المجيد ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ .

حرفه الباء

- ١٠٠- (الحجة في القراءات السبع) للحسين بن أحمد بن خالويه ، ت / عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السادسة ، ١٤١٧-١٩٩٦ .
- ١٠١- (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) لأبي نُعَيْم الأصفهاني (ت ٤٣٠) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٧ .

حرفه الدال

- ١٠٢- (الدر الثمين في ترجمة العلامة ابن عثيمين) بقلم علي حسن الأثري وسليم الهلالي ومجموعة من الدعاة ، مكتبة التوبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ .
- ١٠٣- (الدر المنثور) لعبد الرحمن السيوطي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ .
- ١٠٤- (الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد) لمحمد بن علي الشوكاني ، ت / أبو عبد الإله الحلبي ، دار ابن خزيمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ .
- ١٠٥- (الدرر السنية في الأجوبة النجدية) لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٣-١٩٩٢ .
- ١٠٦- (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب) لابن فرحون ، ت / مأمون بن محيي الجنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

١٠٧- (ديوان المتنبي) دار بيروت ، طبعة عام ١٤٠٣ .

حرفه الذال

١٠٨- (ذيل ابن عبد الهادي على طبقات ابن رجب) ليوسف بن حسن بن عبدالهادي ، ت/ محمود بن محمد الحداد ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ .

حرفه الراء

١٠٩- (رسالة في أنواع التوحيد وأنواع الشرك ضمن الجامع الفريد) .

١١٠- (رسالتان للحافظ ابن رجب) لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي ، ت/ سامي بن محمد بن جادالله ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ .

١١١- (رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز) لعز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني ، ت/ أ. د عبد الملك بن عبد الله الدهيش ، مكتبة الأسد ، ط الأولى .

١١٢- (روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني) لمحمود الألوسي ، ت/ محمد حسين العرب ، دار الفكر .

١١٣- (روضة الناظر) لموفق الدين ابن قدامة ، مكتبة المعارف ، الرياض . الطبعة الثالثة ، ١٤١٠-١٩٩٠ .

حرفه الزاي

١١٤- (زاد المسير في علم التفسير) لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧-١٩٨٧ .

١١٥- (زاد المعاد في هدي خير العباد) لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، ت/ شعيب الأرنؤوط عبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار الإسلامية ، الطبعة السادسة عشر ، ١٤٠٨-١٩٨٨ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ١١٦- (الزهد) لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، ت/ محمد السعيد زغلول ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩-١٩٨٨ .
- ١١٧- (الزهد) لابن أبي عاصم ، الدار السلفية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ .
- ١١٨- (الزهد) لهناد بن السري ، ت/ عبد الرحمن الفريوائي ، الدار الخلفاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ .
- ١١٩- (الزهد) لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، ت/ ياسر بن إبراهيم بن محمد ، غنيم بن عباس بن غنيم ، دار المشكاة، حلوان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤-١٩٩٣ .
- ١٢٠- (الزيادة والإحسان في علوم القرآن) لابن عقيلة المكي ، ت/ مجموعة رسائل ماجستير ، مطبوعات مركز البحوث والدراسات ، الشارقة الإمارات ، ١٤٢٧ .

حرفه السين

- ١٢١- (السبعة في القراءات) لابن مجاهد ، ت/ د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.
- ١٢٢- (سلسلة الأحاديث الصحيحة) لمحمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ .
- ١٢٣- (السنن) لأبي داود السجستاني (ت ٢٧٥) ، مراجعة : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- ١٢٤- (السنن) لابن ماجة القزويني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق : د/ بشار عواد معروف، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ .
- ١٢٥- (السنن الكبرى) للنسائي (ت ٣٠٣) ، تحقيق : د/ عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ١٢٦- (السنن الكبرى) للبيهقي (ت ٤٥٨) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ .
- ١٢٧- (السنن) أو (المجتبى) للنسائي (ت ٣٠٣) ، بشرح السيوطي وحاشية السندي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السادسة ، ١٤٢٢ .
- ١٢٨- (السنن) لسعيد بن منصور ، ت / سعد بن عبد الله الحميد ، دار الصمعي ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤-١٩٩٣ .
- ١٢٩- (السيرة النبوية) لعبد الملك بن هشام المعافري ، ت / طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت .
- ١٣٠- (السيرة النبوية) لمحمد بن أحمد الذهبي ، ت / حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤-٢-١٩٨٢ .
- ١٣١- (سير أعلام النبلاء) للذهبي (ت ٧٤٨) ، تحقيق : جماعة بإشراف شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٦ .

حرفه الشين

- ١٣٢- (شأن الدعاء) لأبي سليمان الخطابي ، ت / أحمد يوسف الدقاق ، دار الثقافة العربية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ .
- ١٣٣- (شرح الأربعين النووية) لابن دقيق العيد ، المكتبة الفيصلية .
- ١٣٤- (شرح الأربعين النووية) لمحمد بن صالح العثيمين ، دار الثريا ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣-١٤٢٤ .
- ١٣٥- (شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين) لمحمد بن صالح العثيمين ، مؤسسة الأميرة العنود ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ١٣٦- (شرح حديث : « ما ذئبان جائعان ») لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي ، ت / بدر البدر ، دار الفتح الشارقة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ .
- ١٣٧- (شرح صحيح مسلم) أو (المنهاج) للنووي (ت ٦٧٦) ، تحقيق : خليل مأمون شيحة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة عشرة ، ١٤٢٨ .
- ١٣٨- (شرح طيبة النشر في القراءات العشر) لعبد الفتاح القاضي .
- ١٣٩- (شرح طيبة النشر في القراءات العشر) لأبي بكر أحمد بن محمد بن الجزري ، ت / أنس مهرة ، مكتبة عباس أحمد الباز ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ - ١٩٩٧ .
- ١٤٠- (شرح عمدة الفقه لابن قدامة) لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ، تحقيق : خالد المشيقح ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ .
- ١٤١- (الشرك في القديم والحديث) لأبي بكر محمد زكريا ، دار الرشد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ - ٢٠٠١ .
- ١٤٢- (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي ، ت / شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، دار بن كثير ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ .
- ١٤٣- (شرح العقيدة الطحاوية) لعلي بن أبي العز الحنفي ، ت : د / عبد الله بن عبدالمحسن التركي ، شعيب الأرنؤوط ، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثالثة عشرة ، ١٤١٩ - ١٩٩٨ .
- ١٤٤- (شرح الإحياء) وهو (إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين) لمرتضى الزبيدي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، طبعة عام ١٤١٤ .
- ١٤٥- (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) لعياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي ، دار الفيحاء ، عمان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ .

حرف الصاد

- ١٤٦- (صَحِيح ابن حبان) (ت ٣٥٤) ، بترتيب ابن بلبان (ت ٧٣٩) ، ت / شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ .
- ١٤٧- (صَحِيح ابن خزيمة) (ت ٣١١) ، ت / د. مُحَمَّد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٤ .
- ١٤٨- (صحيح الترغيب والترهيب) لمحمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، السعودية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١-٢٠٠٠ .
- ١٤٩- (صحيح الجامع الصغير وزياداته) لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨-١٩٨٨ .
- ١٥٠- (صحيح سنن ابن ماجة) لمحمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة ، ١٤١٧ .
- ١٥١- (صحيح الأدب المفرد) لمحمد ناصر الدين الألباني ، دار الدليل ، الرياض ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨ .
- ١٥٢- (الصحيح المسند من أسباب النزول) للوادعي ، دار الآثار ، صنعاء ، اليمن .
- ١٥٣- (صحيفة ابن عباس) لعلي بن أبي طلحة الوالبي .
- ١٥٤- (الصواعق المرسله) لابن القيم الجوزية ، ت / د. علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى .

حرفه الضاد

- ١٥٥- (ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة) لعبد الرحمن حسن حبنكة
الميداني، دار القلم دمشق ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٤ - ١٩٩٣ .

حرفه الطاء

- ١٥٦- (طبقات فحول الشعراء) لمحمد بن سلام الجمحي ، ت/ محمود محمد شاكر ،
دار المدني ، جدة .
- ١٥٧- (طبقات المفسرين) لأحمد بن محمد الأدهوي ، ت/ سليمان بن صالح
الخنزي، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ .
- ١٥٨- (طبقات المفسرين) لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ت/ علي محمد عمر،
مكتبة وهبة ، طبعة عام ١٣٩٦-١٩٧٦ .
- ١٥٩- (طريق المهجرتين وباب السعادتين) لمحمد بن أبي بكر الزرعي ابن قيم الجوزية ،
ت/ يوسف علي بديوي ، دار ابن كثير ، طبعة عام ١٤١٤-١٩٩٣ .

حرفه العين

- ١٦٠- (العبودية) لأحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، المكتب الإسلامي ، الطبعة
السادسة ، ١٤٠٧-١٩٨٧ .
- ١٦١- (العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية) لمحمد بن أحمد بن
عبد الهادي ، مكتبة الإيمان .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ١٦٢- (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين) لابن قيم الجوزية ، تحقيق : بدير محمد بدير، دار اليقين ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠-١٩٩٩ .
- ١٦٣- (علماء نجد خلال ثمانية قرون) لعبد الله ب عبد الرحمن ال بسام ، دار العاصمة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩ .
- ١٦٤- (عمل اليوم والليلة) لابن السني (ت ٣٦٤) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥ .

حرفه الغين

- ١٦٥- (غذاء الألباب شرح منظومة الآداب) لمحمد السفاريني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤-١٩٩٣ .

حرفه الفاء

- ١٦٦- (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء) جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزاق الدويش ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، الطبعة الرابعة ١٤٢٥-٢٠٠٤ .
- ١٦٧- (فتح الباري شرح صحيح البخاري) لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي ، ت/ طارق بن عوض الله ، دار بن الجوزي ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠ .
- ١٦٨- (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ت/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار الريان للتراث ، المكتبة السلفية ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ١٦٩- (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،
ت/ عبد القادر شيبه الحمد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١-٢٠٠١ .
- ١٧٠- (فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام
المستنبطة من القرآن) لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، دار ابن الجوزي ، اعتنى به/ عبد الرزاق
بن عبد المحسن البدر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ .
- ١٧١- (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) لمحمد بن علي
الشوكاني ، دار عالم الكتب ، طبعة عام ١٤٢٤ .
- ١٧٢- (فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد) لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن
عبد الوهاب ، دار الصميعي ، ت/ الوليد بن عبد الرحمن الفريان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ .
- ١٧٣- (فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد) لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن
عبد الوهاب ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٢ .
- ١٧٤- (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) لأحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ،
ت/ عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى ، دار الفضيلة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠-١٩٩٩ .
- ١٧٥- (الفروق) لأبي العباس أحمد بن إدريس القرافي ، دار عالم الكتب ، من
مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد ، السعودية ، عام : ١٤٢٤ .
- ١٧٦- (فضائل القرآن) لأبي عبيد القاسم بن سلام ، اعتنى به / عدنان العلي ،
المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧-٢٠٠٦ .
- ١٧٧- (فضائل القرآن) لجعفر بن محمد المستغفري ، ت/ أحمد بن فارس السلوم ،
دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧-٢٠٠٦ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ١٧٨- (الفوائد) لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ت/ عامر بن علي ياسين ، دار ابن خزيمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢-٢٠٠٢ .
- ١٧٩- (الفوائد) لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ت/ عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣-١٩٨٣ .
- ١٨٠- (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان) لمحمد بن أبي بكر الزرععي المعروف بابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢-١٩٨٢ .

حرف القاف

- ١٨١- (قاعدة في الوسيلة) لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ت/ علي بن عبد العزيز الشبل ، دار العاصمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤-٢٠٠٣ .
- ١٨٢- (القاموس المحيط) للفيروزآبادي (ت ٨١٧) ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ .
- ١٨٣- (قُرّة عيون الموحدين) للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق : أبو البخاري سعيد بن نصر بن محمد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ .
- ١٨٤- (القصيدة النونية) أو (الكافية الشافية) لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، دار عالم الفوائد ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٢ هـ .
- ١٨٥- (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) لعبد العزيز بن عبد السلام ، ت/ عبداللطيف حسن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠-١٩٩٩ .
- ١٨٦- (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل) لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩-١٩٨٩ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ١٨٧- (قواعد التفسير) لخالد بن عثمان السبت ، دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ،
١٤١٧-١٩٩٧ .
- ١٨٨- (القول السديد في مقاصد التوحيد) لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، دار
المغني ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ .
- ١٨٩- (القول المفيد على كتاب التوحيد) لمحمد بن صالح العثيمين ، ت/ سليمان بن
عبد الله أبا الخليل - وخالد بن علي المشيقح ، دار العاصمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ .

حرفه الكاف

- ١٩٠- (الكبائر) للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ت/ أ. د. باسم فيصل الجوابرة ،
طبع وزارة الشؤون الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠ هـ .
- ١٩١- (كتاب لتوحيد) للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، دار المغني ، الرياض ، الطبعة
الأولى ، ١٤٢٠ هـ .
- ١٩٢- (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم) للعلامة محمد التهانوي ، ت/ د. علي
دحروج ، مكتبة لبنان بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ م .
- ١٩٣- (الكشاف) لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ، ت/ خليل مأمون شيحا ،
دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣٠-٢٠٠٩ .
- ١٩٤- (كشف الشبهات) للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، دار الوطن ، الرياض ،
الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ .
- ١٩٥- (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) لمصطفى بن عبد الله
القسطنطيني الرومي المعروف بحاجي خليفة ، دار الفكر ، بيروت .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ١٩٦- (كلمة الإخلاص وتحقيق معناها) لعبد الحمن بن رجب الحنبلي ، ت/ بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢-١٩٩١ .
- ١٩٧- (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري ، ت/ أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .
- ١٩٨- (الكليات) لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، ت/ عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩-١٩٩٨ .

حرفه اللام

- ١٩٩- (لباب التأويل في معاني التنزيل) لعلي بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن الخازن، ت/ عبد السلام محمد شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥-١٩٩٥ .
- ٢٠٠- (لباب النقول في أسباب النزول) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى .
- ٢٠١- (لسان العرب) لابن منظور الإفريقي ، اعتنى به : أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة .
- ٢٠٢- (لسان العرب) لمحمد بن مكرم بن منظور ، دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤-٢٠٠٣ .
- ٢٠٣- (لطائف المعارف) لأحمد بن رجب الحنبلي ، تحقيق : ياسين محمد السواس ، دار بن كثير ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣-١٩٩٢ .

حرف الميم

- ٢٠٤- (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لنصر الله بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير ، ت/ محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى .
- ٢٠٥- (مجاز القرآن) لأبي عبيد القاسم بن سلام .
- ٢٠٦- (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) للهيثمي (ت ٨٠٧) ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ .
- ٢٠٧- (مجموعة فتاوى شيخ الإسلام) جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن القاسم النجدي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ .
- ٢٠٨- (مجموع مؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي) دار الميمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢-٢٠١١ .
- ٢٠٩- (مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ت/ محمد بن إسماعيل الأنصاري ، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣-٢٠٠٣ .
- ٢١٠- (مجمع الأمثال) لأبي الفضل الميداني ، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة السنة المحمدية ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٣ هـ .
- ٢١١- (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لمحمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، ت/ الرحالي الفاروق ، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، والسيد عبد العال السيد ، ومحمد الشافعي صادق العناني ، طبع على نفقة صاحب السمو خليفة بن حمد آل ثاني ، الطبعة الأولى ١٣٩٨-١٩٧٧ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ٢١٢- (المختارة) للضياء المقدسي ، ت/ د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢١ هـ .
- ٢١٣- (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ت/ محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية ، القاهرة .
- ٢١٤- (مساوئ الأخلاق) لأبي بكر الخرائطي ، ت/ مصطفى بن أبو النصر الشلبي ، مكتبة السوادي ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ .
- ٢١٥- (المستدرک علی الصحیحین) للحاكم (ت ٤٠٥) ، تحقيق : عبد السلام محمد علوش ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧ .
- ٢١٦- (المستصفي من علم الأصول) لأبي حامد الغزالي ، ت/ محمد سليمان الأشقر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧-١٩٩٧ .
- ٢١٧- (مسند أبي بكر الصديق) لأبي بكر المروزي ، ت/ شعيب الأرنؤوط ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٦-١٩٨٩ .
- ٢١٨- (المسند) لأبي داود الطيالسي (ت ٢٠٤) ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥ .
- ٢١٩- (المسند) لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ .
- ٢٢٠- (المسند) لأبي بكر البزار (ت ٢٩٢) ، المسمى بـ (البحر الزخار) ، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠ .
- ٢٢١- (المسند) لأبي يعلى الموصلي (ت ٣٠٧) ، تحقيق وتخریج : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ٢٢٢- (مشاهير علماء الأمصار) لابن حبان ، ت/ مجدي بن منصور الشورى ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦-١٩٩٥ .
- ٢٢٣- (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور) لبرهان الدين البقاعي ، ت/ د. عبد السميع محمد أحمد حسنين ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨-١٩٨٧ .
- ٢٢٤- (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير) لأحمد محمد علي المقري ، المطبعة اليمنية .
- ٢٢٥- (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير) لأحمد محمد علي المقري ، اعتنى به عادل مرشد ، المطبعة اليمنية .
- ٢٢٦- (المصنف) لابن أبي شيبه (ت ٢٣٥) ، تحقيق : حمدي عبد الله جمعة ، ومحمد إبراهيم اللحيان ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥ .
- ٢٢٧- (معارج القبول بسرح سلم الوصول إلى علم الأصول) لحافظ بن أحمد حكيمي ، ت/ عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨-١٩٩٧ .
- ٢٢٨- (معالم التنزيل) للحسين بن مسعود الفراء البغوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥-١٩٩٥ .
- ٢٢٩- (معاني القرآن) لأبي زكرياء يحيى بن زياد الفراء ، ت/ أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٢-٢٠٠١ .
- ٢٣٠- (معاني القرآن) لأبي جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس ، ت/ محمد بن علي الصابوني ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨-١٩٨٨ .
- ٢٣١- (المعجم الصغير) للطبراني ، تحقيق : محمد شكور محمود الحاج أمير ، الدار العثمانية، الأردن ، عمان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣-٢٠١٠ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ٢٣٢- (المعجم الكبير) للطبراني (ت ٣٦٠) ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، مطبعة الزهراء الحديثة ، الموصل ، العراق ، الطبعة الثانية .
- ٢٣٣- (معجم مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس بن زكريا ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢-٢٠٠١ .
- ٢٣٤- (معجم مقاييس اللغة) لابن فارس (ت ٣٩٥) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ .
- ٢٣٥- (المعجم الوسيط) لإبراهيم مصطفى ، وحامد عبد القادر ، وأحمد حسن الزيات ، ومحمد النجار ، المكتبة الإسلامية ، تركيا .
- ٢٣٦- (معجم المؤلفين) لعمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى .
- ٢٣٧- (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار) لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ت/ طيار آلي قولاج ، دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤-٢٠٠٣ .
- ٢٣٨- (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة) لابن القيم الجوزية ، ت/ علي حسن عبد الحميد ، دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦-١٩٩٦ .
- ٢٣٩- (المفردات في غريب القرآن) للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، ت/ مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨-١٩٩٧ .
- ٢٤٠- (مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل) أو (مختصر رعاية المحاسبي) لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، ت/ إياد خالد الطَّبَّاع ، دار الفكر ، دمشق .
- ٢٤١- (مناقب الإمام أحمد) لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، ت/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مطبعة هجر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩-١٩٨٨ .
- ٢٤٢- (المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي) لابن تغري بردي .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

- ٢٤٣- (الموافقات) لإبراهيم بن موسى بن محمد البلخي الشاطبي ، دار ابن عفان ،
ت/ أبو عبيدة مشهور حسن سلمان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧-١٩٩٧ .
- ٢٤٤- (موجبات الجنة) لابن فاخر الأصبهاني ، ت/ ناصر بن أحمد بن النجار
الدمياطي ، مكتبة عباد الرحمن ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- ٢٤٥- (المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء) لأبي القاسم الآمدي ، صححه : د.
ف كرنيكو ، دار الجليل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١-١٩٩١ .
- ٢٤٦- (موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم) مجموعة من
المختصين ، مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٥-٢٠٠٤ .
- ٢٤٧- (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) لشمس الدين الذهبي ، تحقيق : علي
معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ .

حرفه النون

- ٢٤٨- (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر) لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي،
ت/ خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١-٢٠٠٠ .
- ٢٤٩- (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن
علي بن أبي بكر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، الطبعة الأولى .
- ٢٥٠- (النكت والعيون) لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، ت/ السيد
عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢-١٩٩٢ .
- ٢٥١- (النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير (ت ٦٠٦) ، تحقيق : صلاح
محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ .
- ٢٥٢- (نواذر الأصول) للحكيم الترمذي ، ت/ توفيق محمد تكله ، دار النوادر ،
لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١-٢٠١٠ .

الإخلاص في القرآن الفهارس العامة : ثبت المصادر والمراجع

٢٥٣- (نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس) لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، ت/ محمد بن ناصر العجمي ، دار البشائر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠-١٩٨٩ .

حرفه الهاء

٢٥٤- (هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين) لإسماعيل باشا البغدادي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، لبنان .

حرفه الواو

٢٥٥- (الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب) لمحمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية ، ت/ عبد الرحمن بن حسن بن قائد ، دار عالم الفوائد ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣٠ هـ .

٢٥٦- (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للواحدي ، دار بن كثير ، الطبعة الأولى .

٢٥٧- (الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية) لمحمد صدقي البورنو ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٢-٢٠٠٢ .

٢٥٨- (الوافي بالوفيات) لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ .

٢٥٩- (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلكان (ت ٦٨١) ، تحقيق : د/ يوسف علي طويل ، د/ مريم قاسم طويل ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ .



ساحداً ففارس

الموضوعات

الإخلاص في القرآن = الفهارس العامة : فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	مسلسل
٤ المقدمة	١
٦ سبب اختيار الموضوع	٢
٧ أهداف البحث	٣
٨ حدود البحث	٤
٩ الدراسات السابقة	٥
١١ خطة البحث	٦
١٦ المنهج في كتابة البحث	٧
١٨ شكر وعرفان	٨
٢٠ الفصل الأول : بيان معنى الإخلاص	٩
٢١ المبحث الأول : بيان معنى الإخلاص ومفهومه	١٠
٢١ الإخلاص لغة	١١
٢٢ الإخلاص اصطلاحاً	١٢
٢٥ المبحث الثاني : إطلاقات الإخلاص في القرآن	١٣
٢٥ الأول : أن تطلق ويراد بها الإصطفاء والإختيار	١٤
٢٦ الثاني : الإخلاص بمعنى الخلوص من الشوائب	١٥
٢٧ الثالث : الإخلاص بمعنى الاختصاص أو الخصوصية	١٦
٢٨ الرابع : الإخلاص بمعنى التوحيد	١٧
٣١ المبحث الثالث : الألفاظ التي ورد التعبير بها عن الإخلاص	١٨
٣١ الأول : لفظ الإبتغاء	١٩

الإخلاص في القرآن = الفهارس العامة : فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	مسلسل
٣٤ الثاني : التعبير عن الإخلاص بلفظ الإرادة	٢٠
٣٦ الثالث : لفظ الرجاء	٢١
٤٠ الرابع : لفظ إسلام الوجه	٢٢
٤١ الخامس : لفظ في سبيل الله	٢٣
٤٣ الفصل الثاني : أهمية الإخلاص ومنزلته في القرآن	٢٤
٤٤ المبحث الأول : الإخلاص ميدان التفاضل	٢٥
٤٩ المبحث الثاني : عزة الإخلاص وعظم موقعه	٢٦
٥٨ المبحث الثالث : شموله لمناحي الحياة	٢٧
٦٤ المبحث الرابع : أثره في العمل	٢٨
٦٤ المطلب الأول : أثره في قبول العمل	٢٩
٦٩ المطلب الثاني : أثره في إجابة الدعاء	٣٠
٧٤ المطلب الثالث : أثره في حصول الشفاعة	٣١
٧٧ المطلب الرابع : أثره في مضاعفة الأجر	٣٢
٨٠ المطلب الخامس : أثره في قبول التوبة	٣٣
٨٣ المطلب السادس : أثره في وقوع الأجر من غير عمل	٣٤
٩٠ المبحث الخامس : تسمية بعض سور القرآن باسم الإخلاص	٣٥
٩٠ المطلب الأول : سورة الإخلاص : ((قل يأيتها الكافرون))	٣٦
٩١ الأول : اسم السورة وعلاقته بالإخلاص	٣٧
٩٣ الثاني : فضل السورة	٣٨

الإخلاص في القرآن = الفهارس العامة : فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	مسلسل
٩٤ الثالث : سبب نزول السورة	٣٩
٩٥ المطلب الثاني : سورة الإخلاص : ((قل هو الله أحد))	٤٠
٩٥ الأولى : اسم السورة ودلالاتها على محتواها	٤١
٩٦ الثانية : فضلها	٤٢
٩٧ الثالثة : سبب نزولها	٤٣
٩٨ الفصل الثالث : الدعوة إلى الإخلاص في القرآن الكريم	٤٤
٩٩ المبحث الأول : أمر الرسول ﷺ بالإخلاص	٤٥
١٠٣ المبحث الثاني : أمر المؤمنين بالإخلاص	٤٦
١٠٧ المبحث الثالث : أمر الناس بالإخلاص عموماً	٤٧
١١٢ المبحث الرابع : حصر الأمر في الإخلاص	٤٨
١١٥ المبحث الخامس : الثناء على المخلصين	٤٩
١٢٢ المبحث السادس : بيان جزاء المخلصين	٥٠
١٢٧ المبحث السابع : بيان فضل الإخلاص	٥١
١٣٠ الفصل الرابع : وسائل تحقيق الإخلاص في القرآن الكريم	٥٢
١٣١ المبحث الأول : العلم بالله	٥٣
١٣٧ المبحث الثاني : معرفة حقيقة الإخلاص	٥٤
١٤٢ المبحث الثالث : مجاهدة النفس	٥٥
١٤٦ المبحث الرابع : تدبير أحوال المخلصين في القرآن	٥٦
١٥٠ المبحث الخامس : الاستعانة بالله تعالى	٥٧

الإخلاص في القرآن = الفهارس العامة : فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	مسلسل
١٥٤	المبحث السادس : المراقبة	٥٨
١٥٨	المبحث السابع : استحضار أجر المخلصين	٥٩
١٦٣	المبحث الثامن : الدعاء	٦٠
١٦٧	المبحث التاسع : التأمل والنظر في عاقبة المرائين	٦١
١٧٠	الفصل الخامس : النهي عما يضاد الإخلاص	٦٢
١٧١	المبحث الأول : النهي عن الشرك	٦٣
١٨٢	المبحث الثاني : بيان حال المشرك	٦٤
١٨٨	المبحث الثالث : التحذير من النفاق	٦٥
١٩٨	المبحث الرابع : تحريم الرياء	٦٦
٢٠٥	المبحث الخامس : ضرب الأمثال	٦٧
٢٠٩	أولها : أمال في قبح النفاق	٦٨
٢١٣	الثاني : أمثال في سوء عاقبة الرياء	٦٩
٢١٦	الثالث : أمثال في شناعة الشرك	٧٠
٢٢٢	الرابع : أمثال في فضيلة الإخلاص	٧١
٢٢٨	المبحث السادس : الترهيب من إرادة الإنسان بعمله الدنيا	٧٢
٢٣٥	الفصل السادس : مجالات الإخلاص في القرآن	٧٣
٢٣٦	المبحث الأول : الإخلاص في توحيد العبادة	٧٤
٢٤٢	المبحث الثاني : الإخلاص في العبادة	٧٥
٢٤٢	المطلب الأول : العبادات القلبية	٧٦

الإخلاص في القرآن = الفهارس العامة : فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	مسلسل
٢٥٢	المطلب الثاني : العبادات العملية	٧٧
٢٥٥	المبحث الثالث : الإخلاص في الدعوة	٧٨
٢٦١	المبحث الرابع : الإخلاص في الاستجابة	٧٩
٢٦٥	المبحث الخامس : الإخلاص في الخشوع	٨٠
٢٦٩	المبحث السادس : الإخلاص في الصبر	٨١
٢٧٤	المبحث السابع : الإخلاص في الإنفاق	٨٢
٢٧٨	المبحث الثامن : الإخلاص في الصلاة والنحر	٨٣
٢٨٢	المبحث التاسع : الإخلاص في الحج والعمرة	٨٤
٢٨٧	المبحث العاشر : الإخلاص في الدعاء	٨٥
٢٩١	المبحث الحادي عشر : الإخلاص في الإطعام	٨٦
٢٩٥	المبحث الثاني عشر : الإخلاص في الوسيلة	٨٧
٣٠٢	المبحث الثالث عشر : الإخلاص في الجهاد	٨٨
	المبحث الرابع عشر : الإخلاص في الصدقة ، وبذل المعروف ، والإصلاح بين الناس	٨٩
٣٠٨	المبحث الخامس عشر : الإخلاص في تلاوة القرآن	٩٠
٣١١	المبحث السادس عشر : الإخلاص في الحياة كلها	٩١
٣٢١	الفصل السابع : آثار الإخلاص في القرآن الكريم	٩٢
٣٢٢	المبحث الأول : آثاره على الفرد	٩٣

الإخلاص في القرآن = الفهارس العامة : فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	مسلسل
٣٢٢ الأثر الأول : الإخلاص في الفتن	٩٤
٣٢٦ الأثر الثاني : ولاية الله للمخلص	٩٥
٣٣٢ الأثر الثالث : حصول الأمن والاهتداء والنجاة من المخاوف	٩٦
٣٣٨ الأثر الرابع : نزول السكينة في القلب	٩٧
٣٤٣ الأثر الخامس : الثبات على الدين	٩٨
٣٤٩ الأثر السادس : السلامة من إغواء الشيطان	٩٩
٣٥٢ الأثر السابع : إجابة الدعاء	١٠٠
٣٥٧ الأثر الثامن : القبول في الأرض والذكر الحسن	١٠١
٣٦٣ المبحث الثاني : آثاره على المجتمع	١٠٢
٣٦٦ الأثر الأول : الدخول في ركب الإيمان	١٠٣
٣٦٨ الأثر الثاني : حلول البركات وكثرة الخيرات	١٠٤
٣٦٩ الأثر الثالث : النصر والتمكين للأمة	١٠٥
٣٧٣ الأثر الرابع : حصول الأمن والهداية للمجتمع	١٠٦
٣٧٦ المبحث الثالث : آثار الإخلاص في الآخرة	١٠٧
٣٧٦ الأثر الأول : البشرى عند الموت والتثبيت في القبر	١٠٨
٣٨٠ الأثر الثاني : حصول الشفاعة	١٠٩
٣٨٤ الأثر الثالث : الوقاية من شر يوم القيامة وحصول النضرة والسرور ...	١١٠
٣٨٦ الأثر الرابع : الأمن من الفزع يوم القيامة	١١١
٣٨٨ الأثر الخامس : النجاة من النار	١١٢

الإخلاص في القرآن = الفهارس العامة : فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	مسلسل
٣٩٣	الأثر السادس : دخول الجنة وحصول الرضى من الله	١١٣
٤٠١	الخاتمة	١١٤
٤٠٢	نتائج البحث	١١٥
٤١٢	الفهارس العامة	١١٦
٤١٣	فهرس الآيات القرآنية	١١٧
٤٤٥	فهرس الأحاديث والآثار	١١٨
٤٤٦	أولاً فهرس الأحاديث	١١٩
٤٥٣	ثانياً فهرس الآثار	١٢٠
٤٥٦	فهرس الأعلام	١٢١
٤٦٢	فهرس الأشعار	١٢٢
٤٦٤	فهرس المصادر والمراجع	١٢٣
٤٩٣	فهرس الموضوعات	١٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

